

سورة الملك-بسم الله الرحمن الرحيم

تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَيُسَّ الْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ فَسَوْخًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾

67- تفسير سورة الملك- وهي مكية

**مسند أحمد مخرجا- 8276

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ:
" إِنَّ سُورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ، ثَلَاثِينَ آيَةً، شَفَعَتْ لِرَجُلٍ حَتَّى غُفِرَ لَهُ وَ هِيَ:-
تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ "

تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي

خَلَقَ الرَّحْمَنُ مِنْ تَفَوُّتٍ فَأَرْجَعَ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ أَرْجَعَ الْبَصَرَ كَرَّرَيْنِ

يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾

(تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ)

أي: تعظم و تعالى، و كثر خيره، و عم إحسانه،
من عظمته أن بيده ملك العالم العلوي و السفلي، فهو الذي خلقه،
و يتصرف فيه بما شاء، مــــن :-

1- الأحكام القدريّة،

2- و الأحكام الدينيّة، التابعة لحكمته، و من عظمته،

(وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)

كمال قدرته التي يقدر بها على كل شيء،
و بها أوجد ما أوجد من المخلوقات العظيمة، كالسماوات و الأرض.

(الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ)

*** إِنَّ الْمَوْتَ أَمْرٌ وَجُودِيٌّ لِأَنَّهُ مَخْلُوقٌ.
وَمَعْنَى الْآيَةِ: أَنَّهُ أَوْجَدَ الْخَلَائِقَ مِنَ الْعَدَمِ، لِيَبْلُوَهُمْ وَيَخْتَبِرَهُمْ أَيُّهُمْ
أَحْسَنُ عَمَلًا؟

كَمَا قَالَ: {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ} [البقرة: 28]
فَسَمَّى الْحَالَ الْأَوَّلَ - وَهُوَ الْعَدَمُ-مَوْتًا، وَ سَمَّى هَذِهِ النَّشْأَةَ حَيَاةً.
وَلِهَذَا قَالَ:

{ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أََمْْوَآءًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } [البقرة: 28]

*في الدنيا :الجلالين

(وَالْحَيَوةُ)

*الجلالين :-في الآخرة أو هما في الدنيا

فالنطفة تعرض لها الحياة

و هي ما به الاحساس و الموت ضدها أو عدمها

-و خلق الموت و الحياة أي:- قدر لعباده أن يحييهم ثم يميتهم؛

(لِبَلَاؤِكُمْ أَتَيْكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا)

أي: أخلصه و أصوبه، فإن الله خلق عباده،

و أخرجهم لهذه الدار، و أخبرهم أنهم سينقلون منها،

و أمرهم و نهاهم، و ابتلاهم بالشهوات المعارضة لأمره،

فمن انقاد لأمر الله و أحسن العمل، أحسن الله له الجزاء في الدارين،

و من مال مع شهوات النفس، و نبذ أمر الله، فله شر الجزاء.

*** وَ لَمْ يَقُلْ أَ هَرَّ عَمَلًا

(وَهُوَ الْعَزِيزُ)

الذي له العزة كلها، التي قهر بها جميع الأشياء، و انقادت له المخلوقات.

(الْغَفُورُ)

عن المسيئين و المقصرين والمذنبين،
خصوصًا إذا تابوا و أنابوا،
فإنه يغفر ذنوبهم، و لو بلغت عنان السماء، و يستر عيوبهم،
و لو كانت ملء الدنيا.

(الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا)

أي: كل واحدة فوق الأخرى، و لسن طبقة واحدة،
و خلقها في غاية الحسن و الإتقان

(مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ)

أي: خلل و نقص.

و إذا انتفى النقص من كل وجه، صارت حسنة كاملة، متناسبة من كل وجه،
في لونها و هيئتها و ارتفاعها، و ما فيها من الشمس و القمر و الكواكب
النيرات، الثوابت منهن و السيارات.

و لما كان كمالها معلومًا، أمر الله تعالى بتكرار النظر إليها
و التأمل في أرجائها، قال:

(فَارْجِعِ الْبَصَرَ)

أي: أعدده إليها، ناظرًا معتبرًا

(هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ)

أي: نقص و اختلال.

***شقوق

*كقوله { أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ

فُرُوجٍ } [ق:6]

(ثُمَّ أَتَجْعَلُ الْبَصَرَ كَرَيْنٍ)

المراد بذلك:- كثرة التكرار

* ثم أعد النظر مرة بعد مرة-الميسر

(يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا)

*** ذليلا

أي: عاجزًا عن أن يرى خللا أو فطورًا، و لو حرص غاية الحرص.

(وَهُوَ حَسِيرٌ)

***كليل قد انقطع من الاعياء من كثرة التكرار و لا يري نقصا

ثم صرح بذكر حسننها فقال:-

وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ

⑤ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَيُسَّ الْمَصِيرُ ⑥ إِذَا الْقُؤُوفُ فِيهَا سَمِعُوا لَهَا

شَبَقًا وَهِيَ تَفُورُ ⑦ تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أَلْقَى فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ

يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِن أَنْتُمْ إِلَّا فِي

ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾

(وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا)

أي: و لقد جملنا التي ترونها و تليكم،

(بِمَصَابِيحَ)

و هي: النجوم، على اختلافها في النور و الضياء،

فإنه لولا ما فيها من النجوم،

لكانت سقفاً مظلمًا، لا حسن فيه و لا جمال.

و لكن جعل الله هذه النجوم زينة للسماء، و جمالا ، و نوراً و هداية

يهتدى بها في ظلمات البر و البحر،

و لا ينافي إخباره أنه زين السماء الدنيا بمصابيح،

أن يكون كثير من النجوم فوق السماوات السبع،

فإن السماوات شفافة، و بذلك تحصل الزينة للسماء الدنيا، و إن لم تكن

الكواكب فيها،

(وَجَعَلْنَاهَا)

أي: المصابيح

(رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ ط)

الذين يريدون استراق خبر السماء، فجعل الله هذه النجوم،
حراسة للسماء عن تلقف الشياطين أخبار الأرض،
فهذه الشهب التي ترمى من النجوم، أعدها الله في الدنيا للشياطين،

*** (وَجَعَلْنَاهَا)

عَلَىٰ جَنَسِ الْمَصَابِيحِ لَا عَلَىٰ عَيْنِهَا؛ لِأَنَّهُ لَا يَرْمِي بِالْكَوَاكِبِ الَّتِي فِي السَّمَاءِ،
بَلْ بِشَهَبٍ مِنْ دُونِهَا، وَ قَدْ تَكُونُ مُسْتَمَدَّةً مِنْهَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

*** {إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ لَا
يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَىٰ وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ إِلَّا
مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شَهَابٌ ثَاقِبٌ} [الصَّافَّاتِ: 6- 10] .

قَالَ قَتَادَةُ: إِنَّمَا خُلِقَتْ هَذِهِ النُّجُومُ لثَلَاثِ خَصَالٍ:

1- خَلَقَهَا لِـ الهِدَايَةِ لِللَّسْمَاءِ،

2- وَ رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ،

3- وَ عَلَامَاتٍ يُهْتَدَىٰ بِهَا،

الاعجاز العلمي من هنا

(وَأَعْتَدْنَا لَهُمُ)

في الآخرة

(عَذَابَ السَّعِيرِ)

لأنهم تمردوا على الله، وأضلوا عباده،

و لهذا كان أتباعهم من الكفار مثلهم،

قد أعد الله لهم عذاب السعير، فلهذا قال:

(وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ^ط وَيَسَّ الْمَصِيرُ)

الذي يهان أهله غاية الهوان.

(جَهَنَّمَ^ط)

مضاف اليه منصوب بالفتحة لانه ممنوع من الصرف

(إِذَا الْقَوُا فِيهَا)

على وجه الإهانة و الذل

(سَمِعُوا لَهَا شَيْقًا)

أي: صوتًا عاليًا فظيعًا،

* مزعجا كصوت الحمار: ايسر التفاسير

(وَهِيَ تَقُورُ)

و هي تغلي غليانًا شديدًا: الميسر

(تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ^ط)

أي: تكاد على اجتماعها أن يفارق بعضها بعضًا،

و تنقطع من شدة غيظها على الكفار،

فما ظنك ما تفعل بهم، إذا حصلوا فيها؟

ثم ذكر توبيخ الخزنة لأهلها فقال:

(كَلَّمَآ أَلْفَى فِىهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ)

أي: حالكم هذا و استحقاقكم النار، كأنكم لم تخبروا عنها،
و لم تحذركم النذر منها»

****كقوله {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا} [الإسراء: 15]

{ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ رُجْرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فَتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ 71 قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ }

[الزمر: 71، 72]

قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا

فجمعوا بين تكذيبهم الخاص،

(وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ)

و التكذيب العام بكل ما أنزل الله ولم يكفهم ذلك،

(إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ)

حتى أعلنوا بضلال الرسل المنذرين و هم الهداة المهتدون،

ولم يكتفوا بمجرد الضلال، بل جعلوا ضلالهم، ضلالا كبيرا،

فأي عناد و تكبر و ظلم، يشبه هذا؟

(وَقَالُوا)

معترفين بعدم أهليتهم للهدى والرشاد:

(لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ)

فنفوا عن أنفسهم طرق الهدى،:-

1- و هي السمع لما أنزل الله، و جاءت به الرسل،

2- و العقل الذي ينفع صاحبه، و يوقفه على حقائق الأشياء، و إيثار الخير،

و الانزجار عن كل ما عاقبته ذميمة،

فلا سمع لهم و لا عقل،

و هذا بخلاف أهل اليقين و العرفان، و أرباب الصدق و الإيمان،

فإنهم أيدوا إيمانهم بالأدلة السمعية،

فسمعوا ما جاء من عند الله، و جاء به رسول الله، علمًا و معرفة و عملاً.

و الأدلة العقلية:

المعرفة للهدى من الضلال،

و الحسن من القبيح،

و الخير من الشر،

و هم - في الإيمان - بحسب ما من الله عليهم به من الاقتداء بالمعقول

و المنقول،

فسبحان من يختص بفضله من يشاء،

و يمن على من يشاء من عباده،

و يخذل من لا يصلح للخير.

***لَوْ كَانَتْ لَنَا عُقُولٌ نَنْتَفِعُ بِهَا أَوْ نَسْمَعُ مَا أُنْزِلَهُ اللَّهُ مِنَ الْحَقِّ،

لَمَا كُنَّا عَلَى مَا كُنَّا عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ بِاللَّهِ وَ الْإِغْتِرَارِ بِهِ،

وَ لَكِنْ لَمْ يَكُنْ لَنَا فَهْمٌ نَعِي بِهِ مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ،

وَ لَا كَانَ لَنَا عَقْلٌ يُرْشِدُنَا إِلَى اتِّبَاعِهِمْ،

قال تعالى عن هؤلاء الداخلين للنار، المعترفين بظلمهم و عنادهم:

(فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ)

أي: بعداً لهم و خسارة و شقاء.

فما أشقاهم و أرداهم، حيث فاتهم ثواب الله، و كانوا ملازمين للسعير،

التي تستعر في أبدانهم، و تطلع على أفئدتهم!

لما ذكر حالة الأشقياء الفجار، ذكر حالة السعداء الأبرار فقال:

(إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ)

أي: في جميع أحوالهم، حتى في الحالة التي لا يطلع عليهم فيها إلا الله،

فلا يقدمون على معاصيه، و لا يقصرون فيما أمر به

(لَهُمْ مَغْفِرَةٌ)

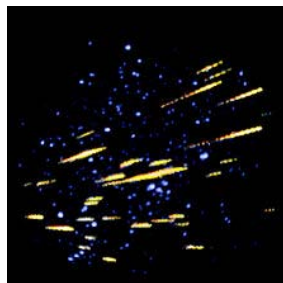
لذنوبهم، وإذا غفر الله ذنوبهم؛ وقاهم شرها، و وقاهم عذاب الجحيم،

(وَأَجْرٌ كَبِيرٌ)

و هو ما أعدده لهم في الجنة، من النعيم المقيم، و الملك الكبير،
و اللذات المتواصلات، و المشتهيات، و القصور و المنازل العاليات،
و الحور الحسنان، و الخدم و الولدان.
و أعظم من ذلك و أكبر، رضا الرحمن، الذي يحله الله على أهل الجنان.

العودة

من ويكيبيديا، الموسوعة الحرة



-الشهب هي أجرام سماوية تخترق الغلاف الغازي للأرض متأثرة
بالجاذبية الأرضية وتتراوح سرعتها ما بين 12- 72 كم في الثانية

-ويؤدي احتكاكها بالغلاف الجوي للأرض إلى ارتفاع حرارتها وتلاشيها في الجو بعد أن تظهر بشكل خطوط ضوئية، وتكثر رؤيتها عند الفجر، ويمكن رؤيتها بالعين المجردة ويمكن أيضاً تصويرها،

-وتتركب الشهب من حديد وسيليكات وذرات الكربون وغبار كوني وغازات متجمدة وبخار ماء وهي كما ترى من جبهة الأرض نفسها

فإن الشهب تنتج عن تفتت الكويكبات والمذنبات،

-و يزداد ظهور الشهب لدى تقاطع مدار الأرض مع المذنبات وبخاصة في شهر آب و التشرينين ومطلع كل عام

-و قد بلغ عدده 200 شهاب تقريباً في الدقيقة في 1799م و 1833م

-و شوهد حوالي مائة ألف شهاب في ساعة واحد سنة 1946م و 1966م

معدل زيادتها كما ترى ثلاث مرات في كل قرن من الزمان و أحياناً أكثر من ذلك لأن الشهب عبارة عن زخات دورية تحدث بفواصل زمنية أقصاها 33,5 سنة، ملايين الشهب تحدث في الغلاف الجوي كل يوم .

*سورة الحن «وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ

رَهَقاً 6 وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا 7 وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ

فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا 8 وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ

يَسْمِعُ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شُهَابًا رَصَدًا 9 وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدَ يَمْنٌ فِي الْأَرْضِ أَمْ

أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا 10»

سورة الصافات «إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ 6 وَحِفْظاً مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ 7 لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ 8 دُحُوراً وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ 9 إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ (10)»

سورة الحجر «وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ 16 وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ 17 إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ 18

وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ

﴿١٤﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾

أَمْ أَمِنْتُمْ مِنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ مِنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ

يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ

﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَائِدٌ وَيَقْبِضْنَ أَمْ يَمَسُّكُهُنَّ إِلَّا الرِّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ

﴿١٩﴾ أَمْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصَرُّكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ هَذَا

الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَمْ يَمَسُّكُمْ كَيْدٌ مِنْ رَبِّهِمْ يَهْدِي

أَمْ يَمَسُّ سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ

قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ

إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢٦﴾

وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾

﴿١٤﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ

هذا إخبار من الله بسعة علمه، و شمول لطفه فقال:

(وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ)

أي: كلها سواء لديه، لا يخفى عليه منها خافية،

ف—(إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ)

أي: بما فيها من النيات، و الإرادات، فكيف بالأقوال و الأفعال،
التي تسمع و ترى؟!

ثم قال - مستدلا بدليل عقلي على علمه - :

(أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ)

فمن خلق الخلق و أتقنه و أحسنه، كيف لا يعلمه؟!

(وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ)

الذي لطف علمه و خبره، حتى أدرك السرائر و الضمائر، و الخبايا و الخفيا
و الغيوب ،

و هو الذي (يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى)

و من معاني (اللَّطِيفُ)

أنه الذي يلطف بعبده و وليه، فيسوق إليه البر و الإحسان من حيث لا يشعر،
—و يعصمه من الشر، من حيث لا يحتسب،

و يرقيه إلى أعلى المراتب، بأسباب لا تكون من العبد على بال،

—حتى إنه يذيقه المكاره، ليتوصل بها إلى المحاب الجليلة، و المقامات النبيلة.

هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ

وَالَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾

(هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا)

*** سنن الترمذي ت شاكر -2344

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرُزِقْتُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ
تَغْدُو خِمَاصًا وَ تَرُوحُ بِطَانًا»
*** فَأَثْبَتَ لَهَا رَوَاحًا وَ غُدُوًّا لِطَلَبِ الرِّزْقِ،
مَعَ تَوَكُّلِهَا عَلَى اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ،
وَ هُوَ الْمَسْخَرُ الْمُسَيَّرُ الْمُسَبَّبُ

أي: هو الذي سخر لكم الأرض و ذللها،

لتدركوا منها كل ما تعلقتم به حاجتكم،

من غرس و بناء و حرث، و طرق يتوصل بها إلى الأقطار النائية و البلدان
الشاسعة،

(فَافْتَشُوا فِي مَنَاكِبِهَا)

* نواحيها و جوانبها :الميسر

*** فجاجها:بن كثير

وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ

أي: لطلب الرزق و المكاسب.

(وَالْيَا أَلَسُّورُ)

أي: بعد أن تنتقلوا من هذه الدار التي جعلها الله امتحاناً،

و بلغة يتبلغ بها إلى الدار الآخرة، تبعثون بعد موتكم،
و تحشرون إلى الله، ليجازيكم بأعمالكم الحسنة و السيئة.

ءَأَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ مِّنْ فِي
السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن
قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾

هذا تهديد و وعيد، لمن استمر في طغيانه و تعديه،
و عصيانه الموجب للنكال و حلول العقوبة، فقال:

(ءَأَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ)

و هو الله تعالى، العالي على خلقه.

(أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ)

*الجزائري: أي يجعلها بحيث تغورون فيها و تصبحون في جوفها

(فَإِذَا هِيَ تَمُورُ)

بكم و تضطرب، حتى تلتفكم و تهلككم .

(أَمْ أَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا)

***ريحا فيها حصاء تدمغكم

أي: عذابًا من السماء يحصبكم، و ينتقم الله منكم

(فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ)

أي: كيف يأتيكم ما أنذرتكم به الرسل و الكتب،
فلا تحسبوا أن أمنكم من الله أن يعاقبكم بعقاب من الأرض و من السماء
ينفعكم،

فستجدون عاقبة أمركم، سواء طال عليكم الزمان أو قصر،

(وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ)

فإن من قبلكم، كذبوا كما كذبتهم، فأهلكهم الله تعالى،

(فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ)

فانظروا كيف إنكار الله عليهم، عاجلهم بالعقوبة الدنيوية، قبل عقوبة الآخرة،
فاحذروا أن يصيبكم ما أصابهم.

أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَّيَتْ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرِّحْنُ

إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾

(أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَّيَتْ وَيَقْبِضْنَ)

الاعجاز العلمي من هنا

و هذا عتاب وحث على النظر إلى حالة الطير التي سخرها الله،
و سخر لها الجو والهواء، تصف فيه أجنحتها للطيران، و تقبضها للوقوع،
فتظل سابحة في الجو، مترددة فيه بحسب إرادتها و حاجتها.

***كقوله { أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } [النحل: 79]

(مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ)

فإنه الذي سخر لهن الجو، و جعل أجسادهن و خلقتهن في حالة مستعدة للطيران، فمن نظر في حالة الطير و اعتبر فيها، دلته على قدرة الباري، و عنايته الربانية، و أنه الواحد الأحد، الذي لا تنبغي العبادة إلا له،

(إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ)

فهو المدير لعباده بما يليق بهم، و تقتضيه حكمته.

أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِّنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴿٢٠﴾

أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾

يقول تعالى للعتاة النافرين عن أمره، المعرضين عن الحق:

(أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِّنْ دُونِ الرَّحْمَنِ)

أي: ينصركم إذا أراد بكم الرحمن سوءاً، فيدفعه عنكم؟

أي: من الذي ينصركم على أعدائكم غير الرحمن؟

فإنه تعالى هو الناصر المعز المذل، و غيره من الخلق،

لو اجتمعوا على نصر عبد، لم ينفعوه مثقال ذرة، على أي عدو كان،

فاستمرار الكافرين على كفرهم، بعد أن علموا أنه لا ينصرهم أحد من دون الرحمن، غرور وسفه

(إِنَّ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ)

غرهم الشيطان بأن لا عذاب ينزل بهم: ايسر التفاسير

(أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ)

أي: الرزق كله من الله، فلو أمسك عنكم رزقه، فمن الذي يرسله لكم؟

فإن الخلق لا يقدرّون على رزق أنفسهم، فكيف بغيرهم؟

فالرزاق المنعم، الذي لا يصيب العباد نعمة إلا منه،

هو الذي يستحق أن يفرد بالعبادة، و لكن الكافرون

(بَلْ لَّجُواْ)

أي: استمروا

(فِ عُنُوتٍ)

أي: قسوة و عدم لين للحق

(وَنُفُورٍ)

أي: شرود عن الحق.

أَمَّنْ يَمْشِ مَكِئَةً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِ سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾

(أَمَّنْ يَمْشِ مَكِئَةً)

*مَنْكَسًا : الميسر

(عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى)

أي: أي الرجلين أهدى؟

من كان تائها في الضلال، غارقاً في الكفر قد انتكس قلبه،
فصار الحق عنده باطلا و الباطل حقاً؟

(أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا)

و من كان عالمًا بالحق، مؤثراً له، عاملاً به،

(عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)

يمشي على الصراط المستقيم في أقواله و أعماله و جميع أحواله؟
فبمجرد النظر إلى حال هذين الرجلين، يُعلم الفرق بينهما،
و المهتدي من الضال منهما، و الأحوال أكبر شاهد من الأقوال.

*** وَ هَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِ وَ الْكَافِرِ،
فَالْكَافِرُ مَثَلُهُ فِيمَا هُوَ فِيهِ كَمَثَلِ مَنْ يَمْشِي مُكَبًّا عَلَى وَجْهِهِ، أَيْ: يَمْشِي
مُنْحَنِيًّا لَا مُسْتَوِيًّا عَلَى وَجْهِهِ،
أَيْ: لَا يَدْرِي أَيْنَ يَسْلُكُ وَ لَا كَيْفَ يَذْهَبُ؟
بَلْ تَأْتِيهِ حَائِرٌ ضَالٌّ، أَهَذَا أَهْدَى {أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا}

أَيْ: مُنْتَصِبَ الْقَامَةِ {عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}

أَيْ: عَلَى طَرِيقٍ وَاضِحٍ بَيِّنٍ، وَ هُوَ فِي نَفْسِهِ مُسْتَقِيمٌ، وَ طَرِيقُهُ مُسْتَقِيمَةٌ.
هَذَا مَثَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَ كَذَلِكَ يَكُونُونَ فِي الْآخِرَةِ.

فَالْمُؤْمِنُ يُحْشَرُ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ،
مُفَضَّضٌ بِهِ إِلَى الْجَنَّةِ الْفَيْحَاءِ،
وَأَمَّا الْكَافِرُ فَإِنَّهُ يُحْشَرُ يَمْشِي عَلَى وَجْهِهِ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ،
مسند أحمد ط الرسالة 8755

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ:
يُحْشَرُ النَّاسُ ثَلَاثَةَ أَصْنَافٍ:

1- صِنْفًا مُشَاةً

2- وَ صِنْفًا رُكْبَانًا،

3- وَ صِنْفًا عَلَى وُجُوهِهِمْ

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَ كَيْفَ يَمْشُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ؟

فَقَالَ: إِنَّ الَّذِي أَمْشَاهُمْ عَلَى أَقْدَامِهِمْ،

قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَمْشِيَهُمْ عَلَى وُجُوهِهِمْ،

أَمَّا إِنَّهُ يَتَّقُونَ بِكُلِّ حَدَبٍ وَ شَوْكٍ

قَالَ عَفَانُ: " يَتَّقُونَ بِوُجُوهِهِمْ كُلَّ حَدَبٍ وَ شَوْكٍ "

{ احْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ 22 مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى

صِرَاطِ الْجَحِيمِ 23 وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ 25 بَلْ هُمْ الْيَوْمَ

مُسْتَسْلِمُونَ } [الصافات: 22 - 26]

قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٣٣﴾ قُلْ هُوَ

الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٣٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٥﴾

قُلْ إِنَّمَا أَعْلَمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٣٦﴾

يقول تعالى - مبيِّناً أنه المعبود وحده، و داعياً عباده إلى شكره،
و إفراده بالعبادة - :

(قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ)

أي: أوجدكم من العدم، من غير معاون له و لا مظاهر، و لما أنشأكم،

(وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْتِدَةَ^ط)

كمل لكم الوجود بالسمع و الأبصار و الأفتدة،

التي هي أنفع أعضاء البدن و أكمل القوى الجسمانية، و لكنه مع هذا الإنعام

(فَلِيَلًا مَا تَشْكُرُونَ)

الله، قليل منكم الشاكر، و قليل منكم الشكر.

(قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ)

*** بَثَّكُمْ وَنَشَرَكُمْ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ وَ أَرْجَائِهَا،

مَعَ اخْتِلَافِ أَلْسِنَتِكُمْ فِي لُغَاتِكُمْ وَ أَلْوَانِكُمْ، وَ حُلَاكُمُ وَ أَشْكَالِكُمْ وَ صَوَرِكُمْ،

أي: بشكم في أقطارها، و أسكنكم في أرجائها، و أمركم، و نهاكم،

و أسدى عليكم من النعم، ما به تنتفعون،

(وَالْيَوْمَ تُحْشَرُونَ)

ثم بعد ذلك يحشركم ليوم القيامة.

و لكن هذا الوعد بالجزاء، ينكره هؤلاء المعاندون

(وَيَقُولُونَ)

تكذيبًا:

(مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)

جعلوا علامة صدقهم أن يخبروا بوقت مجيئه، و هذا ظلم و عناد

(قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ)

فإنما العلم عند الله لا عند أحد من الخلق،

و لا ملازمة بين صدق هذا الخبر وبين الإخبار بوقته،

فإن الصدق يعرف بأدلته،

و قد أقام الله من الأدلة و البراهين على صحته ما لا يبقى معه أدنى شك

لمن ألقى السمع و هو شاهد.

صَافَاتٍ وَيَقْبِضَنَّ "

العودة

إن الاعجاز في خلق الطيور لايتوقف عند حدود الصفات الشكلية والتشريحية التي وهبها إياها الله (سبحانه و تعالي) ،

ولكنه يتعدي ذلك علي إحكام صنعه إلي القدرات الفائقة التي أعطاها الخالق العظيم لهذه المخلوقات الضعيفة فمكنتها من اتقان المناورة في جو السماء بذكاء ودقة بالغين ،

و ذلك لأن هناك فرقا بين سرعة الجسم المتحرك في الهواء (AirSpeed)

و سرعته إذا تحرك علي سطح الأرض (Groundspeed).

فالسرعة في الهواء تعني سرعة هذا الجسم الغازي مرورا فوق الجسم المتحرك ،

أما سرعته علي الأرض فتعني سرعة الجسم المتحرك نفسه في اختراقه للغلاف الغازي المحيط بالأرض و الذي تصل سرعته الي الصفر فوق سطح الأرض أيا كانت سرعته في مستوياته الأعلى ،

لذلك يتم طيران الطيور بمناورات بالغة الذكاء والدقة . ويتم طيران الطيور بعمليتين أساسيتين هما الصف أو التحليق (GlidingorSoaring)

و القبض ، أو الخفق ، أو الرفرفة ، أو ضم الجناحين
وبسطهما ،

أو مايعرف أحيانا باسم التصفيق بالجناحين (Flapping)
و الصف أو التحليق هو بسط الجناحين إلي أقصى
امتداداتهما ، دون تحريكهما علي هيئة سطح انسياب هوائي
(Airfoil) حاكاه الانسان في صنع جناحي الطائرة .

و باندفاع الطائر وسط كتلة الهواء يندفع الهواء إلي أسفل
الجناحين مما يزيد الضغط عليهما

فيساعد ذلك الطائر علي الارتفاع الي أعلي ،

و علي التقدم بالانزلاق الي الأمام

و يتحقق دفع الطائر الي الأمام بتحكمه في زاوية ميل كل
جناح من الجناحين ،

و في درجة انحناء كل منهما ،

و بذلك يتحرك الهواء بسرعة فوق الجناحين وأمامهما

تزيد علي سرعته أسفل منهما وخلفهما مما يقلل الضغط
فوق الجناحين ،

و أمام الطائر باستمرار فيساعده علي الاندفاع في الطيران
إلي الأمام ،

و إلي أعلي كلما أراد ذلك العودة

و من الذكاء الفطري الذي وهبه الله (تعالي) للطيور

مايمكنها من ركوب متن التيارات الهوائية أو الرياح ،

في عملية تسمى عملية التزلج الديناميكي
(Dynamicsoaring).

وتعرف الرياح بأنها الهواء المتحرك حركة مستقلة عن
ارتباطه بجاذبية الأرض ،

و يلعب الدور الرئيسي في ذلك اختلاف معدلات الضغط
الجوي باختلاف درجات الحرارة من منطقة إلي أخرى
وباختلاف كم الطاقة الشمسية عبر خطوط العرض
المختلفة ، و دوران الأرض حول محورها ،
بالإضافة الي تباين التضاريس الأرضية .

و تقسم الرياح بالنسبة لارتفاعها إلي
رياح سطحية ، ومتوسطة ، ومرتفعة .
وبالنسبة لشدتها من صفر للرياح الساكنة الي 12 درجة
أعلاها (الأعاصير) .

و نتيجة لذلك تكونت دورة عامة للرياح شديدة الانتظام
حول الأرض و ذات عدة دوائر كبيرة بين خط الاستواء
وكل واحد من قطبي الأرض مع وجود عدد من الجبهات
الهوائية بين تلك الدوائر ،

و يزيد من تعقيد هذه الصورة التباين بين اليابسة والماء ،
وفي تضاريس اليابسة ، و الاختلافات الفصلية ،
و ما ينشأ عن ذلك من حركات أفقية ورأسية للرياح
تستغلها الطيور في حركتها في الهواء بذلك بارع ،

فإذا كانت الرياح أفقية فإن الطيور تصف في خطوط مستقيمة موازية تماما لاتجاه هبوب الرياح ، وإذا كانت الرياح رأسية استغلتها الطيور الصافة في الارتفاع الي أعلي في أشكال حلزونية موازية تماما لحركة دوامات الرياح الي أعلي .

والطيران بواسطة الصف أي الانزلاق المستمر (ConstantGliding) شائع في الطيور الكبيرة خاصة اذا أرادت التحرك لمسافات بعيدة .

أما القبض أو الخفق أو الرفرفة (Flapping) فهي طريقة الطيران المثلي لمسافات قصيرة ،

و تنتشر بالأخص بين الطيور الصغيرة الحجم ، [العودة](#) و هذه الطريقة تستدعي حركتين سريعتين هما الضرب بالجنحين إلي أسفل ثم إلي أعلي ، و الحركة الأولى تدفع بالطائر الي الأمام ، و الثانية تدفع به إلي أعلي ،

خاصة إذا كانت مقدمة الجناح مائلة إلي الأمام ولو قليلا مما يدفع بالهواء إلي الخلف ويدفع بالطائر الي الأمام ، بينما يبقي معظم الجناح عموديا علي الجسم فيساعد في ارتفاع الطائر إلي أعلي ،

وبذلك يتحقق للطائر كل من الدفع إلي الأمام والرفع الي أعلي ، ويتحكم في ذلك الطائر بتحكمه في حركة أجنحته

وعادة ماتضم الطيور اجنحتها في أثناء الضرب إلي أعلي كي لاتدفع بكميات كبيرة من الهواء في هذا الاتجاه ، وإذا وصل الطائر إلي السرعة المناسبة له قبض جناحيه إلي جنبه ويظل محمولا بقوة الاندفاع المكتسبة من قبل ، وبتغيير درجة ميل أي من الجناحين يستطيع الطائر تغيير اتجاهه في الهواء حيث يشاء ، و مهما كانت سرعة الرياح من حوله ، و يعينه في ذلك ذنبه الذي يلعب دورا مهما في تلك المناورات.

و يستطيع الطائر أن يحقق رفع جسمه إلي أعلي بسرعة الضرب بجناحيه إلي أعلي و أسفل مستخدما في ذلك عضلات صدره القوية و قد تصل حركة الجناحين إلي سبعين خفقة في الثانية ، وتصل سرعة الطائر الي حوالي المائة كيلو متر في الساعة كما هو الحال في الطائر المعروف باسم الطنان الذي يضرب بجناحيه الي الأمام والخلف في عملية شبيهة تماما بعملية التجديف في الماء فيرسم بحركة جناحيه في الهواء الرقم (8) في وضع أفقي بالنسبة إلي جسم الطائر مما يمكنه من تحريك جسمه مع كل ضربة إلي أعلي أو إلي أسفل.

ومن الابداع الإلهي في خلق الطيور ارتباط جناحي الطائر
بجسمه بواسطة نظام دقيق من المفاصل يسمح للطائر
بتغيير زاوية ميل كل جناح علي حدة بالنسبة لجسمه ،
ففي الضرب بالجناحين إلي أسفل يكونان مفرودين إلي
أقصى امتداداتهما باستقامة كاملة عموديا علي الجسم مما
يمكنهما باندفاعهما إلي الأمام من دفع أكبر كمية ممكنة
من الهواء إلي أسفل فيرتفع ذلك بالطائر الي أعلي وإلي
الأمام ، العودة

ولكن في رفع الجناحين إلي أعلي يضمهما الطائر بإلهام من
الله الخالق (سبحانه وتعالى)
كي لا يدفعا إلي أعلي إلا قدرا ضئيلا من الهواء تماما كما
يفعل الذي يقوم بالتجديف في الماء بين ضربته الخلفية
الشديدة التي تدفعه إلي الأمام ،
و ضربته الأمامية الخفيفة التي تهيئ للضربة الخلفية
التالية.

ومن الفطرة التي فطر الله (تعالى) الطيور عليها البدء
بالطيران المنخفض البطئ
ثم زيادة كل من السرعة والارتفاع بالتدريج
حتي تصل الي أقصى معدلات ذلك ،
والطيور عادة ماتتحرك في الهواء بسرعات تتراوح بين (30)
و (50) كيلو مترا في الساعة ،
وقد يتزايد ذلك إلي (75) كيلو مترا في الساعة ،

ولكنها إذا طوردت فإن بإمكانها زيادة سرعتها الي أكثر من 100 كيلو متر في الساعة ،

ولكن بعض الجوارح من الطيور مثل الصقور لها سرعات أعلي بكثير إذ تتراوح سرعات طيرانها بين 160 و 320 كيلو مترا في الساعة.

ويمكن للطائر ان يستمر في الطيران لمدد تتراوح بين 5 و 6 ساعات متصلة بسرعات تتراوح بين 25 و 30 كيلو مترا في الساعة.

ومعظم الطيور لاتكاد تتعدي في طيرانها ارتفاع 150 مترا فوق مستوي سطح البحر ،

ولكنها في هجراتها الطويلة ترتفع الي منسوب 3000 مترا في المتوسط فوق مستوي سطح البحر (بمدي يتراوح بين 1500 متر ، و 6000 متر)

وذلك للاستفادة بالتناقص الشديد في كل من الضغط والحرارة عند تلك الارتفاعات ،

ولتجنب الجفاف بالبعد عن الهواء الحار الملامس لسطح الأرض والقريب منه في أثناء بذل هذا المجهود المضني في رحلات الهجرة الطويلة ،

وأعلي ارتفاع شوهدت عليه هجرة الطيور وصل الي نحو التسعة كيلو مترات حين شوهدت من إحدى الطائرات ،

وذلك لأن الله (تعالى) قد وهب الطيور قدرات خاصة لاستخلاص أقل قدر ممكن من أكسجين الهواء الذي تتناقص نسبته بالارتفاع وهو ما لا يستطيعه الانسان وما لا يستطيعه جميع الحيوانات الثديية ومنها الخفافيش.

العودة

ثالثا في قوله تعالى **"مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ"** من كل ماسبق يتضح بجلاء لكل ذي بصيرة أن الذي فطر الطير علي صفات شكلية وتشريحية محددة أعطته القدرة علي الطيران هو الله الخالق (سبحانه وتعالى) ، والذي زوده بقدر من الذكاء وحسن الادراك ليتمكنه من حسن القيام بالمناورات المعقدة وهو في مهب الريح بصف جناحيه في الوقت المناسب ، وخفقهما أو قبضهما في الوقت المناسب ، وإمالة جناحيه ، أحدهما أو كليهما ، بالزوايا المناسبة ، فوهبه بذلك القدرة علي التحكم في الاتجاه ، والارتفاع ، والسرعة المناسبة في كل حالة ، وعلي الاقلاع والهبوط حيث أراد ، وعلي الانقضاض علي الأرض والارتفاع عنها في لمح البصر والذي وهب الطير كل ذلك هو الله الخالق (جلت قدرته) ،

وهذا الإله الخالق ، المبدع ، المصور ، الرحمن ، الرحيم يمسك بالطير في جو السماء بالنواميس التي وضعها باحكام وقدرة بالغين . في كل من الغلاف الغازي للأرض وجسم

الطير ، وفي تصريف الرياح ، والتوزيع الدقيق لتضاريس الأرض ، وتوزيع درجات الحرارة علي سطحها ، فجاء كل أمر منها في تناسق فريد ، وتناغم معجز يشهد لله (تعالي) بطلاقة القدرة ، وعظيم الصنعة ، وإبداع الخلق !!
ولم يكن لأحد من الخلق إدراك لتفاصيل حركات الطير في جو السماء إلا في القرنين الماضيين ،

تلك الحركات المعقدة والدقيقة التي لم يستطع الانسان محاكاة شيء منها إلا في القرن العشرين ،
و في العقود المتأخرة منه علي وجه التحديد ،
و بعد مجاهدات طويلة وعسيرة استغرقت جل أعمار الآلاف من العلماء ، لعشرات ، بل لمئات من السنين ، حتي أصبحت حركات الطير في جو السماء علما يدرس في أغلب جامعات العالم تحت مسمي هندسة الطيران

(ويشمل علوم التحرك في الهواء ، ديناميكية الهواء ، بناء الطائرات والنفاثات والصواريخ ، والملاحة في الهواء) ،
والمعلم الأول في هذا العلم هو الطير

العودة

" صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرِّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ "

من هنا تأتي هذه الإشارة القرآنية المعجزة سبقا علميا بثلاثة عشر قرنا للمعارف الانسانية كلها التي لم تتمكن من بناء طائرة بدائية جدا إلا في مطلع القرن العشرين
1903 م) .

وهذا السبق العلمي لايمكن لعاقل أن يتخيل له مصدرا غير

الله الخالق الذي أنزل القرآن الكريم بعلمه علي خاتم أنبيائه
ورسله ، وحفظه بعهدده في ذات لغة وحيه (اللغة العربية)
علي مدي أربعة عشر قرنا أو يزيد ،
وإلي أن يرث الله (تعالي) الأرض ومن عليها ،
فالحمد لله علي نعمة القرآن الكريم ، والحمد لله علي بعثة
خاتم الأنبياء والمرسلين (ﷺ) ،
والحمد لله الذي حفظ لنا رسالته الخاتمة في صفائها
الرباني ، واشراقاتها النورانية في كتابه العزيز ،
وسنة نبيه المطهرة "
والله غالب علي أمره ولكن أكثر الناس لايعلمون "!!...!!

فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ ﴿٢٧﴾

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِى اللَّهُ وَمَنْ مَعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾

قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٩﴾

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴿٣٠﴾

سورة القلم بسم الله الرحمن الرحيم

ت وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنْتَ بِمُعْجِزٍ لِمَنْ كَانَ لَكَ أَجْرٌ أَعِزَّ مَمْنُونٍ ﴿٢﴾

وَأِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَبِّحْهُ وَابْحُرْهُ وَيُبْصِرْهُ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ

أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تَطِعِ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا لَوْ يُدْهِنُ

فَيْدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تَطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَشْأَمٍ بَنِيمٍ ﴿١١﴾ مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ

أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾

إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾

فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ ﴿٢٧﴾

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِى اللَّهُ وَمَنْ مَعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ

﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٩﴾

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴿٣٠﴾

يعني أن محل تكذيب الكفار وغرورهم به حين كانوا في الدنيا، فإذا كان يوم
الجزاء، ورأوا العذاب منهم

(فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً) أي: قريبًا،

*** لَمَّا قَامَتِ الْقِيَامَةُ وَ شَاهَدَهَا الْكُفَّارُ،
وَرَأَوْا أَنَّ الْأَمْرَ كَانَ قَرِيبًا؛ لِأَنَّ كُلَّ مَا هُوَ آتٍ آتٍ وَإِنْ طَالَ زَمَنُهُ،
فَلَمَّا وَقَعَ مَا كَذَّبُوا بِهِ سَاءَ هُمْ ذَلِكَ، لَمَّا يَعْلَمُونَ مَا لَهُمْ هُنَاكَ مِنَ الشَّرِّ،
أَيُّ: فَأَحَاطَ بِهِمْ ذَلِكَ، وَ جَاءَهُمْ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِي بَالٍ
وَلَا حِسَابٍ،

{وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا 4
وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} [الزُّمَرِ: 47، 48] ؛

(سَيِّئَاتُ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا)

ساءهم ذلك و أفضعهم، و قلقل أفئدتهم،
فغيرت لذلك وجوههم، و وبخوا على تكذيبهم،

(وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهٖ تَدْعُونَ)

*** وَلِهَذَا يُقَالُ لَهُمْ عَلَى وَجْهِ التَّقْرِيعِ وَ التَّوْبِيخِ

(تَدْعُونَ)

أَيُّ: تَسْتَعْجِلُونَ.

و قيل لهم هذا الذي كنتم به تكذبون، فالיום رأيتموه عيانًا،

و انجلى لكم الأمر، و تقطعت بكم الأسباب و لم يبق إلا مباشرة العذاب.

(قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِیَ اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا)

و لما كان المكذبون للرسول ﷺ، الذين يردون دعوته،
ينتظرون هلاكه، و يتربصون به ريب المنون، أمره الله أن يقول لهم:-
أنتم و إن حصلت لكم أمانیکم و أهلكني الله و من معي،
فليس ذلك بنافع لكم شيئاً، لأنکم کفرتم بآيات الله، و استحققتم العذاب،
***فَسَوَاءٌ عَذَبَنَا اللَّهُ أَوْ رَحِمَنَا،

(فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ)

***يحميكم: الميسر

فمن يجيركم من عذاب أليم قد تحتم وقوعه بكم؟
فإذا، تعبكم و حرصكم على هلاكي غير مفيد، و لا مجد عنكم شيئاً.

(قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ)

و من قولهم، إنهم على هدى، و الرسول على ضلال،
أعادوا في ذلك و أبدوا، و جادلوا عليه و قاتلوا،
فأمر الله نبيه أن يخبر عن حاله و حال أتباعه،
ما به يتبين لكل أحد هداهم و تقواهم، و هو أن يقولوا:

(ءَامَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا)

و الإيمان يشمل التصديق الباطن، و الأعمال الباطنة و الظاهرة،

و لما كانت الأعمال، وجودها و كمالها، متوقفة على التوكل،
خص الله التوكل من بين سائر الأعمال، و إلا فهو داخل في الإيمان،
و من جملة لوازمه كما قال تعالى:

{ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } [المائدة: 23]

***كقوله {فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ} [هُود: 123]

فإذا كانت هذه حال الرسول و حال من اتبعه، و هي الحال التي تتعين للفلاح،
و تتوقف عليها السعادة، و حالة أعدائه بضدها، فلا إيمان لهم و لا توكل،

(فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)

علم بذلك من هو على هدى، و من هو في ضلال مبين.
*** مِمَّا وَمِنْكُمْ، وَ لِمَنْ تَكُونُ الْعَاقِبَةُ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ؟
ثم أخبر عن انفراده بالنعمة،

خصوصًا بالماء الذي جعل الله منه كل شيء حي فقال:

(قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا)

أي: غائرًا

*** ذَاهِبًا فِي الْأَرْضِ إِلَى أَسْفَلٍ، فَلَا يُنَالُ بِالْفُئُوسِ الْجِدَادِ، وَ لَا السَّوَاعِدِ
الشَّدَادِ،
وَ الْغَائِرُ: عَكْسُ النَّابِعِ

(فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ)

* بماء جارٍ على وجه الأرض ظاهر للعيون؟: الميسر

○ تشربون منه، و تسقون أنعامكم و أشجاركم و زروعكم؟

و هذا استفهام بمعنى النفي،

أي: لا يقدر أحد على ذلك غير الله تعالى.

***جاء في مقالات الكحيل:**

((دورة الماء بين العلم والإيمان))

إن قانون الجاذبية والذي يعني أن الأثقل ينزل للأسفل والأخف يصعد للأعلى،

هذا القانون يحافظ على وجود الماء تحت سطح الأرض و ضمان تدفقه على شكل ينابيع.

-ولو أن كثافة الماء كانت أعلى مما هي عليه الآن لغار الماء في الأرض

و لم يتمكن من التدفق من خلال الينابيع والأنهار.

و هنا يتجلى قوله تعالى:

{قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَأْوُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ}

[الملك30].

ولو أن كمية المياه المتساقطة على شكل أمطار كانت أقل مما هي عليه، لغار الماء في الأرض.

فكمية الأمطار الهاطلة مناسبة تماماً لطبيعة القشرة الأرضية و سماكتها ونوعية صخورها وترابها.

و لو أن كثافة الماء كانت أقل مما هي عليه الآن لم يستطع الماء المكوث في الأرض و ذهب إلى السطح و تبخر.

و هنا أيضاً نقف عند قوله تعالى:

{وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ}

[المؤمنون 18].

68 - تفسير سورة ن- و هي مكية- بسم الله الرحمن الرحيم

ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ
مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتَبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَيِّكُمْ
الْمُفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ
وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾

(ن ٤)

*** هو الحوت

في صحيح البخاري

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَلَغَ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ مَقْدَمَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
الْمَدِينَةَ فَأَتَاهُ، فَقَالَ:

إِنِّي سَأَلْتُكَ عَنْ ذَلِكَ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ
قَالَ: مَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ؟

وَمَا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ؟

وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزَعُ الْوَلَدُ إِلَى أَبِيهِ؟

وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزَعُ إِلَى أَخَوَالِهِ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَبَرَنِي بِهِنَّ آتِفًا جَبْرِيلُ»

قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ ذَاكَ عَدُوُّ الْيَهُودِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ،

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
 أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَتَارُ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ،
 وَ أَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فزِيَادَةُ كَبِدِ حُوتٍ،
 وَ أَمَّا الشَّبَهُ فِي الْوَلَدِ:
 فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَشِيَ الْمَرْأَةَ فَسَبَقَهَا مَاؤُهُ كَانَ الشَّبَهُ لَهُ،
 وَ إِذَا سَبَقَ مَاؤُهَا كَانَ الشَّبَهُ لَهَا "
 قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ،
 ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الْيَهُودَ قَوْمٌ بُهَتُّ،
 إِنَّ عِلْمُوا بِإِسْلَامِي قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَهُمْ بِهِتُونِي عِنْدَكَ،
 فَجَاءَتِ الْيَهُودُ وَدَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ الْبَيْتَ،
 فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيُّ رَجُلٍ فِيكُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ»
 قَالُوا أَعْلَمْنَا، وَ ابْنُ أَعْلَمْنَا، وَ أَخِيرْنَا، وَ ابْنُ أَخِيرْنَا،
 فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُ اللَّهِ»
 قَالُوا: أَعَادَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ، فَخَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ إِلَيْهِمْ
 فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ،
 فَقَالُوا: شَرُّنَا، وَ ابْنُ شَرِّنَا، وَ وَقَعُوا فِيهِ ()

(أشراط الساعة) علاماتها.

(أنفا) الآن وأول وقت يقرب مني مما مضى.

(تحشر) تجمع.

(زياة كبد الحوت) هي القطعة المنفردة المتعلقة بالكبد وهي أطيبها وألذها.

(غشي المرأة) جامعها.

(ماؤه) منيه.

(وَالْقَلَمِ)

يقسم تعالى بالقلم، وهو اسم جنس شامل للأقلام،
التي تكتب بها أنواع العلوم،

(وَمَا يَسْطُرُونَ)

و يسطر بها المنشور والمنظوم، و ذلك أن القلم و ما يسطرون به من أنواع
الكلام،

من آيات الله العظيمة، التي تستحق أن يقسم الله بها،
على براءة نبيه محمد ﷺ، مما نسبته إليه أعداؤه من الجنون

*** (وَالْقَلَمِ:)

1-الظاهر انه هو جنس القلم الذي يكتب به
كقوله { اِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ 3 الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ 4 عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ }
[العلق: 3 - 5]

2-المراد به القلم الذي اجراه الله بالقدر حين كتب مقادير الخلائق
قبل ان يخلق السموات و الارض بخمسين الف عام
تفسير الطبري

عن أَبِي عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ: يَا بُنَيَّ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:

(بهت) جمع بهوت وهو كثير البهتان وهو أسوأ الكذب أي كذابون وممارون لا يرجعون إلى الحق.

(ووقعوا فيه) أي ذموه وطعنوا فيه]

" إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ:
اَكْتُبْ فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ "

(مَا أَنْتَ بِنِعْمَةٍ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ)

فنفى عنه الجنون بنعمة ربه عليه و إحسانه، حيث من عليه بالعقل الكامل،
و الرأي الجزل، و الكلام الفصل، الذي هو أحسن ما جرت به الأقلام،
و سطره الأنام،
و هذا هو السعادة في الدنيا، ثم ذكر سعادته في الآخرة، فقال:

(وَلِإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا)

أي: عظيمًا، كما يفيدته التنكير،

(عِزٌّ مَمْنُونٍ)

أي: غير مقطوع، بل هو دائم مستمر، و ذلك لما أسلفه النبي ﷺ
من الأعمال الصالحة، و الأخلاق الكاملة،

و لهذا قال: **(وَلِإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)**

أي: عاليًا به، مستعليًا بخلقك الذي من الله عليك به،
و حاصل خلقه العظيم، ما فسرت به أم المؤمنين، عائشة - رضي الله عنها -
لمن سألها عنه، فقالت: **« كان خلقه القرآن »** ،

*** صحيح مسلم -746

عن سعد بن هشام قال:

يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْبِئِينِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَتْ:
«أَلَسْتُ تَقْرَأَ الْقُرْآنَ؟»
قُلْتُ: بَلَى،

قَالَتْ: «فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ كَانَ الْقُرْآنَ»

و ذلك نحو قوله تعالى له:

{ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ } [الأعراف: 199]

{ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ }

[آل عمران: 159]

{ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ }

{ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ } [التوبة: 128]

و ما أشبه ذلك من الآيات الدالات على اتصافه ﷺ بمكارم الأخلاق،

و الآيات الحاثات على الخلق العظيم فكان له منها أكملها و أجلها،

و هو في كل خصلة منها، في الذروة العليا،

فكان ﷺ سهلاً لينا، قريباً من الناس،

مجيباً لدعوة من دعاه، قاضياً لحاجة من استقضاه،

جابراً لقلب من سألته، لا يحرمه، و لا يرده خائباً،

و إذا أراد أصحابه منه أمراً وافقهم عليه، و تابعهم فيه إذا لم يكن فيه محذور،

و إن عزم على أمر لم يستبد به دونهم، بل يشاورهم و يؤامرهم،

و كان يقبل من محسنهم، و يعفو عن مسيئهم،

و لم يكن يعاشر جليسا له إلا أتم عشرة و أحسنها،
فكان لا يعبس في وجهه، و لا يغلظ عليه في مقاله،
و لا يطوي عنه بشره، ولا يمسك عليه فلتات لسانه،
و لا يؤاخذ به بما يصدر منه من جفوة،
بل يحسن إلى عشيره غاية الإحسان، و يحتمله غاية الاحتمال ﷺ.
فلما أنزله الله في أعلى المنازل من جميع الوجوه،
و كان أعداؤه ينسبون إليه أنه مجنون مفتون قال:

فَسْتَبْصِرُ وَ يُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ يَا أَيُّكُمْ الْمَفْتُونُ

*** {سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشْرُ} [القمر: 26]

و قد تبين أنه أهدى الناس، و أكملهم لنفسه و لغيره،
و أن أعداءه أضل الناس، و شر الناس للناس،
و أنهم هم الذين فتنوا عباد الله، و أضلوهم عن سبيله،
و كفى بعلم الله بذلك، فإنه هو المحاسب المجازي.

وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ

و هذا فيه تهديد للضالين، و وعد للمهتدين، و بيان لحكمة الله،
حيث كان يهدي من يصلح للهداية، دون غيره.

فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيْدِهِنُوتَ ﴿٩﴾

وَلَا تُطِيعْ كُلَّ حَلَّافٍ مِّمَّهِينَ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنِيمٍ ﴿١١﴾

مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾

عُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَيْمٌ ﴿١٣﴾ أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾

إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾

يقول الله تعالى، لنبيه ﷺ:

(فَلَا تُطِيعِ الْمُكَذِّبِينَ)

الذين كذبوك و عاندوا الحق، فإنهم ليسوا أهلاً لأن يطاعوا،
لأنهم لا يأمرون إلا بما يوافق أهواءهم، و هم لا يريدون إلا الباطل،
فالمطيع لهم مقدم على ما يضره، و هذا عام في كل مكذب،
و في كل طاعة ناشئة عن التكذيب،
و إن كان السياق في شيء خاص،
و هو أن المشركين طلبوا من النبي ﷺ، أن:-

يسكت عن عيب آلهتهم و دينهم، و يسكتوا عنه، ولهذا قال:

(وَدُّواْ)

أي: المشركون

(لَوْ نُدِّهْنُ)

* تلاينهم، وتصانعهم: الميسر

أي: توافقهم على بعض ما هم عليه،
إما بالقول أو الفعل أو بالسكوت عما يتعين الكلام فيه،

(فَيُدْهِنُونَ)

* فيلينون لك. :الميسر

○ ولكن اصدع بأمر الله، و أظهر دين الإسلام، فإن تمام إظهاره،
بنقض ما يصاده، و عيب ما يناقضه.

(وَلَا تَطْعَ كُلَّ حَلَاظٍ)

أي: كثير الحلف، فإنه لا يكون كذلك إلا و هو كذاب،
و لا يكون كذابًا إلا و هو

(مَهِينٍ)

أي: خسيس النفس، ناقص الهمة، ليس له همة في الخير،
بل إرادته في شهوات نفسه الخسيسة.

(هَمَّازٍ)

أي: كثير العيب للناس و الطعن فيهم بالغيبة و الاستهزاء، وغير ذلك.

(مَشَّاءٍ يَنْمِيحٍ)

أي: يمشي بين الناس بالنميمة،

و هي: نقل كلام بعض الناس لبعض، لقصد الإفساد بينهم،
و إلقاء العداوة و البغضاء.

*** صحيح البخاري -218

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِقَبْرَيْنِ، فَقَالَ:
«إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَ مَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ،
أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنَ الْبَوْلِ،
وَ أَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ»

صحيح البخاري -6056

عَنْ هَمَّامٍ، قَالَ: كُنَّا مَعَ حُذَيْفَةَ، فَقِيلَ لَهُ:
إِنَّ رَجُلًا يَرْفَعُ الْحَدِيثَ إِلَى عُثْمَانَ،
فَقَالَ لَهُ حُذَيْفَةُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ:
«لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَاتٌ» ()

(مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ)

الذي يلزمه القيام به من النفقات الواجبة والكفارات والزكوات وغير ذلك،

(مُعْتَدٍ) على الخلق في ظلمهم، في الدماء والأموال والأعراض

يرفع الحديث إلى عثمان)

أي ينقل كلام الناس إلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه.
(قتات) النمام وقيل هو الذي يتسمع على القوم وهم لا يعلمون ذلك ثم ينقل ما سمعه
منهم]

(أَيْمٍ) أي: كثير الإثم والذنوب المتعلقة في حق الله تعالى.

(عُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ) أي: غليظ شر الخلق -قاس- غير منقاد للحق

(زَنِيمٍ)

*** صحيح البخاري -4917

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا،

{عُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ} [القلم: 13] قَالَ:

«رَجُلٌ مِنْ قَرِيْشٍ لَهُ زَمَةٌ مِثْلُ زَمَةِ الشَّاةِ» ()

صحيح البخاري -4918

حَارِثَةُ بْنُ وَهْبٍ الْخُزَاعِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ:

" أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبَرِّهِ،

أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ: كُلُّ عُتْلٍ، جَوَاطِ مُسْتَجِرٍ " ()

(عتل) غليظ جاف شديد الفتك وقيل الأكل الشروب القوي الشديد.

(بعد ذلك) مع ذلك.

(زنيم) دعي ملحق النسب ملصق بالقوم وليس منهم والزنيم أيضا اللئيم المعروف بلؤمه

وشره.

(رجل) هو الوليد ابن المغيرة وقيل غيره.

(زمة) قطعة جلد أو لحم زائدة.

(زمة الشاة) هي ما يقطع من أذنها ويترك معلقا

(متضعف) بكسر العين متواضع لين هين وروي بفتح العين أي يستضعفه الناس ويحتقرونه.

(أقسم) حلف يميناً طمعا في كرم الله تعالى.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِي، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:
"عِنْدَ ذِكْرِ أَهْلِ النَّارِ كُلِّ جَعْظَرِيٍّ جَوَاطٍ مُسْتَكْبِرٍ جَمَاعٍ مَنَاعٍ" ()

○دعي، ليس له أصل و لا مادة ينتج منها الخير،

بل أخلاقه أقبح الأخلاق،

و لا يرجى منه فلاح،

له زنمة أي: علامة في الشر، يعرف بها.

و حاصل هذا، أن الله تعالى نهى عن طاعة كل:-

حلاف كذاب، خسيس النفس، سيئ الأخلاق،

خصوصًا الأخلاق المتضمنة للإعجاب بالنفس،

و التكبر على الحق و على الخلق، و الاحتقار للناس،

كالغيبة و النميمة، و الطعن فيهم، و كثرة المعاصي.

و هذه الآيات - و إن كانت نزلت في بعض المشركين،

كالوليد بن المغيرة أو غيره

لقوله عنه:

(لأبره) لحقق له ما أقسم عليه ولأجاب طلبه ودعاه.

(جواط) شديد الصوت في الشر متكبر مختال في مشيته[

جَعْظَرِيٍّ:الفظ الغليظ جَوَاطٍ :الجموع المنوع

(أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ)

أي: لأجل كثرة ماله و ولده،

(إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِ أَيْدُنُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ)

طغى واستكبر عن الحق، و دفعه حين جاءه،

و جعله من جملة أساطير الأولين، التي يمكن صدقها و كذبها-

فإنها عامة في كل من اتصف بهذا الوصف،

لأن القرآن نزل لهداية الخلق كلهم، و فيه أول الأمة و آخرهم،

و ربما نزل بعض الآيات في سبب أو في شخص من الأشخاص،

لتتضح به القاعدة العامة،

و يعرف به أمثال الجزئيات الداخلة في القضايا العامة.

سَنَسِمْهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾ إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾
وَلَا يَسْتَنْتُونَ ﴿١٨﴾ فَنَافَ عَلَيْهِ طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُرُّ طَائِفُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَنَادُوا مُصْبِحِينَ
﴿٢١﴾ أَنْ أَغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٢﴾ فَأَنْطَلَقُوا وَهُمْ يَخْفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ
مُسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدُوا عَلَى حَرٍِّ قَدِيرٍ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَأَصْأَلُونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مُخْرُجُونَ ﴿٢٧﴾
قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسْمِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ضَالِّينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى
بَعْضٍ يَتَلَوُمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَا بَنِي آدَمَ كُنَّا طَائِفِينَ ﴿٣١﴾ عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَ لَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ
﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴿٣٤﴾
أَفَجَعَلَ لِلْيَسِيرِينَ كَالْجَرِيمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾
إِنْ لَكُمْ فِيهِ لَمَّا تَخْبِرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَلِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾
سَلِّمُوا بِهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٤١﴾
يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾

سَنَسِمْهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾

ثم تواعد تعالى من جرى منه ما وصف الله،
بأن الله سيسمه على خرطومه في العذاب،
و ليعذبه عذاباً ظاهراً، يكون عليه سمة و علامة،
في أشق الأشياء عليه، و هو وجهه.

إِنَّا بَلَوْتَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَنْتُونَ ﴿١٨﴾
 فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَنَادَوْا مُصْبِحِينَ
 ﴿٢١﴾ أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِن كُنْتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَأَنْطَلَقُوا وَهُمْ يَخْفَوْنَ ﴿٢٣﴾
 أَن لَّا يَدْخُلَتْهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدُوا عَلَى حَرٍِّ قَدِيرٍ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا
 لَصَّٰلُونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا
 سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوُمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَوَيْلَنَا
 إِنَّا كُنَّا طَالِعِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾
 كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ ۖ وَالْعَذَابُ الْآخِرُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾

إلى آخر القصة يقول تعالى:

إِنَّا بَلَوْتَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ

إنا بلونا هؤلاء المكذبين بالخير و أمهلناهم،
 و أمددناهم بما شئنا من مال و ولد،
 و طول عمر، و نحو ذلك، مما يوافق أهواءهم،
 لا لكرامتهم علينا، بل ربما يكون استدراجاً لهم من حيث لا يشعرون
 فاغترارهم بذلك نظير اغترار أصحاب الجنة، الذين هم فيها شركاء،

حين زهت ثمارها أينعت أشجارها، و آن وقت صرامها،
و جزموا أنها في أيديهم، و طوع أمرهم، و أنه ليس ثم مانع يمنعهم منها،

(لَا أَقْسَمُوا)

و لهذا أقسموا

أنهم (لَيَصْرِمُنَّهَا)

أي: يجذونها

(مُضْطَبِّحِينَ)

و لم يدروا أن الله بالمرصاد، و أن العذاب سيخلفهم عليها، و يبادرهم إليها.

(وَلَا يَسْتَنْتُونَ)

و حلفوا من غير استثناء،

*الميسر: و لم يقولوا: إن شاء الله.

(فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ)

أي: عذاب نزل عليها ليلا

***آفة سماوية

(وَهُمْ نَائِبُونَ)

فأبادها و أتلّفها

(فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ)

أي: كالليل المظلم، ذهب الأشجار و الثمار،
هذا و هم لا يشعرون بهذا الواقع الملم،

(فَنَادَوْا مُصْبِحِينَ)

و لهذا تنادوا فيما بينهم، لما أصبحوا يقول بعضهم لبعض:

(أَنْ أَغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ)

قاصدين له

(فَأَنْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ)

فيما بينهم، و لكن بمنع حق الله، و يقولون:

(أَنْ لَا يَدْخُلَنَّا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ)

أي: بكروا قبل انتشار الناس، و تواصلوا مع ذلك،

بمنع الفقراء و المساكين،

و من شدة حرصهم و بخلهم، أنهم يتخافتون بهذا الكلام مخافتة،

خوفاً أن يسمعهم أحد، فيخبر الفقراء.

(وَعَدُوا)

*الميسر: و ساروا في أول النهار

في هذه الحالة الشنيعة، و القسوة، و عدم الرحمة

(عَلَى حَرْدٍ قَدِيرِينَ)

أي: على إمساك و منع لحق الله، جازمين بقدرتهم عليها.

(فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا)

على الوصف الذي ذكر الله كالصريم قَالُوا من الحيرة والانزعاج.

(إِنَّا لَصَّالُونَ)

أي: تائهون عنها، لعلها غيرها، فلما تحققوها، و رجعت إليهم عقولهم قالوا:

(بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ)

منها، فعرفوا حينئذ أنه عقوبة،

ف—(قَالَ أَوْسَطُهُمْ)

أي: أعدلهم، و أحسنهم طريقة

***خيرهم

(أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ)

*** إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

أو: هَلَّا تُسَبِّحُونَ اللَّهَ وَ تَشْكُرُونَهُ عَلَى مَا أَعْطَاكُمْ وَ أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ

أي: تنزهون الله عما لا يليق به، و من ذلك، ظنكم أن قدرتكم مستقلة،

فلولا استثيتم فقلتم: إِنْ شَاءَ اللَّهُ

و جعلتم مشيئتكم تابعة لمشيئته الله، لما جرى عليكم ما جرى، فقالوا

(قَالُوا سُبْحَنَ رَبَّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ)

أي: استدركوا بعد ذلك، و لكن بعد ما وقع العذاب على جنتهم،
الذي لا يرفع،

و لكن لعل تسيبهم هذا، و إقرارهم على أنفسهم بالظلم،
ينفعهم في تخفيف الإثم و يكون توبة، و لهذا ندموا ندامة عظيمة.

(فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوْمُونَ)

فيما أجروه و فعلوه،

(قَالُوا يَوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ)

أي: متجاوزين للحد في حق الله، و حق عباده.

(عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا)

فهم رجوا الله أن يبدلهم خيراً منها،

(إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ)

و وعدوا أنهم سيرغبون إلى الله، و يلحون عليه في الدنيا،
فإن كانوا كما قالوا، فالظاهر أن الله أبدلهم في الدنيا خيراً منها
لأن من دعا الله صادقاً، و رغب إليه و رجاه، أعطاه سؤاله.

قال تعالى مبينا ما وقع:

(كَذَلِكَ الْعَذَابُ)

أي: الدنيوي لمن أتى بأسباب العذاب
أن يسلب الله العبد الشيء الذي طغى به و بغي، و أثر الحياة الدنيا،
و أن يزيله عنه، أحوج ما يكون إليه.

(وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ)

من عذاب الدنيا

(لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)

فإن من علم ذلك، أوجب له الانزجار عن كل سبب يوجب العذاب
و يحل العقاب .

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾

مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ مَا تَخَيَّرُونَ

﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَلِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْفَيْصَةِ إِنَّ لَكُمْ لِمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾

سَلَامٌ أَيْتُهُم بِذَلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٤١﴾

***لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى حَالِ أَهْلِ الْجَنَّةِ الدُّنْيَوِيَّةِ،

وَمَا أَصَابَهُمْ فِيهَا مِنَ النَّقْمَةِ

حِينَ عَصَوْا اللَّهَ، عَزَّ وَجَلَّ، وَخَالَفُوا أَمْرَهُ،

يَبَيِّنُ أَنَّ لِمَنِ اتَّقَاهُ وَأَطَاعَهُ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ جَنَّاتِ النَّعِيمِ الَّتِي لَا تَبِيدُ

وَلَا تَفْرَغْ
وَلَا يَنْقُضِي نَعِيمُهَا

(إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ)

يخبر تعالى بما أعدّه للمتقين للكفر و المعاصي،
من أنواع النعيم و العيش السليم في جوار أكرم الأكرمين،
و أن حكمته تعالى لا تقتضي

(أَفَجْعَلُ الْمُتْسِلِينَ كَالْمُجْرِمِينَ)

أن يجعل المسلمين :-

القـانـتين لربهم

المنقـادين لأوامره،

المتبعيـن لمراضيه

لـالمجرمين :-

الذين أوضعوا في معاصيه،

و الكفر بآياته، و معاندة رسله، و محاربة أوليائه،

و أن من ظن أنه يسويهم في الثواب،

(مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ)

فإنه قد أساء الحكم، و أن حكمه حكم باطل،

و رأيه فاسد، و أن المجرمين إذا ادعوا ذلك،

(أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ)

فليس لهم مستند، لا كتاب فيه يدرسون و يتلون أنهم من أهل الجنة،

(إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ)

و أن لهم ما طلبوا و تخيروا

(أَمْ لَكُمْ آيَاتُنَا عَليْنَا بَلَاغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ)

و ليس لهم عند الله عهد و يمين بالغة إلى يوم القيامة أن لهم ما يحكمون،

(سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ)

أي: أيهم الكفيل بهذه الدعوى الفاسدة،

فإنه لا يمكن التصدر بها، و لا الزعامة فيها.

(أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ)

و ليس لهم شركاء و أعوان على إدراك ما طلبوا،

(فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ)

فإن كان لهم شركاء و أعوان فليأتوا بهم إن كانوا صادقين،

و من المعلوم أن جميع ذلك منتف،

فليس لهم كتاب،

و لا لهم عهد عند الله في النجاة،

و لا لهم شركاء يعينونهم، فعلم أن دعواهم باطلة فاسدة، و قوله:

يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾

أي: إذا كان يوم القيامة، و انكشف فيه من القلاقل و الزلازل و الأهوال ما لا يدخل تحت الوهم،

و أتى الباري لفصل القضاء بين عباده و مجازاتهم

(يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ)

فكشف عن ساقه الكريمة التي لا يشبهها شيء،
و رأى الخلائق من جلال الله و عظمته ما لا يمكن التعبير عنه،

(وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ)

فحينئذ يدعون إلى السجود لله،
فيسجد المؤمنون الذين كانوا يسجدون لله، طوعاً و اختياراً،
و يذهب الفجار المنافقون ليسجدوا فلا يقدرّون على السجود،
و تكون ظهورهم كصيافي البقر، لا يستطيعون الانحناء،
و هذا الجزاء ما جنس عملهم،

***صحيح البخاري

7439 - ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ:

قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟

قَالَ: «هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ إِذَا كَانَتْ صَحْوًا؟»،

قُلْنَا: لَا، قَالَ: «فَإِنَّكُمْ لَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ يَوْمَئِذٍ،
إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَيْهِمَا»
ثُمَّ قَالَ: " يُنَادِي مُنَادٍ: لِيَذْهَبْ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ،
فَيَذْهَبُ أَصْحَابُ الصَّلِيبِ مَعَ صَلِيبِهِمْ،
وَ أَصْحَابُ الْأَوْثَانِ مَعَ أَوْثَانِهِمْ،
وَ أَصْحَابُ كُلِّ آلِهَةٍ مَعَ آلِهَتِهِمْ،
حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ، مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ،
وَ غَبْرَاتٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ،
ثُمَّ يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ تُعْرَضُ كَانَهَا سَرَابٌ،
فَيَقَالُ لِلْيَهُودِ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟
قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عَزِيرَ ابْنِ اللَّهِ،
فَيَقَالُ: كَذَبْتُمْ، لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةٌ وَ لَا وَلَدٌ، فَمَا تُرِيدُونَ؟
قَالُوا: نُرِيدُ أَنْ تَسْقِينَا،
فَيَقَالُ: اشْرَبُوا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ،
ثُمَّ يُقَالُ لِلنَّصَارَى: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟
فَيَقُولُونَ: كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ،
فَيَقَالُ: كَذَبْتُمْ، لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةٌ، وَ لَا وَلَدٌ، فَمَا تُرِيدُونَ؟
فَيَقُولُونَ: نُرِيدُ أَنْ تَسْقِينَا،
فَيَقَالُ: اشْرَبُوا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ،
حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ،
فَيَقَالُ لَهُمْ: مَا يَحْسِبُكُمْ وَ قَدْ ذَهَبَ النَّاسُ؟
فَيَقُولُونَ: فَارَقْنَاهُمْ، وَ نَحْنُ أَحْوَجُ مِنْهُمَا إِلَيْهِ الْيَوْمَ،
وَ إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي: لِيَلْحَقْ كُلُّ قَوْمٍ بِمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ،

وَإِنَّمَا نَنْتَظِرُ رَبَّنَا،
 قَالَ: فَيَأْتِيهِمُ الْجَبَّارُ فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ،
 فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ،
 فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبَّنَا، فَلَا يُكَلِّمُهُ إِلَّا الْأَنْبِيَاءُ،
 فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ تَعْرِفُونَهُ؟
 فَيَقُولُونَ: السَّاقِ، فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ،
 وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ رِيَاءً وَ سُمْعَةً،
 فَيَذْهَبُ كَيْمَا يَسْجُدَ، فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا،
 ثُمَّ يُؤْتَى بِالْجَسْرِ فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ ".....)() (

*** في الدَّارِ الْآخِرَةِ بِإِجْرَامِهِمْ وَ تَكْبُرِهِمْ فِي الدُّنْيَا،
 فَعُوقِبُوا بِنَقِيضِ مَا كَانُوا عَلَيْهِ.
 وَ لَمَّا دُعُوا إِلَى السُّجُودِ فِي الدُّنْيَا فَاُمْتَنَعُوا مِنْهُ مَعَ صِحَّتِهِمْ وَسَلَامَتِهِمْ
 كَذَلِكَ عُوقِبُوا بِعَدَمِ قُدْرَتِهِمْ عَلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ،
 إِذَا تَجَلَّى الرَّبُّ، عَزَّ وَجَلَّ،
 فَيَسْجُدُ لَهُ الْمُؤْمِنُونَ، لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ مِنَ الْكَافِرِينَ
 وَ لَا الْمُنَافِقِينَ أَنْ يَسْجُدَ،
 بَلْ يَعُودُ ظَهْرُ أَحَدِهِمْ طَبَقًا وَاحِدًا،

(ما يحبسكم) ما يمنعكم من الذهاب ويقعدكم عنه.
 (الجبار) الله سبحانه وتعالى والجبار العالي العظيم الذي لا يقهره أحد ويقهر كل من عداه
 (آية) علامة.
 (طَبَقًا وَاحِدًا) كالصحيحة الواحدة فلا ينثني للسجود ولا يقدر عليه

كُلَّمَا أَرَادَ أَحَدُهُمْ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ لِقَفَاهُ، عَكْسَ السُّجُودِ،
كَمَا كَانُوا فِي الدُّنْيَا، بِخِلَافِ مَا عَلَيْهِ الْمُؤْمِنُونَ.

خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَلِيمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبْ بِهَذَا
 الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا
 فَهُمْ مِنْ مَفْرُوقٍ مُثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ
 الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ تَوَلَّىٰ أَنْ تَدْرِكَهُمُ نِعْمَةُ رَبِّهِ لَئِن دُيُّ بِالْعُرَاءِ وَهُمْ ذُمُّومٌ ﴿٤٩﴾ فَأَجْنِبَهُ
 رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ
 لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾

سورة الحاقة

﴿الْحَاقَّةُ ١﴾ مَا الْحَاقَّةُ ٢ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهُ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَى ٤ ﴿قَامًا
 ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا ٥﴾ بِطَغْوَاهُ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَى ٦ ﴿سَخَّرَهَا
 عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةً أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى
 كَأَنَّهُمْ أُعْجَارٌ نَثَلَ خَاوِيَةٌ ٧ ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ٨﴾

(خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ)

*الميسر: منكسرة أبصارهم لا يرفعونها،

(تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ)

*الميسر: تغشاهم ذلة شديدة من عذاب الله

(وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَلِيمُونَ)

فإنهم كانوا يدعون في الدنيا إلى السجود لله و توحيده و عبادته و هم سالمون،

لا علة فيهم، فيستكبرون عن ذلك و يأبون،

فلا تسأل يومئذ عن حالهم و سوء مآلهم،

فإن الله قد سخط عليهم، و حقت عليهم كلمة العذاب، و تقطعت أسبابهم،

و لم تنفعهم الندامة و لا الاعتذار يوم القيامة،

ففي هذا ما يزعج القلوب عن المقام على المعاصي،

و يوجب التدارك مدة الإمكان،

و لهذا قال تعالى:

فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾

وَأَمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ

الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ ﴿٤٧﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ

مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَوْلَا أَنْ تَدَارَكُهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾

فَأَجْنِبْهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٠﴾

وَلَا يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾

وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾

(فَذَرْنِي وَمَنْ يَكْذِبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ)

أي: دعني و المكذبين بالقرآن العظيم فإن عليّ جزاءهم،
و لا تستعجل لهم،

ف—(سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ)

***كقوله

**{ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا
أَخَذْنَاهُمْ بِغْتَةٍ فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ }** [الأنعام: 44]

فنمدهم بالأموال و الأولاد، و نمدهم في الأرزاق و الأعمال،
ليغتروا و يستمروا على ما يضرهم،
فإن وهذا من كيد الله لهم، و كيد الله لأعدائه، متين قوي،
يبلغ من ضررهم وعذابهم فوق كل مبلغ .

(وَأَمْلَى لَهُمْ)

***وَأَوْخَرُهُمْ وَ أَنْظَرُهُمْ وَ أَمَدَّهُمْ وَ ذَلِكَ مِنْ كَيْدِي وَ مَكْرِي بِهِمْ؛

وَ لِهَذَا قَالَ { إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ }

***أَي: عَظِيمٌ لِمَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَ كَذَّبَ رُسُلِي، وَ اجْتَرَأَ عَلَى مَعْصِيَتِي.

-صحيح البخاري -4686

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«إِنَّ اللَّهَ لَيَمْلِكُ لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ»

قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ:

{وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ}

[هود: 102] ()

(أَمْ تَسْتَلْهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِّنْ مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ)

أي: ليس لنفورهم عنك، و عدم تصديقهم

لما جئت به ، سبب يوجب لهم ذلك، فإنك تعلمهم، و تدعوهم إلى الله،

لمحض مصلحتهم، من غير أن تطلبهم من أموالهم مغرمًا يثقل عليهم.

*الميسر: أم تسأل -أيها الرسول- هؤلاء المشركين أجرا دنيويا

على تبليغ الرسالة فهم من غرامة ذلك مكلفون حملاً ثقيلاً؟

(أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ)

*الميسر: بل أعندهم علم الغيب،

(فَهُمْ يَكْتُمُونَ)

(ليملي) ليمهل.

(لم يفلته) لم يخلصه ولم يتركه حتى يستوفي عقابه.

(وكذلك) أي كما ذكر من إهلاك الأمم وأخذهم بالعذاب.

(أخذ ربك) إهلاكه وعذابه.

(أخذ القرى) أخذ أهلها]

عنه ما يحكمون به لأنفسهم من أنهم أفضل منزلة عند الله من أهل
الإيمان به؟

— ما كان عندهم من الغيوب، و قد وجدوا فيها أنهم على حق،
و أن لهم الثواب عند الله، فهذا أمر ما كان،
و إنما كانت حالهم حال معاند ظالم.
فلم يبق إلا الصبر لأذاهم،
و التحمل لما يصدر منهم، و الاستمرار على دعوتهم،

و لهذا قال: (فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ)

أي: لما حكم به شرعًا ولا قدرًا،

فالحكم القدري:-

يصبر على المؤذي منه، و لا يتلقى بالسخط و الجزع،

و الحكم الشرعي:-

يقابل بالقبول و التسليم، و الانقياد التام لأمره.

و قوله: (وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْمُوتِ)

و هو يونس بن متى، عليه السلام

أي: و لا تشابهه في الحال، التي أوصلته،

و أوجبت له الانحباس في بطن الحوت،

و هو عدم صبره على قومه الصبر المطلوب منه، و ذهابه مغاضبًا لربه،

حتى ركب في البحر،

*الميسر: و هو مملوء غمًا طالباً تعجيل العذاب لهم،

○ فاقترع أهل السفينة حين ثقلت بأهلها أيهم يلقون

لكي تخف بهم، فوقعت القرعة عليه فالتقمه الحوت و هو مليم و قوله

(إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ)

***صحيح البخاري -3412

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ:
" لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: إِنِّي خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ مَتَى »

***مكروب

أي: و هو في بطنها قد كظمت عليه، أو نادى و هو مغتم مهتم

بأن قال

{ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ } [الأنبياء: 87]

فاستجاب الله له كما قال الله:

{ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ } [الأنبياء: 88]

{ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ 143 لَلَّيْتُ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ }

[الصفات: 143، 144]

و قذفته الحوت من بطنها بالعراء و هو سقيم،

و أنبت الله عليه شجرة من يقطين،

و لهذا قال هنا:

(لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ) *

* لولا أن تداركه نعمة من ربه بتوفيقه للتوبة وقبولها
لَطُرِحَ بالأرض الفضاء المهلكة،

(لِنَيْدٍ بِالْعَرَاءِ) *

أي: ل طرح في العراء-

* الميسر: من بطن الحوت -و هي الأرض الخالية

(وَهُوَ مَذْمُومٌ) *

* الميسر: و هو آتٍ بما يلام عليه

و لكن الله تغمده برحمته فنبذ و هو ممدوح،

و صارت حاله أحسن من حاله الأولى، و لهذا قال:

(فَأَجْنَبَهُ رَبُّهُ) *

أي: اختاره و اصطفاه و نقاه من كل كدر

(فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ) *

أي: الذين صلحت أعمالهم و أقوالهم و نياتهم، و أحوالهم

فامتثل نبينا محمد ﷺ، أمر ربه،

فصبر لحكم ربه صبراً لا يدركه فيه أحد من العالمين.

فجعل الله له العاقبة للمتقين

{وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} [الأعراف: 128]

ولم يدرك أعداؤه فيه إلا ما يسوءهم،

(وَلَا يَكَاذُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيَزْلُقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ)

حتى إنهم حرصوا على أن يزلقوه بأبصارهم

أي: يصيبوه بأعينهم، من حسدهم و غيظهم و حنقهم،

هذا منتهى ما قدروا عليه من الأذى الفعلي، و الله حافظه و ناصره،

***صحيح مسلم -2188

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

«الْعَيْنُ حَقٌّ، وَ لَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابِقَ الْقَدَرِ سَبَقَتْهُ الْعَيْنُ،

وَ إِذَا اسْتُغْسِلْتُمْ فَاغْسِلُوا» ()

صحيح مسلم -2186

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، أَنَّ جَبْرِيلَ، أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ:

يَا مُحَمَّدُ اسْتَكَيْتَ؟

فَقَالَ: «نَعَمْ» قَالَ:

«بِاسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ،

[ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين] فيه إثبات القدر وهو حق بالنصوص وإجماع أهل السنة ومعناه أن الأشياء كلها بقدر الله تعالى ولا تقع إلا على حسب ما قدرها الله تعالى وسبق بها علمه فلا يقع ضرر العين ولا غيره من الخير والشر إلا بقدر الله تعالى وفيه صحة أمر العين وإنها قوية الضرر

مِنْ شَرِّ كَى نَفْسٍ أَوْ عَيْنٍ حَاسِدٍ،
اللَّهُ يَشْفِيكَ بِاسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ» ()

مسند أحمد ط الرسالة -27470

عَنْ عُبَيْدِ بْنِ رِفَاعَةَ الزُّرْقِيِّ، قَالَ:
قَالَتْ أَسْمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ بَنِي جَعْفَرٍ تُصِيبُهُمُ الْعَيْنُ أَفَأَسْتَرْقِي لَهُمْ؟
قَالَ: " نَعَمْ فَلَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابِقُ الْقَدَرِ لَسَبَقْتُهُ الْعَيْنُ

(لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ)

و أما الأذى القولي، فيقولون فيه أقوالا بحسب ما توحى إليهم قلوبهم،
فيقولون تارة « مجنون » و تارة « ساحر » و تارة « شاعر » .

قال تعالى (وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ)

أي: و ما هذا القرآن الكريم، و الذكر الحكيم، إلا ذكر للعالمين، يتذكرون به
مصالح دينهم و دنياهم.

69- تفسير سورة الحاقة-وهي مكية-بسم الله الرحمن الرحيم

(نفس) قيل يحتمل أنه أراد بالنفس نفس الآدمي وقيل يحتمل أن المراد بها العين
فإن النفس تطلق على العين ويقال رجل نفوس إذا كان يصيب الناس بعينه]

الْحَاقَّةُ ① مَا الْحَاقَّةُ ② وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ③ كَذَبَتْ ثُمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ④

فَأَمَّا ثُمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ⑤ وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَلَيْهِمْ ⑥

سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ

أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ⑦ فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ ⑧

(الْحَاقَّةُ)

من أسماء يوم القيامة، لأنها تحقق و تنزل بالخلق، و تظهر فيها حقائق الأمور،
و مخبات الصدور، فعظم تعالى شأنها و فخمه، بما كرهه من قوله:

(مَا الْحَاقَّةُ)

*الميسر: ما القيامة الواقعة حقاً في صفتها وحالتها؟

(وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ)

*الميسر: و أي شيء أدراك -أيها الرسول-

و عرّفك حقيقة القيامة،

و صور لك هولها و شدتها؟

○ فإن لها شأنا عظيما وهولا جسيما،

و من عظمتها أن الله أهلك الأمم المكذبة بها بالعذاب العاجل .

ثم ذكر نموذجا من أحوالها الموجودة في الدنيا المشاهدة فيها،

و هو ما أحله من العقوبات البليغة بالأمم العاتية فقال:

(كَذَّبَتْ ثَمُودُ)

و هم القبيلة المشهورة سكان الحجر الذين أرسل الله إليهم رسوله صالحا
عليه السلام، ينهاهم عما هم عليه من الشرك، و يأمرهم بالتوحيد،
فردوا دعوته و كذبوه و كذبوا ما أخبرهم به من يوم القيامة،
و هي القارعة التي تفرع الخلق بأهوالها،

(وَعَادُ الْقَارِعَةِ)

و كذلك عاد الأولى سكان حضرموت حين بعث الله إليهم رسوله هودا عليه السلام
يدعوهم إلى عبادة الله وحده فكذبوه
و كذبوا بما أخبر به من البعث فأهلك الله الطائفتين بالهلاك المعجل
* الميسر: بالقيامة التي تفرع القلوب بأهوالها.

(فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ)

و هي الصيحة العظيمة الفظيعة، التي انصدعت منها قلوبهم
و زهقت لها أرواحهم
فأصبحوا موتى لا يرى إلا مساكنهم و جثثهم.

(وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ)

***باردة

أي: قوية شديدة الهبوب لها صوت أبلغ من صوت الرعد القاصف

(عَاتِيَةً)

أي: عتت على خزانها، على قول كثير من المفسرين،
أو عتت على عاد و زادت على الحد كما هو الصحيح.

(سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ)

سلطها عليهم

(سَبَعَ لَيَالٍ وَتَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا)

***كوامل متتابعات مشائيم

أي: نحسا و شرا فظيعا عليهم فدمرتهم و أهلكتهم،

(فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى)

أي: هلكى موتى

(كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ فُخْلٍ خَاوِيَةٍ)

***خربة-أو- بالية، أي: جَعَلَتِ الرِّيحُ تَضْرِبُ بِأَحَدِهِمُ الْأَرْضَ
فَيَخِرُّ مَيِّتًا عَلَى أُمِّ رَأْسِهِ، فَيَنْشَدُخُ رَأْسُهُ
وَ تَبْقَى جُثَّتُهُ هَامِدَةً كَأَنَّهَا قَائِمَةٌ النُّخْلَةِ إِذَا خَرَّتْ بِلاَ أَغْصَانٍ.

صحيح البخاري -1035

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «نُصِرْتُ بِالصَّبَا، وَ أَهْلِكْتُ عَادٌ
بِالدَّبُورِ» ()

(نصرت بالصبا) هي الريح التي تهب من مشرق الشمس ونصرته بها ﷺ

أي: كأنهم جذوع النخل التي قد قطعت رؤوسها الخاوية الساقط بعضها على بعض.

(فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ)

و هذا استفهام بمعنى النفي المتقرر.

*** هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَقَايَاهُمْ أَنَّهُ مِمَّنْ يَنْتَسِبُ إِلَيْهِمْ؟
بَلْ بَادُوا عَنْ آخِرِهِمْ وَ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُمْ خَلْفًا.

كانت يوم الخندق إذا أرسلها الله تعالى على الأحزاب باردة في ليلة شاتية فقلعت خيامهم وأطفأت نيرانهم وقلبت قدورهم وكان ذلك سبب رجوعهم وانهزامهم.

(الدبور) هي الريح التي تهب من مغرب الشمس وبها كان هلاك قوم عاد كما قص علينا القرآن الكريم]

وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَتُ بِالْخَاطِئَةِ ۖ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخَذَةً رَابِيَةً ۖ ﴿١٠﴾
 إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَا كُرْمَ فِي الْجَارِيَةِ ۖ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَنَعْيِبًا أَدْنَىٰ ۖ ﴿١٢﴾ فَاذْنُبْخ فِي الصُّورِ
 نَفْحَةً وَاحِدَةً ۖ ﴿١٣﴾ وَجُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّنَا ذَكَّةً وَاحِدَةً ۖ ﴿١٤﴾ فَيَوْمَ يَذَّوْقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۖ ﴿١٥﴾
 وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَ يَوْمٍ وَاهِيَةٌ ۖ ﴿١٦﴾ وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَ يَوْمٍ
 ثَمَنِيَّةٌ ۖ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَذَّوْقُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ۖ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَانِهِ ۖ فَيَقُولُ
 هَؤُلَاءِ أَقْرَبُ وَأَكْثَرُ ۖ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةٍ ۖ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ۖ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ
 عَالِيَةٍ ۖ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۖ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَأَشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ۖ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا
 مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ ۖ فَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُوتِ كِتَابِيَةَ ۖ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَةَ ۖ ﴿٢٦﴾ يَلَيْتَهَا كَانَتْ
 آفَاقِيَّةً ۖ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَةَ ۖ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ۖ ﴿٢٩﴾ خَذُوهُ فَعْلُوهُ ۖ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ لَجِّمِ صَلْوَهُ
 ۖ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ۖ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ۖ ﴿٣٣﴾

وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ۖ ﴿٣٤﴾

وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَتُ بِالْخَاطِئَةِ ۖ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ
 أَخَذَةً رَابِيَةً ۖ ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَا كُرْمَ فِي الْجَارِيَةِ ۖ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً
 وَنَعْيِبًا أَدْنَىٰ ۖ ﴿١٢﴾

(وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ)

أي: و كذلك غير هاتين الأمتين الطاغيتين عاد و ثمود جاء غيرهم من الطغاة العتاة كفرعون مصر الذي أرسل الله إليه عبده و رسوله موسى بن عمران عليه السلام و أراه من الآيات البينات ما تيقنوا بها الحق و لكن جحدوا و كفروا ظلما و علوا و جاء من قبله من المكذبين،

(وَالْمُؤْتَفِكْتُ)

أي: قرى قوم لوط الجميع جاءوا

(بِالْخَاطِئَةِ)

أي: بالفعل الطاغية و هي الكفر و التكذيب و الظلم و المعاندة و ما انضم إلى ذلك من أنواع الفواحش و الفسوق.

(فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ)

و هذا اسم جنس

أي: كل من هؤلاء كذب الرسول الذي أرسله الله إليهم. فأخذ الله الجميع

(أَخَذَهُ رَابِعَةً)

أي: زائدة على الحد و المقدار الذي يحصل به هلاكهم.

و من جملة أولئك قوم نوح أغرقهم الله في اليم حين طغى الماء على وجه الأرض و علا على مواضعها الرفيعة.

و امتن الله على الخلق الموجودين بعدهم أن الله حملهم

(إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ)

وهي: السفينة في أصلاب آبائهم و أمهاتهم الذين نجاهم الله.
فاحمدوا الله و اشكروا الذي نجاكم حين أهلك الطاغين
و اعتبروا بآياته الدالة على توحيده و لهذا قال:

(لِنَجْعَلَهَا)

أي: الجارية و المراد جنسها،

(لَكُمْ تَذْكِرَةٌ)

*عبرة و موعظة: الزبدة

تذكركم أول سفينة صنعت و ما قصتها
و كيف نجى الله عليها من آمن به و اتبع رسوله
و أهلك أهل الأرض كلهم فإن جنس الشيء مذكر بأصله.

و قوله: **(وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَرِيعَةٌ)**

أي: تعقلها أولو الألباب و يعرفون المقصود منها و وجه الآية بها.
و هذا بخلاف أهل الإعراض و الغفلة و أهل البلادة و عدم الفطنة
فإنهم ليس لهم انتفاع بآيات الله لعدم وعيهم عن الله،
و فكرهم بآيات الله

الاعجاز العلمي من هنا

فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٤﴾
فِيَوْمٍ ذُو قَعَتٍ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَالْمَلَكُ عَلَى
أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَةٌ ﴿١٧﴾
يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾

لما ذكر ما فعله تعالى بالمكذبين لرسله و كيف جازاهم
و عجل لهم العقوبة في الدنيا
و أن الله نجى الرسل و أتباعهم كان هذا مقدمة لذكر الجزاء الأخروي
و توفية الأعمال كاملة يوم القيامة.
فذكر الأمور الهائلة التي تقع أمام القيامة

(فَإِذَا نُفِخَ)

و أن أول ذلك أنه ينفخ إسرافيل

(فِي الصُّورِ)

إذا تكاملت الأجساد نابثة.

(نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ)

فتخرج الأرواح فتدخل كل روح في جسدها فإذا الناس قيام لرب العالمين.

(وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً)

أي: فتت الجبال و اضمحلت و خلطت بالأرض و نسفت على الأرض
فكان الجميع قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا و لا أمتا.
هذا ما يصنع بالأرض و ما عليها.

(فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ)

*قامت القيامة

(وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ)

و أما ما يصنع بالسماء، فإنها تضطرب و تمور و تشقق و يتغير لونها،

(فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ)

*ضعيفة:الزبدية

○ و تهى بعد تلك الصلابة و القوة العظيمة،

و ما ذاك إلا لأمر عظيم أزعجها، و كرب جسيم هائل أوهاها و أضعفها.

***كقوله **{وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا}** [النبا: 19]

(وَالْمَلَكُ)

أي: الملائكة الكرام

(عَلَى أَرْجَائِهَا)

أي: على جوانب السماء و أركانها، خاضعين لربهم، مستكينين لعظمته.

(وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَةٌ)

أَمَلَاكَ فِي غَايَةِ الْقُوَّةِ إِذَا أَتَى لِلْفَصْلِ بَيْنَ الْعِبَادِ وَالْقَضَاءِ بَيْنَهُمْ بَعْدَهُ وَ قَسْطَهُ
و فَضْلَهُ.

***سنن أبي داود

4727 - عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:
«أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ،
إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِ مِائَةِ عَامٍ»

و لهذا قال:

(يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ)

على الله

(لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ)

لا من أجسامكم و أجسادكم و لا من أعمالكم و صفاتكم
فإن الله تعالى عالم الغيب و الشهادة.

و يحشر العباد حفاة عراة غرلا في أرض مستوية، يسمعهم الداعي،
و ينفذهم البصر، فحينئذ يجازيهم بما عملوا، و لهذا ذكر كيفية الجزاء، فقال:

فَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كِتَابَهُ، بِيَمِينِهِ، فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ اقْرَءُوا كِتَابِيَةَ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ

حَسَابِيَةَ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ

﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾

(فَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ)

و هؤلاء هم أهل السعادة يعطون كتبهم التي فيها أعمالهم الصالحة بأيمانهم
تميزا لهم و تنويها بشأنهم و رفعا لمقدارهم،
و يقول أحدهم عند ذلك من الفرح و السرور و محبة
أن يطلع الخلق على ما من الله عليه به من الكرامة:

(فَيَقُولُ هَآؤُمْ)

*خذوا: الزبدة

(أَقْرَأُوا كِتَابَهُ)

أي: دونكم كتابي فاقراوه فإنه يبشر بالجنات، و أنواع الكرامات،
و مغفرة الذنوب، و ستر العيوب.
و الذي أوصلني إلى هذه الحال، ما من الله به علي م——ن:—
الإيمان بالبعث و الحساب،
والاستعداد له بالممكن من العمل، ولهذا قال:

(إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَةٍ)

أي: أيقنت فالظن - هنا - بمعنى اليقين.

***{الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} [البقرة: 46]

(فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ)

أي: جامعة لما تشتهيهِ الأنفس، و تلذ الأعين،
و قد رضوها ولم يختاروا عليها غيرها.

(فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ)

المنازل و القصور عالية المحل.

***صحيح البخاري-2790

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ بَرَّسُورِهِ، وَ أَقَامَ الصَّلَاةَ،
وَ صَامَ رَمَضَانَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ،
جَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا»،
فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا نُبَشِّرُ النَّاسَ؟
قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ،
مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَلا الْأَرْضِ،
فَإِذَا سَأَلْتُمْ اللَّهَ، فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ،
فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَ أَعْلَى الْجَنَّةِ - أَرَاهُ - فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ،
وَ مِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ»
قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ فُلَيْحٍ، عَنْ أَبِيهِ: وَ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ ()

(قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ)

(أوسط الجنة) أفضلها وخيرها.

(أراه) أظنه وهذا من كلام يحيى بن صالح شيخ البخاري أي أظنه قال
(فوقه..) (تفجر) تنشق]

أي: ثمرها وجناها من أنواع الفواكه قريبة، سهلة التناول على أهلها،
ينالها أهلها قياما و قعودا و متكئين.

و يقال لهم إكراما:

(كُلُوا وَاشْرَبُوا)

أي: من كل طعام لذيذ، و شراب شهي،

(هَنِيئًا)

أي: تاما كاملا من غير مكدر و لا منغص.

و ذلك الجزاء حصل لكم

(بِمَا أَسْلَفْتُمْ)

*قدمتم: الزبدة

(فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ)

*الماضية: الميسر

من الأعمال الصالحة - و ترك الأعمال السيئة -

من صلاة و صيام و صدقة و حج و إحسان إلى الخلق،

و ذكر لله و إنابة إليه.

○ فالأعمال جعلها الله سببا لدخول الجنة و مادة لنعيمها و أصلا لسعادتها.

***صحيح البخاري

6467 - عَنْ عَائِشَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ

قَالَ: «سَدُّوْا وَ قَارِبُوْا وَ أَبْشِرُوْا،
فَإِنَّهُ لَا يُدْخِلُ أَحَدًا الْجَنَّةَ عَمَلُهُ»
قَالُوا: وَ لَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟
قَالَ: «وَ لَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَّعَمِدَنِي اللَّهُ بِمَغْفِرَةٍ وَ رَحْمَةٍ»
..... قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا سَلَمَةَ، عَنْ عَائِشَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ:
«سَدُّوْا وَ أَبْشِرُوْا»

قَالَ مُجَاهِدٌ: {قَوْلًا سَدِيدًا} [النساء: 9]:
" وَ سَدَادًا: صِدْقًا " ()

وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُوتِ كِتَابِيَّةً ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَّةٍ
يَلَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَّةٌ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ﴿٢٩﴾
خَذُوهُ فَعُوقُوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ
﴿٣٢﴾ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحْضُرُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٣٤﴾

{وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ}

هؤلاء أهل الشقاء يعطون كتب أعمالهم السيئة بشمالهم تميزا لهم
و خزيا و عارا و فضيحة، فيقول أحدهم من الهم و الغم و الخزي

(يتعمدني) يسترني. (سديدا) والسداد الصواب من القول.
والسديد ما أصاب الفصل والقصد ووافق العدل والشرع]

(يَلَيِّنِي لَمْ أَوْتِ كِتَابِيَّةً)

لأنه يبشر بدخول النار و الخسارة الأبدية.

(وَلَمْ أَذِرْ مَا حِسَابِيَّةً)

أي: ليتني كنت نسيا منسيا و لم أبعث و أحاسب ولهذا قال:

(يَلَيَّتْهَا كَانَتْ الْقَاضِيَّةُ)

***تمني الموت و لم يكن شئ في الدنيا أكره إليه منه

أي: يا ليت موتي هي الموتة التي لا بعث بعدها.

ثم التفت إلى ماله و سلطانه، فإذا هو وبال عليه لم يقدم منه لآخرته،

و لم ينفعه في الافتداء من عذاب الله فيقول:

(مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَّةٌ)

أي: ما نفعني لا في الدنيا، لم أقدم منه شيئا، و لا في الآخرة،

قد ذهب وقت نفعه.

(هَلَاكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةُ)

*حجتي: الزبدة

أي: ذهب و اضمحل فلم تنفع الجنود الكثيرة، و لا العدد الخطيرة،

و لا الجاه العريض، بل ذهب ذلك كله أدراج الرياح،

و فاتت بسببه المتاجر والأرباح، و حضر بدله الهموم و الغموم و الأتراح،

فحينئذ يؤمر بعذابه فيقال للزبانية الغلاظ الشداد:

(خَذُوهُ فَعْلُوهُ)

أي: اجعلوا في عنقه غلا يخنقه.

(ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ)

أي: قلبوه على جمرها ولهبها.

***اغمروه فيها

(ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا)

من سلاسل الجحيم في غاية الحرارة

***ذراعا: بذراع الملك

(فَأَسْلُكُوهُ)

أي: انظموه فيها بأن تدخل في دبره و تخرج من فمه، و يعلق فيها،

فلا يزال يعذب هذا العذاب الفظيع، فيئس العذاب و العقاب،

و واحسرة من له التوبيخ و العتاب.

فإن السبب الذي أوصله إلى هذا المحل:

(إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ)

بأن كان كافرا بربه معاندا لرسله رادا ما جاءوا به من الحق.

(وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ)

*يبحث

أي: ليس في قلبه رحمة يرحم بها الفقراء و المساكين

فلا يطعمهم من ماله

و لا يحض غيره على إطعامهم، لعدم الوازع في قلبه،

و ذلك لأن مدار السعادة و مادته ————— أمران:

1-الإخ————لاص لله، الذي أصله الإيمان بالله،

2-و الإحس————ان إلى الخلق بوجوه الإحسان،

الذي من أعظمها، دفع ضرورة المحتاجين بإطعامهم ما يتقوتون به،

- و هؤلاء لا إخلاص و لا إحسان، فلذلك استحقوا ما استحقوا.

الاعجاز العلمي في (إننا لما طغا الماء حملناكم في الجارية)

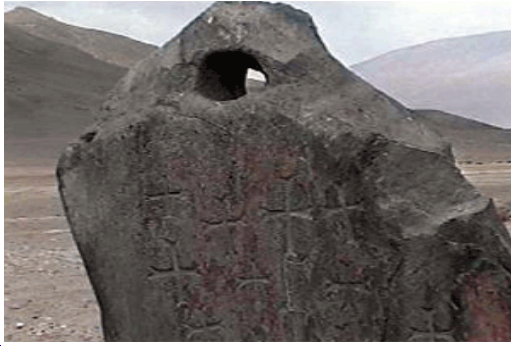
كاظم فنجان حسين الحمامي العودة

كان السومريون أول من دُون أحداث ملحمة الطوفان، وجاء في خلاصة النصوص السومرية عند الدكتور أحمد سوسة في كتابه تاريخ وحضارة وادي الرافدين (إن الآلهة هي التي أحدثت الطوفان نتيجة لفساد البشر وآثام الإنسان وخطاياهم، فعزمت الآلهة على محوه من الوجود بإرسال طوفان كبير على هذه الأرض) وذكر أيضاً أن حادثة الطوفان وقعت في العراق الجنوبي مع أواخر الألف الثالث قبل الميلاد... قال تعالى

(وَقَوْمٌ نُّوحٌ لَّمَّا كَذَّبُوا الرَّسُولَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا) (الفرقان 37).

في منتصف شهر (أيار) مايو من سنة 1948م اكتشف أحد رعاة الأغنام من الأكراذ واسمه رشيد سرحان (Reshit Sarihan) سفينة سيدنا نوح - عليه السلام - وبقايا من أخشابها مطمورة في رسوبيات مياه عذبة في قمة جبل (الجودي)..
وكان الراعي رشيد من سكنة قرية «Nasar» «Nisir» التركية، والمدّش هنا أن اسم هذه القرية مطابق تماماً للاسم البابلي للقرية العاصية التي كان يسكنها سيدنا نوح.

وفي الأعوام التي تلت عام 1953 قامت عدة بعثات أثرية بزيارة موقع جبل الجودي (Mt.Cudi Judi) في تركيا، وعاينت الأخشاب المتحجرة للسفينة، وفحصتها بنظير الكربون المشع للتعرف على عمرها الحقيقي، و وجدت أنها صنعت قبل حوالي 4500 سنة ، وان هذا التقدير العمري المبني على قراءات أجهزة الفحص الفيزيائية يتطابق تماما مع ما ورد في المدونات السومرية. بيد أن الفضل الكبير في اكتشاف أسرار وخبايا الموقع الذي رست فيه سفينة نوح (عليه السلام) NOAH'S ARK، والتوسع في شرح التفاصيل الدقيقة المتعلقة بتلك السفينة ورحلتها الأسطورية، يعزى إلى الباحثين ديفيد فاسولد David Fasold و رون وايت Ron Wyatt، ويعزى أيضا إلى جهود البروفسور التركي أحمد أرسلان الذي تسلق جبل الجودي أكثر من 50 مرة على مدى 40 عام لاستطلاع موقع السفينة، حيث جاءت إحدائيات الموقع المكتشف تحت جبل الجودي مطابقة تماما للموقع الذي ورد ذكره في القرآن الكريم. قال تعالى (وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيَضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)



[العودة](#)

(هود:44).

وكانت الصور التي رسمتها أجهزة الرادار على عمق خمسة وسبعين قدماً أسفل الجزء الخلفي من السفينة واضحة جداً لدرجة أنه يمكن عد أضلاع السفينة والتعرف على سطوحها وقواطعها الداخلية.

مرسات للسفينة وجدت فوق جبل الجودي في تركيا [العودة](#)

المواصفات العامة لسفينة سيدنا نوح (عليه السلام) الأبعاد التقريبية

الأبعاد التقريبية بوصة (انج) قدم

طول السفينة الكلي التقريبي 6180 (+/-) 515.04

أقصى عرض 1663 (+/-) 138.58

معدل العرض 1029 (+/-) 85.76

عمق البدن 612 (+/-) 51.6

المسافة من أقصى عرض إلى مؤخرة السفينة 3819 (+/-) 318.6

المسافة من أقصى عرض إلى مقدمة السفينة 2361 (+/-) 197.6



صورة لمكان السفينة على جبل الجودي في تركيا
وقد تناول العلماء دراسة وفحص معظم أجزاء السفينة وتوصلوا
إلى مجموعة من الحقائق المبنية على الأسس العلمية الصحيحة،
إلا أننا سنتطرق هنا إلى موضوع المراسي (المخاطيف) التي
استخدمت في السفينة.

فقد كان السومريون أول من صمم المرساة البحرية، وأطلقوا
عليها اصطلاح (أنجر)، وكان الغرض من ابتكار المرساة تثبيت
السفينة. وتلفظ الجيم فيه على أصلها السامي.
وقد رصد الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري هذه اللفظة،
وصرح بعراقيتها.

قال: (والأنجر مرساة السفينة، وهو اسم عراقي)،
و يعود هذا اللفظ إلى الجذر (نجر)، ومعناه معروف. [العودة](#)

وقد فصل الخليل طريقة صناعة الأنجر واستخداماته،
وزعم أن اللفظ عراقي بدليل على عدم سماعه له في غير العراق،
ومعروف سكنى الخليل في البصرة، ومنها اطلع على كثير من
الألفاظ العراقية التي رصدها في معجمه (العين).
وورد في معجم مختار الصحاح:
(رَسَا الشيء ثبت وبابه عدا، و مَرَسَىً أيضاً بفتح الميم، ورَسَتْ
السفينة وقفت على الأنجر وبابه عدا وسما ،
قال الأزهري في (ن ج ر) الأنجر مرساة السفينة وهو اسم
عراقي).

وقد تبين لنا من خلال البحث في هذا الموضوع أن هذه التسمية
لها جذور عميقة في اللغات العراقية القديمة الضاربة في عمق
التاريخ، فهي من رواسب اللغات السومرية والأكادية والآرامية،
إذ ورد في E11&CAD(1) p: A18 مادة Angurrum،
وتلفظ Engurrum أيضاً،

وتعني الثقل الغاطس تحت الماء، ومما يقوي هذا الرأي ورودها في
اللغة المندائية أيضاً Angara، بمعنى الأنجر (p:25,M).
وقد تسرب اللفظ إلى الإنجليزية، بتغيير بسيط لا يكاد يذكر،
فهم يطلقون على المرساة Anchor نقلاً عن العربية وتلفظ
(أَنْكَرَ) (2)، وتسربت قبلها إلى اللاتينية ومنها إلى اليونانية حيث
يطلقون على المرساة (nkara)، ولا ندري متى تسرب هذا اللفظ
إلى كل لغات العالم المتحضر؟!،

لكن الثابت لدينا أن هذه الكلمة مقتبسة من لغات حضارة وادي
الرافدين (الميزوبوتيميا)، وهو المكان الذي صنعت فيه سفينة
سيدنا نوح وانطلقت منه.

أما الفعل (رسا)، (يرسو)، (رسوا)، و(رسوا)، فمعناه ثبت وقر، من
مثل قولهم (رست السفينة)، أي توقفت عن الحركة في الماء على
الأنجر (وهو مرساة السفينة)،

وفي هذا المعنى يقول ربنا (تبارك وتعالى) في محكم كتابه:

(وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) (هود:41).

وكان أَنْكَرُ السفينة يصنع في العراق وحوض الخليج العربي بأن
تؤخذ خشبات يخالف بينها وبين رؤوسها وتشد أوساطها في موضع
واحد،

ثم يفرغ بينها رصاص منصهر، فيصير كأنه صخرة ورؤوس
الخشب ناتئة، العودة

وهناك نوع آخر من مراسي السفينة يطلق عليه محليا (السن)،
وهو عبارة عن قطعة من الحجارة الصلبة، مثلثة الشكل يثقب
طرفها المدبب لكي توضع فيه سلسلة حديدية قصيرة،
كما تثقب قاعدته لكي توضع حديدة السن التي ترتفع قليلا عن
سطحه من الجهتين لتمسك بقيعان البحر،

ويربط السن بحبل طويل يعرف باسم (الخراب) لكي يمسك
السفينة عندما تصل إلى المرسى.

وقد تم العثور على عدد من هذه المراسي المصنوعة من الحجارة
قرب موقع سفينة سيدنا نوح على جبل الجودي في تركيا،

لكنها أكبر من حيث الحجم من النوع الذي استخدمته السفن الخليجية القديمة.

كانت المرساة البحرية أول القطع التي اكتشفت على مشارف جبل الجودي. حيث عثر العلماء على عدد كبير من المراسي المصنوعة من الأحجار الكبيرة قرب قرية قازان التركية. Kazan.

وهذه القرية (وتعني بالعربية الوعاء الكبير) تقع شمال صخرة عملاقة يطلق عليها تسمية باللغة التركية (مثنوى الأبطال)، يعتقد بأنها استخدمت كمرسى مؤقت لسفينة سيدنا نوح بانتظار ظهور منطقة صالحة كمرفأ.

في حين أكد الطوبوغرافيون إن قيام السفينة بإلقاء مراسيها قرب جبل الجودي (Mt. Cudi Judi)،

وعلى مقربة من الصخرة العملاقة، يمثل اقتراب موعد نهاية الرحلة الملحمية، ووصول السفينة إلى بر الأمان.

وعثر في قرية تركية يطلق عليها اسم (قرية الثمانية) على العديد من المراسي الحجرية مبعثرة على ارتفاع آلاف الأقدام فوق مستوى سطح البحر، وعلى بعد مئات الكيلومترات من أقرب ساحل بحري،

وقد حضر على بعضها علامة الصليب (ثمانية صلبان)،

ويعود حضر علامة الصليب إلى الفترة البيزنطية وإلى فترة انتشار الديانة المسيحية في المنطقة للدلالة على أن أتباع السيد المسيح - عليه السلام - اكتشفوا هذه المراسي الحجرية وتعرفوا عليها في الحقبة

التي سبقت ظهور الإسلام

في البداية عثر الفريق الاستكشافي على 13 مرساة مبعثرة على امتداد خط افتراضي متجه إلى موقع سفينة سيدنا نوح عليه السلام مما يدل على أن سيدنا نوح باشر بتقطيع حبال المراسي والتخلص منها عندما أحس بانحسار الماء قبيل جنوح سفينته في الموقع الذي استقرت عليه، فقد أمر الله الأرض أن تبلع ماءها الذي نبع منها واجتمع عليها، وأمر السماء أن تُلْعَ عن المطر، (وَغِيضَ الْمَاءُ) أي: شرع في النقص، (وَقُضِيَ الْأَمْرُ) أي: فرغ من أهل الأرض قاطبة، ممن كفر بالله، لم يبق منهم ديار،

(وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ).

وأبقى الله سفينة نوح عليه السلام على الجودي عبرة وآية للناس جميعا، وكم من سفينة قد أبحرت بعدها فهلكت، وصارت حطاما. وعلى مقربة من قرية الثمانية تقع قرية أخرى يترجم اسمها إلى (لن يصمد الغراب)،

تعقبها قرية أخرى يطلق عليها محليا اسم يترجم إلى (هنا تم عكس المجاديف)،

إن هذه القرى الثلاثة والتي تقع على امتداد الخط الواصل إلى موقع السفينة، والتي تحمل أسماء تاريخية توثق الوقائع التي حدثت على ظهر السفينة قبيل استقرارها على الجودي،

تعتبر بمثابة دلائل أكيدة على خط سير السفينة قبيل جنوحها،
فقد مرت السفينة من هنا واجتازت النقاط الثلاثة التي حملت
توقيع ربان السفينة (سيدنا نوح)،

ويمكننا الاستنتاج أيضا أن السفينة بدأت بتخفيض سرعتها
والاستعداد للجنوح الآمن على منطقة ملائمة لها تماما بإذن الله.

(قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ
سَنُعَذِّبُهُمْ ثُمَّ يَمْسُهُمْ مِثْنَا عَذَابٌ أَلِيمٌ) (سورة هود: 48).

كانت كل مرساة مثقوبة من الأعلى بطريقة تنم عن دراية ودقة
في الصنع،

ولا نعرف لحد الآن نوع التقنيات التي استخدمت في التثقيب.
وعثر لحد الآن على 13 مرساة من أصل 24 مرساة يفترض العلماء
وجودها على ظهر سفينة نوح عليه السلام

أما مرابط المراسي الموجودة على السفينة فهي عبارة عن مقاطع
اسطوانية مصنوعة من الحديد ثبتت على جسد السفينة في أماكن
منتخبة بعناية،

ويبدو أن المراسي الحجرية هي التي كانت سائدة في العصور
القديمة،

فقد تم العثور على مرساة حجرية فرعونية مرمية على الساحل
اللبناني تز 188 كيلو غرام ونصف الكيلو،
وتعود إلى عام 2200 قبل الميلاد،

وهذه المرساة الحجرية محفوظة الآن في المتحف الوطني
ببيروت،

وعثر على الكثير من المراسي الحجرية في مناطق متفرقة من سواحل البحر الأبيض المتوسط وكانت أوزانها تتراوح بين 700 — 500 كغم،

ويتراوح ارتفاعها بين 1,1 — 1,2 متر،

وتميزت المراسي البابلية القديمة بصغرها وشكلها المثلث، أما المراسي الفولاذية فلم يتم استخدامها إلا بعد عام 120 قبل الميلاد، وتتناسب أوزان المراسي الحجرية تناسباً طردياً مع حجم السفينة،

فكلما كانت السفينة أكبر حجماً كانت مراسيها الحجرية أكبر وزناً. (4)

لكن المراسي الحجرية التي تم العثور عليها في موقع سفينة نوح تضاهي من حيث الوزن والحجم جميع المراسي الحجرية التي عثر عليها لحد الآن،

إذ يبلغ معدل ارتفاع مراسي سفينة نوح حوالي 2,5 متر، في حين تتراوح أوزانها بين 4 إلى 10 أطنان ويؤكد الباحث ديفيد فاسولد،

وهو من أبرز المستكشفين الذين تخصصوا في هذا الموضوع ، على أن هذه المراسي هي التي أشار إليها الله تعالى في محكم كتابه في سورة هود، وهي تمثل إحدى معجزات القرآن الكريم، **(وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ حَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) (هود 41).**

الموقع الدقيق لسفينة سيدنا نوح ومراسيها

خط الارتفاع	خط العرض	خط الطول	
	39° 37'	43° 59'	موقع مراسي السفينة
6,575 ft	44° 14'	39° 26'	موقع مقدمة السفينة
6,524 ft	44° 14'	39° 26'	موقع منتصف السفينة
6,449 ft	44° 14'	39° 26'	موقع مؤخرة السفينة

واقترنت وظيفة المراسي الحجرية الثقيلة لهذه السفينة العملاقة على ضبط توازن السفينة، والمناورة الملاحية المحدودة، وضمان صمود السفينة بوجه الأمواج العاتية، وعلى الملاحة المتقاطعة مع التيارات العرضية. لكن الأسئلة المحيرة الذي اقضت مضاجع الباحثين، هي: كيف صنعت هذه المراسي الحجرية؟ وما هي الوسيلة المستخدمة في رفعها والتحكم بها؟ وكيف تم تجهيز السفينة بهذه الأحجار الصخرية الثقيلة، والتي لم تكن موجودة في جنوب وادي الرافدين، وما هي التقنية التي اعتمدت في تثقيبها. ويأتي الجواب الإلهي واضحا دقيقا في القرآن الكريم،

إذ ينادي النبي الكريم نوح ربه فيأتيه الفرج

(ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر* وفجرنا الأرض عيوناً* فالتقى الماء على

أمر قد قُدر* وحملناه على ذات ألواح ودسر)

وتصور معي بقلب بصيرتك كيف تدفق الماء من السماء بما لا يتخيله البشر، وأن الأرض كلها تفجرت أنهاراً ضخمة تخرج ما في بطنها من ماء يعلو ويعلو ..

إن أكبر السفن سوف تغوص ويبتلعها البحر مهما كانت ضخمة الحجم ومحكمة الصنع حين تتجاوزها أمواج كالجبال

(وهي تجري بهم في موج كالجبال)

بل تكسرهما بلطمة من موجة عملاقة فتحطمهما،

ككيف وأنهار بل بحاراً من ماء السماء تتصل ببحار الأرض؟!!

وأنى لهذه السفينة البدائية إذا ما قورنت بسفن هذا العصر

العملاقة أن تظل فوق الماء وبين الماء دون أن تتلاشى؟! ...

إن رب الماء والأرض والسماء يقول:

(فاصنع الفلك بأعيننا ووحينا)

وقال في مسير الفلك بأمانه سبحانه

(تجربى بأعيننا) إنها رعاية الله وعنايته ورحمته بالمؤمنين.

العودة

فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسَلِينَ ﴿٣٦﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿٣٧﴾ فَلَا أَقْسَمُ بِمَا
تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تَبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُوْمِنُونَ ﴿٤١﴾
وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ ﴿٤٢﴾ نَزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾
لَا خَذَنَامِنَهُ بِالْإِيمَنِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ
لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ
﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾

سورة المعارج- بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾
تَنْجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا
﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ﴿٨﴾
وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْتَلُ حِمِيمٌ حِمِيمًا ﴿١٠﴾

فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسَلِينَ ﴿٣٦﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ
(فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا)

أي: يوم القيامة

(حَمِيمٌ)

أي: قريب أو صديق يشفع له لينجو من عذاب الله أو يفوز بثواب الله:

{وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ} [سبأ: 23]

{وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَرْزَقِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطِمِينَ مِمَّا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ وَلَا شَفِيعٌ يُطَاعُ} [غافر: 18].

{وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ}

و هو صديد أهل النار، الذي هو في غاية الحرارة، و نتن الريح،
و قبح الطعام و مرارته

{لَا يَأْكُلُهُمْ}

لا يأكل هذا الطعام الذميم

{إِلَّا الْخَطِئُونَ}

الذين أخطأوا الصراط المستقيم و سلكوا سبل الجحيم
فلذلك استحقوا العذاب الأليم.

فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾

وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾

نَزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ نَقُولَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ

﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾

وَإِنَّهُ لَنَذِكْرٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى

الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾

(فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ)

أقسم تعالى بما يبصر الخلق من جميع الأشياء

(وَمَا لَا تُبْصِرُونَ)

و ما لا يبصرونه، فدخل في ذلك كل الخلق
بل يدخل في ذلك نفسه المقدسة،

(إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ)

على صدق الرسول بما جاء به من هذا القرآن الكريم،

و أن الرسول الكريم بلغه عن الله تعالى.

*** يَعْني: مُحَمَّدًا، أَضَافَهُ إِلَيْهِ عَلَى مَعْنَى التَّبْلِيغِ؛
لَأنَّ الرَّسُولَ مَنْ شَأْنُهُ أَنْ يُبْلَغَ عَنِ الْمُرْسَلِ؛
وَ لِهَذَا أَضَافَهُ فِي سُورَةِ التَّكْوِيرِ إِلَى الرَّسُولِ الْمَلَكِيِّ:

{ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ 19 ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ 20 مُطَاعٍ ثُمَّ أَمِينٍ }

[التكوير: 19 - 21] وَ هَذَا جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

(وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ)

***كقوله {وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ} [التكوير: 25]

و نزه الله رسوله عما رماه به أعداؤه، من أنه شاعر أو ساحر،
و أن الذي حملهم على ذلك عدم إيمانهم و تذكرهم، فلو آمنوا و تذكروا،
لعلموا ما ينفعهم و يضرهم،

و من ذلك، أن ينظروا في حال محمد ﷺ، و يرمقوا أوصافه و أخلاقه،
لرأوا أمراً مثل الشمس يدلهم على أنه رسول الله حقاً،

المعجم: المعجم الوسيط

* الكَاهِنُ : كلٌّ من يتعاطى علماً دقيقاً .

ومن العرب من كان يُسمَّى المُنْجِمَ والطبيبَ كاهناً .
و الكَاهِنُ الذي يقوم بأمر الرجل ويسعى في حاجته .

و الكَاهِنُ عند اليهود والنصارى : من ارتقى إلى درجة الكهنوت
و الكَاهِنُ عند أصحاب الديانات الأخرى من غير المسلمين :
من ساغ له أن يُقدِّم الذبائح والقرايين ويتولى الشعائر الدينية .
و (حُلْوَانُ الكَاهِنِ) : أجره .

و (سَجْعُ الكُهَّانِ) : كلامهم المَزُوق المَتَكَلَّف

انتهى^١

-هو إنسان تخصص بالنظر في النجوم وقياس الأحداث الكونية
بما يشاهده من متغيرات تطرأ على الكواكب و النجوم
و هو مختص في الوساطة بين شياطين الجن و شياطين الإنس،

- كما و يقوم الكاهن بأمور علاجية،
- و يكتب وصفات الأعشاب فهو بمنزلة الطبيب و يسمى السيد
- و كل من يدعي علم غيب الحاضر أو المستقبل،
- يطلق عليه أسم الكاهن أو العراف
- وصفة الكاهن والعراف تنطبق على المنجم و المخبر
- و أصحاب الفأل وأصحاب زجر الطير و أصحاب ضرب الرمل
- أصحاب ضرب الحصى أو الودع وأصحاب الخط بالأرض.
- وينافسهم على هذه الصفة من يدعي أن له أخوان من الجن
- سواء هذا الجن مسلما أو كافرا
- و قال الأزهري - الكاهن الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في
- مستقبل الزمان و يدعي معرفة الأسرار
- و قد كان في العرب كهنة كشق و سطيح و غيرهما
- فمنهم من كان يزعم أن له تابعا من الجن ورثيا يلقي إليه
- الأخبار.
- و منهم من كان يزعم أنه يعرف الأمور بمقدمات أسباب
- يستدل بها على مواقعها من كلام من يسأله أو فعله أو حال
- وهذا يخصونه باسم العراف كالذي يدعي معرفة الشيء
- المسروق و مكان الضالة ونحوهما
- سر تعظيم الناس للكاهن :
- وسر تعظيم الناس للكاهن أن الإنسان بطبعه تواق إلى حب
- الاستطلاع، والإطلاع على مغيبات الأمور.
- و هذا نوع من انواع الاستمتاع.

و قد ذكر ابن خلدون في مقدمته أن من خواص النفس البشرية التشوف إلى عواقب أمورهم و علم ما يحدث لهم من حياة وموت وخير وشر سيما الحوادث العامة كمعرفة ما بقي من الدنيا ومعرفة مددالدول أو تفاوتها والتطلع إلى هذا طبيعة البشر مجبولون عليها و لذلك نجد الكثير من الناس يتشوفون إلى الوقوف على ذلك في المنام.

-فمن الكهانة استطلاع خبر السماء عن طريق مسترقي السمع من مرادة الشياطين

و كان ذلك معروفا قبل بعث الرسول ﷺ

-الكاهن رسول الشيطان

و كان المشركون يهرعون إليهم و يفزعون إليهم في أمورهم العظام و يصدقونهم و يتحاكمون إليهم و يرضون بحكمهم الكهان عند أتباعهم بمنزلة الرسل ○ فالكاهن يلتف حوله المشركون بالله و ضعفاء النفوس من أتباعه و جميعهم في الحقيقة أتباع الشيطان و أولياؤه و رسل إبليس حقيقة صدق عليهم ظنه.

(نَزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ)

و أن ما جاء به تنزيل رب العالمين، لا يليق أن يكون قول البشر بل هو كلام دال على عظمة من تكلم به، و جلالة أوصافه، و كمال تربيته لعباده، و علوه فوق عباده، و أيضا،

فإن هذا ظن منهم بما لا يليق بالله و حكمته

(وَلَوْ نَقُولَ عَلَيْهِمْ)

فإنه لو تقول عليه وافترى

(بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ)

الكاذبة.

(لَا خِذْنَاهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ)

* المعجم الوسيط:

الشريان الرئيس الذي يغذي جسم الإنسان بالدم النقي الخارج من القلب

*الويكيبيديا: الشريان الأبهر أو الأورطي ويسمى أدبياً الوتين

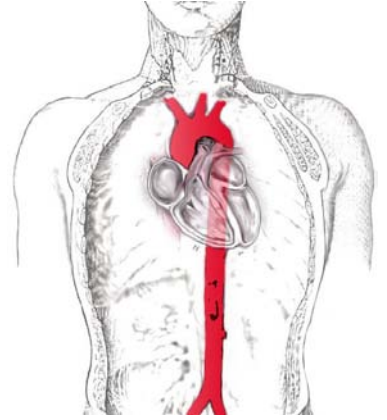
(بالإنجليزية: Aorta) هو أكبر شريان في جسم الإنسان،

يخرج من البطن الأيسر من الأمام على يسار الشريان الرئوي، ويتجه إلى أعلى واليمين خلف الشريان الرئوي.

وهو يوزع الدم المؤكسج إلى جميع أنحاء الجسم عن طريق

الدورة الدموية الكبرى التي تبدأ من البطن الأيسر وتنتهي في

الأذين الأيمن.



*** نياط القلب

وهو عرق متصل بالقلب إذا انقطع مات منه الإنسان،
فلو قدر أن الرسول - حاشا وكلا- تَقَوَّلَ على الله لعاجله بالعقوبة،
وأخذه أخذ عزيز مقتدر، لأنه حكيم، على كل شيء قدير،
فحكمته تقتضي أن لا يمهل الكاذب عليه،
الذي يزعم أن الله أباح له دماء من خالفه وأموالهم،
وأنه هو وأتباعه لهم النجاة، ومن خالفه فله الهلاك.
فإذا كان الله قد أيد رسوله بالمعجزات، وبرهن على صدق ما جاء به بالآيات
البيانات، ونصره على أعدائه، ومكنه من نواصيهم، فهو أكبر شهادة منه على
رسالته.
وقوله:

(فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِيزِينَ)

أي: لو أهلكه، ما امتنع هو بنفسه، و لا قدر أحد أن يمنعه من عذاب الله.

(وَإِنَّهُ،)

أي: القرآن الكريم

(لَنَذْكُرَهُ لِلْمُتَّقِينَ)

***كقوله {قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ

عَلَيْهِمْ عَمًى} [فصلت: 44]

—يتذكرون به مصالح دينهم و دنياهم، فيعرفونها، و يعملون عليها،
يذكرهم العقائد الدينية، و الأخلاق المرضية، و الأحكام الشرعية،
فيكونون من العلماء الربانيين، و العباد العارفين، و الأئمة المهديين.

(وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُّكَذِّبِينَ)

به، و هذا فيه تهديد و وعيد للمكذبين،
فإنه سيعاقبهم على تكذيبهم بالعقوبة البليغة.

(وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ)

***ندامة بسبب تكذيبهم

{كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ 200 لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ}

[الشعراء: 200، 201]

{وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ

مُرِيبٍ {سبأ: 54}

فإنهم لما كفروا به، و رأوا ما وعدهم به، تحسروا إذ لم يهتدوا به،
و لم ينقادوا لأمره، ففاتهم الثواب، و حصلوا على أشد العذاب،
و تقطعت بهم الأسباب.

(وَلِإِنَّهُمْ لَحَقُّ الْيَقِينِ)

***لذا قال هاهنا **(وَلِإِنَّهُمْ لَحَقُّ الْيَقِينِ)**

أي الخبر الحق الذي لا مرية فيه و لا شك و لا ريب
أي: أعلى مراتب العلم، فإن أعلى مراتب العلم اليقين
و هو العلم الثابت، الذي لا يتزلزل و لا يزول.

و اليقين — مراتبه ثلاثة كل واحدة أعلى مما قبلها:

1- علم اليقين، و هو العلم المستفاد من الخبر.

2- ثم عي — اليقين، و هو العلم المدرك بحاسة البصر.

3- ثم ح — ق اليقين، و هو العلم المدرك بحاسة الذوق و المباشرة.

و هذا القرآن الكريم، بهذا الوصف،

فإن ما فيه من العلوم المؤيدة بالبراهين القطعية،

و ما فيه من الحقائق والمعارف الإيمانية،

يحصل به لمن ذاقه حق اليقين .

(فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ)

أي: نزهه عما لا يليق بجلاله، وقده بذكر أوصاف جلاله وجماله وكماله.
70- تفسير سورة سأل سائل (المعارج)- وهي مكية- بسم الله الرحمن الرحيم

سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ① لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ② مِنْ اللَّهِ ذِي
الْمَعَارِجِ ③ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ
أَلْفَ سَنَةٍ ④ فَأَصْبَرَ صَبْرًا جَبِيلًا ⑤ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ⑥ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ⑦
يقول تعالى مبينا لجهل المعاندين، و استعجالهم لعذاب الله،
استهزاء و تعنتا و تعجيزا:

(سَأَلَ سَائِلٌ)

أي: دعا داع، و استفتح مستفتح

(بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ① لِلْكَافِرِينَ)

لاستحقاقهم له بكفرهم و عنادهم

(لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ② مِنْ اللَّهِ)

***كقوله

{وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ} [الحج: 47]

*** دَعَا دَاعٍ بِعَذَابٍ وَّاقِعٍ يَقَعُ فِي الْآخِرَةِ، قَالَ: وَهُوَ قَوْلُهُمْ:
{اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ اثْنِتْنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} [الأنفال: 32]

أي: ليس لهذا العذاب الذي استعجل به من استعجل، من متمردي المشركين ، أحد يدفعه قبل نزوله، أو يرفعه بعد نزوله،
و هذا حين دعا النضر بن الحارث بن كلدة القرشي أو غيره من المشركين فقال:

{وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ اثْنِتْنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} [الأنفال: 32] إلى آخر الآيات.
فالعذاب لا بد أن يقع عليهم من الله:-

-فإما أن يعجل لهم في الدنيا،
- و إما أن يؤخر عنهم إلى الآخرة ، فلو عرفوا الله تعالى، و عرفوا عظمته،
و سعة سلطانه و كمال أسمائه و صفاته، لما استعجلوا و لاستسلموا و تأدبوا،
و لهذا أخبر تعالى من عظمته ما يضاد أقوالهم القبيحة فقال:

(ذِي الْمَعَارِجِ)

***الدرجات

أي: ذو العلو و الجلال و العظمة، و التدبير لسائر الخلق،

تَعْرِجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ

الذي تعرج إليه الملائكة بما دبرها على تدبيره، و تعرج إليه الروح،
و هذا اسم جنس يشمل الأرواح كلها، برها و فاجرها، و هذا عند الوفاة،
- فأما الأبرار فتعرج أرواحهم إلى الله، فيؤذن لها من سماء إلى سماء،
حتى تنتهي إلى السماء التي فيها الله عز وجل، فتحيي ربها و تسلم عليه،
و تحظى بقربه، و تبتهج بالدنو منه،
و يحصل لها منه الشاء و الإكرام و البر و الإعظام.
- و أما أرواح الفجار فتعرج، فإذا وصلت إلى السماء استأذنت فلم يؤذن لها،
و أعيدت إلى الأرض.

(فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ) الاعجاز العلمي من هنا

- ثم ذكر المسافة التي تعرج إلى الله فيها الملائكة و الأرواح
و أنها تعرج في يوم بما يسر لها من الأسباب،
و أعانها عليه من اللطافة و الخفة و سرعة السير،
مع أن تلك المسافة على السير المعتاد مقدار خمسين ألف سنة،
من ابتداء العروج إلى وصولها ما حد لها، و ما تنتهي إليه من الملاء الأعلى،
فهذا الملك العظيم، و العالم الكبير، علويه و سفليه،
جميعه قد تولى خلقه و تدبيره العلي الأعلى،

فعلم أحوالهم الظاهرة و الباطنة، و علم مستقرهم و مستودعهم،
و أوصلهم من رحمته و بره و رزقه ،
ما عمهم و شملهم و أجرى عليهم
حكمه القدري،
و حكمه الشرعي
و حكمه الجزائي.
فبؤسا لأقوام جهلوا عظمتهم،
و لم يقدروه حق قدره، فاستعجلوا بالعذاب على وجه التعجيز و الامتحان،
و سبحان الحليم الذي أمهلهم و ما أهملهم،
و آذوه فصبر عليهم و عافاهم و رزقهم.
هذا أحد الاحتمالات في تفسير هذه الآية الكريمة
فيكون هذا العروج و الصعود في الدنيا، لأن السياق الأول يدل على هذا.
○ و يحتمل أن هذا في يوم القيامة،
و أن الله تبارك و تعالى يظهر لعباده في يوم القيامة من عظمتهم و جلاله
و كبريائه، ما هو أكبر دليل على معرفته،
مما يشاهدونه من عروج الأملاك و الأرواح صاعدة و نازلة،
بالتدابير الإلهية، و الشؤون في الخليقة .
في ذلك اليوم الذي مقداره خمسون ألف سنة من طوله و شدته،

لكن الله تعالى يخففه على المؤمن.

***صحيح مسلم

(987) عن أَبِي هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«مَا مِنْ صَاحِبٍ ذَهَبَ وَ لَا فِضَّةً، لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا،
إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ،
فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيَكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ،
كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ،
حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ، إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَ إِمَّا إِلَى النَّارِ»
و قوله:

(فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا)

أي: اصبر على دعوتك لقومك صبرا جميلا لا تضجر فيه و لا ملل،
بل استمر على أمر الله، و ادع عباده إلى توحيده،
و لا يمنعك عنهم ما ترى من عدم انقيادهم، و عدم رغبتهم،
فإن في الصبر على ذلك خيرا كثيرا.

***كقوله {يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا
وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ}
[الشورى: 18]

(إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۖ وَنَرَاهُ قَرِيبًا)

الضمير يعود إلى البعث الذي يقع فيه عذاب السائلين بالعذاب

أي: إن حالهم حال المنكر له، أو الذي غلبت عليه الشقوة و السكره،
حتى تباعد جميع ما أمامه من البعث والنشور، والله يراه قريبا،
لأنه رفيق حلیم لا يعجل، و يعلم أنه لا بد أن يكون،
و كل ما هو آت فهو قريب.
ثم ذكر أهوال ذلك اليوم و ما يكون فيه، فقال:

يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ⑧ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ①

وَلَا يَسْتَلُ حِمِيٌّ حِمِيًّا ⑩

(يَوْمَ)

أي: القيامة، تقع فيه هذه الأمور العظيمة

ف_____ (تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ)

و هو الرصاص المذاب من تشققها و بلوغ الهول منها كل مبلغ.
***كدردي الزيت

(وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ)

***كقوله {وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ} [القارعة: 5]

و هو الصوف المنفوش، ثم تكون بعد ذاك هباء منثورا فتضمحل،
فإذا كان هذا القلق و الانزعاج لهذه الأجرام الكبيرة الشديدة،

فما ظنك بالعبد الضعيف الذي قد أثقل ظهره بالذنوب و الأوزار؟
أليس حقيقا أن ينخلع قلبه و ينزعج لبه، و يذهل عن كل أحد؟

ولهذا قال (**وَلَا يَسْتَلْ حَمِيمٌ حَمِيمًا**)

***كقوله {لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ} [عبس: 37]

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَاحْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ
جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ
بِاللَّهِ الْغُرُورُ } [لقمان: 33]

أي: يشاهد الحميم، و هو القريب حميمه،

فلا يبقى في قلبه متسع لسؤال حميمه عن حاله،

و لا فيما يتعلق بعشرتهم و مودتهم، و لا يهمله إلا نفسه.

سرعة الضوء في القرآن الكريم

الرابط

(1) وحدة القوى والمواد في الأصل والطبيعة والحركة العاجلة:

سرعة الضوء في الفراغ هي نفس سرعة كل أشكال الطيف كالأشعة فوق البنفسجية و الأشعة تحت الحمراء وموجات الراديو والتلفزيون ومن الجائز أيضا موجات الجاذبية، ويعبر فيزيائيا عن سرعة القوى الفيزيائية بسرعة الضوء باعتباره الجزء المرئي في الطيف الكهرومغناطيسي ويستوي في ذلك ضوء شمعة أو ومضات نجم، وسرعة الضوء في جو الأرض دون الحد الأعلى قليلا أما سرعته في الفراغ فلا تتجاوزها قوة ولا تبلغها مادة، وال فرضيات النظرية باختلاف سرعة الضوء عند نشأة الكون أو عند نهايته لا تنقض القياسات العملية حاليا ولا تنقضها بالمثل فرضية الجسيمات الأسرع من الضوء (التاكيونات Tachyons) أو الأجسام سالبة الكتلة لو ثبتت.

ولم يقدم الدليل الأول على تحرك الضوء بسرعة غير لحظية إلا عام 1676 عندما نجح الفلكي أولاس رومر Olas Roemer للمرة الأولى في التاريخ من قياسها عن طريق ملاحظة وجود فارق زمني في تأخر ظهور أقمار كوكب المشتري عندما تكون الأرض في الجهة الأبعد منه خلال دورتها حول الشمس، وبمعرفة طول القطر الأكبر لمدار الأرض ومدة التأخر وفق الأجهزة المتاحة في القرن السابع عشر كانت النتيجة واسعة التقريب حوالي 22 ألف كم\ ثانية، ولكن أمكن تقديم الدليل الأول على أن

سرعة الضوء محدودة وإن كانت هائلة، وبعد حوالي نصف قرن حصل برادلي عام 1728 على نتيجة مقاربة عن طريق قياس فلكي آخر، ولم تبدأ القياسات الدقيقة إلا في منتصف القرن التاسع عشر داخل المعمل، وفي القرن العشرين استخدمت في القياس تقنيات أكثر دقة ومع استخدام الليزر بلغت الدقة إلى حد أن الخطأ لا يتجاوز أجزاء قليلة من البليون، وأخيرا بعد جهود استمرت حوالي ثلاثة قرون أمكن عام 1983 في مؤتمر القياسات في باريس تعريف المتر دوليا بالزمن اللازم ليقطعه الضوء

0.00000000333564 ثانية)

بناء على قيمة سرعة الضوء في الفراغ وهي 299792.458 (حوالي 300 ألف) كم\ثانية[1].

وقوله تعالى (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ) يونس 3 و 31 والرعد 2 والسجدة 5؛ يرجع الكون الفيزيائي كله إلى أمر واحد هو كلمة (كن) التي تصور مخاطبة الأشياء غير الموجودة كأنها موجودة تعبيرا عن الوحدانية والاقتدار ونفاذ الإرادة، يقول العلي القدير: (بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (البقرة 117)، والتدبير Management يلزمه فاعل ويعوزه بالضرورة مفعولا به يتجلى فيه فعل التدبير، وورود (الأمر) مفعولا به يجعله مأمورا به يتجلى فيه تدبير الخالق سبحانه فيستقيم حمله على المادة الأساسية للعالم، قال الألوسي: "الأمر راجع إلى المراد لا إلى الإرادة.. (أي) الأشياء المرادة المكونة"[2]،

وقال ابن تيمية: "وفي لغة العرب التي نزل بها القرآن أن يسمى..
المخلوق خلقا لقوله تعالى (

هذا خلق الله

).. ولهذا يسمى المأمور به أمرا"[3]، "ولفظ الأمر يراد به..
المفعول.. كما قال تعالى: (

أتى أمر الله

]. فهنا المراد به المأمور به وليس المراد به أمره الذي هو
كلامه"[4]، "فإذا قيل في المسيح أنه (كلمة الله) فالمراد به أنه
خُلِقَ بكلمة.. (كن).. وكذلك إذا قيل عن المخلوق أنه (أمر الله)
فالمراد أن الله كونه بأمره"[5]، "وهذا قول سلف الأمة وأئمتها
وجمهورها"[6]، "وبهذا التفصيل يزول الاشتباه في مسألة
الأمر"[7].

وإرجاع كل شيء في الوجود إلى (أمر واحد) في الأساس وتكون
كل شيء منه بتقدير واحد منذ بدء الخلق على مراحل متتابعة
كالأيام يفيد رجوع كافة القوى الفيزيائية والمواد إلى "وَاحِدَةً"
هي لبنة مادة البناء الأساسية Essential building Matter،
وهذا الأمر عاجل الحركة أشبه ما يكون في السرعة بومضة
الضوء، يقول العلي القدير: (

إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ
(القمر5049،

واللمح وميض نجم أو برق، قال ابن فارس: "اللمح أصل يدل على
لمع شيء"،

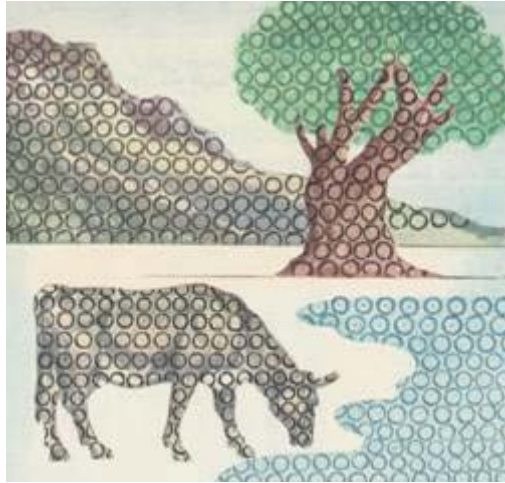
وقال ابن منظور: "لَمَعَ بِمَعْنَى أَضَاءَ" [8]، وفي تشبيهه بومضة الضوء قال الألويسي: "الغرض من التشبيه بيان سرعته" [9]، وقال الرازي: "فاللمح بالبصر معناه (ضوء) البرق يخطف بالبصر أي يمر به سريعاً وذلك في غاية السرعة"، وقال أبو حيان: "لما كان أسرع الأحوال والحوادث في عقولنا هو لمح البصر ذكره.. فهو تشبيه بأعجل ما يحسه الناس" [10]، ووافقهم جل المفسرين. وفي قوله تعالى: (

يَذْبَرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ

(؛ قال جوهرى: "وتنزيل الأمر من السماء يقتضي النظر في منشأ هذا العالم فإن هذه العناصر لم تظهر في بادئ الأمر.. (لتضمنه) تنزيل الله للعوالم من حالها الأول حال البساطة والنور إلى حال الكثافة والتركيب.. (ومقتضى) رجوع الأمر إلى الله.. أن هذا العالم سائر من الكثافة إلى اللطافة كما أنه تنزل من اللطيف إلى الكثيف" [11]، "(يعني) لا وجود في الأصل إلا لمادة واحدة بسيطة والقوى الطبيعية كلها صادرة بالتسلسل عن قوة أصلية واحدة وتباين القوى إنما جوهرها في الأصل واحد وكل ما يقع أو لا يقع تحت نظرك من الوجود فهو صادر عن مادة أصلية واحدة" [12]، "فهذا العالم كله أصله مادة واحدة هي الأصل لهذه الموجودات ومنها تكونت المادة والكهرباء والمغناطيسية والحرارة والضوء، فهذه كلها صفات وتنوعات في المادة الأساس.. ولا تزال المادة واحدة واختلاف المظاهر وقتي.. (وقد) خلق الله العالم من مادة واحدة ليستدلوا على وحدانيته وقدرته" [13]، وأضاف: "إذن

الأمر إن هو إلا تجليات ومظاهر لقدرة المحيط علماً.. طُبعت في هذا الخلاء الفسيح طبعاً ظهرت لنا.. بهيئة حركات.. وتجلي لعيوننا بهيئة نبات وحيوان وشمس" [14]، "فما هذا العالم كله إلا حركات" [15]، "وهكذا الزرع.. والحيوان وأجسام الناس" [16]، وأتساءل مأخوذاً؛ أليس بهذا نفهم قول الله عز وجل "

خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأَرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ
" الأنبياء 37.



جاء الإنسان ليعاين الوحدة في الكائنات ويعرف الخالق سبحانه وتعالى ويعبده وحده كغاية للوجود، وتتكون الذرات في أجسام كل الكائنات من نفس اللبنات وطبيعتها جميعاً الحركة في عَجَل.

(2) الكون في ارتداد:

وفي قوله تعالى:

يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ. ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ

التعبير (إليه) في حق الذات العلية لا يعني التحيز وإنما عودة الأمر كله في نهاية المطاف إلى الله تعالى وحده كما قال تعالى:

وَالِيهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ

(هو 123؛ فهو إعلان عن نهاية للكون وتأكيد لوحداية الله تعالى وبيان على أنه لا نهاية لعلمه وقدرته ونفاذ إرادته، قال البيضاوي: "(يعني) يدبر الأمر إلى قيام الساعة" [17] وفي قوله تعالى: "

أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ

" النحل 1؛ إعلان عن قدوم القوى عائدة وإن لم تصل بعد وبنفس السرعة القصوى في الخلاء المماثلة لسرعة الضوء، يقول تعالى:)
وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

النحل 77.

(3) قيمة ثابتة للانتقال في الكون:

اعتاد العرب منذ القدم التعبير عن المسافة بزمان قطعها مع إضمار سرعة فيقال المسافة بين مكة والمدينة "نصف شهر" أي بالجمل ومع التقدم في الوسائل وتنامي سرعة الانتقال أصبحت نفس المسافة "نصف ساعة" بسرعة الطائرة ولذا تكون "الساعة كشهر"، وسرعة القوى الفيزيائية Physical forces في الفراغ واحدة ويعبر عنها بقيمة سرعة الضوء في الفراغ وهي

أعلى سرعة في الكون الفيزيائي وتعرف بالثابت الكوني للحركة
،Universal Constant of Motion

وفي مقابل تلك القيمة الثابتة نجد قيمة ثابتة في مقام بيان
سرعة قصوى يتضمنها التعبير "

فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ

"، والمقام قياس لما يقطع في يوم بتلك السرعة البالغة بمقياس
سير ألف سنة لأن السياق يتعلق بقطع مسافة والتعبير

(كَانَ مِقْدَارُهُ) يعني في اللغة (كان مقياسه وحده)

فلا يزيد المقياس عن هذا الحد في المسافة، واليوم الأرضي
المعلوم للعرب المخاطبين لا يصلح أن يساوي ألف سنة من سنيهم
إلا في المسافة، والمسافة التي تقطع في يوم محدودة وإن قطعت
بأعلى سرعة فهي لا تزيد عن ألف سنة من سنيهم المبنية على
حركة القمر حول الأرض بالنظر المجرد، والتعبير (مَمَّا تَعْدُونَ)
وصف عائد على الألف سنة المتضمنة لحركة جسم نسبية يتعدد
وصفها ويعوزها التحديد فعاد سياقاً على الحركة، والسياق يتعلق
بقياس حركة أمر ما يملأ الكون بين الأجرام

(مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ)

وبيان أن حركته بانحناء كحركة الأعرج في مشيته وهو وصف
يتفق مع المعلوم اليوم بحركة القوى الفيزيائية في الفضاء بين

الأجرام بانحناء نتيجة لتأثير الأجرام.
والقياس عند ابن عباس (رضي الله عنهما) هو:

"مقدار سير الأمر" [18]،

قال قتاده: "يقول مقدار مسيره في ذلك اليوم ألف سنة" [19]،
وقال القرطبي: "في يوم كان مقداره في المسافة ألف سنة" [20]،
وقال الألويسي: "في يوم مقدار مسافة السير فيه ألف سنة"، وقال
الطبري: "لأن المسافة مسيرة ألف سنة"، وقال الرازي: "واليوم
هنا زمان"، وقال الزمخشري: "(وهو) يقطع مسيرة ألف سنة في
يوم واحد"، وأصاب ابن عباس بمعوله عين النبع بقوله: "لسرعة
سيره يقطع مسيرة ألف سنة في يوم"، قال الألويسي مفسرا تلك
العلاقة: "وإن لم تبعد هذه السرعة.. عند من وقف على سرعة
حركة الأضواء وعلم أن الله سبحانه على كل شيء قدير" [21]..
وقال: "وأي مانع أن يخلق الله تعالى.. من السرعة نحو ما خلق
تعالى في ضوء الشمس.. (فإن) ضوءها ليصل إلى الأرض في مدة
ثمان دقائق" [22]، وقال حفيده: "(أن من النجوم) ما لا يصل نوره
إلى الأرض في مائة سنة بل أكثر مع شدة سرعة الضوء" [23].

(4) نسبية حركة الأجسام:

وقوله تعالى:

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ
مِّمَّا تَعُدُّونَ

تأكيد لمماثلة مسافة يوم لمسافة ألف سنة في مقام تصوير أمر يستعجل قوم النبي صلى الله عليه وسلم قدومه إنكاراً مما يؤكد أنه يمضي بأقصى سرعة Uppermost speed،

والتعبير (عِنْدَ رَبِّكَ) لا يعني في حق الذات العلية التحيز وإنما يعني وفق تدبير الله تعالى في الكون كله، ويستقيم فيزيائياً أن يحمل ذلك الأمر القادم بأقصى سرعة نحو الأرض فلا يحتاج معها مزيد استعجال على القوى المعبر عن سرعتها بسرعة الضوء، والسنة في عرف العرب منذ القدم مبنية على حركة القمر في 12 دورة حول الأرض، وإن قلت (علي كالأسد) فالتشبيه يعني أن علي جسور ولكنه لا يتجاوز الأسد المشبه به في وجه الشبه، وفي التعبير (وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ)

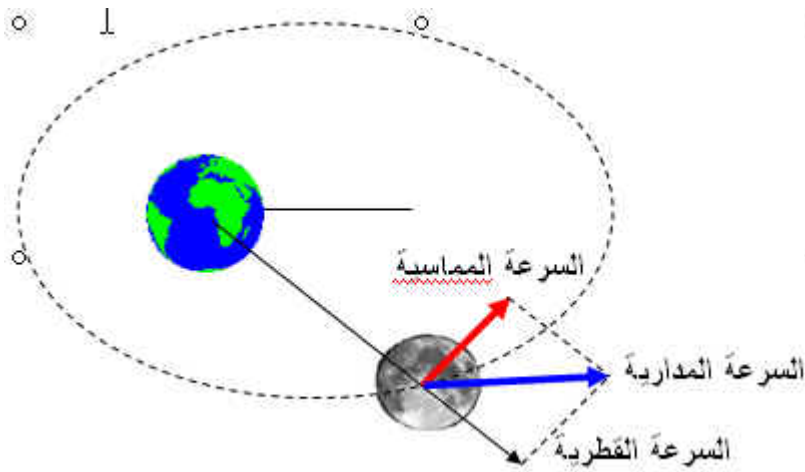
لا تتجاوز كذلك مسافة اليوم بأقصى سرعة مقدرة مسافة ألف سنة بحركة ما تبنى على حركته السنة، ويصلح الوصف (مِمَّا تَعُدُّونَ)

لتمييز حركة القمر المتضمنة سياقاً والتي تبنى عليها السنة ولا يصلح أن يكون تمييزاً للسنة القمرية لأنه يحدد مختاراً من متعدد وهم لم يستخدموا غيرها في التقويم، وهو يعني (من الذي تحسبون وتظنون) وليست السنة محل ظن، وبذلك يشترط السياق لتعريف أقصى سرعة أن تكون حركة القمر وفق ما يحسبون ويظنون وإن كانت الحقيقة بخلافه، والمراقب الأرضي لا يدرك بالعين المجردة نسبة التغير Variation Ratio في البعد أو

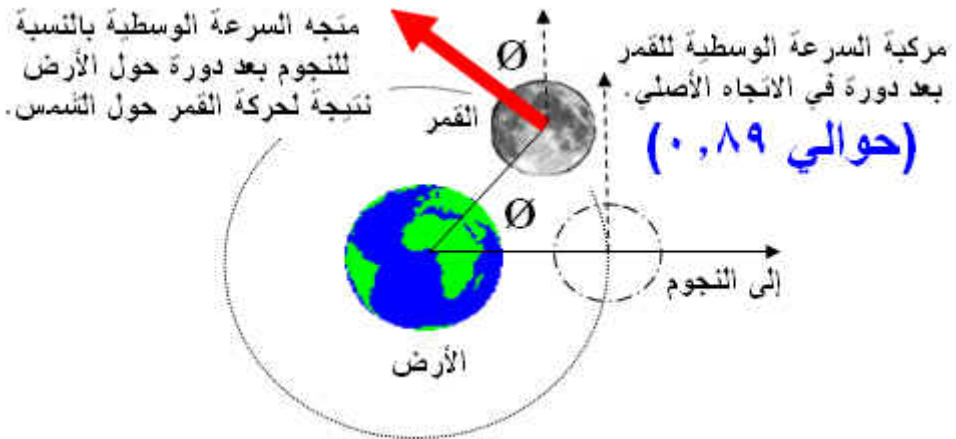
السرعة فيظن أن مدار القمر يخلو منها كما لو كانت حركته
منسوبة للنجوم في دائرة كاملة الاستدارة Perfectly
circular orbit وكأنها في نظام معزول Isolated
System خالي من تأثير الشمس لأن حركة القمر مع الأرض
حول الشمس لا يعاينها إلا مراقب خارج النظام الشمسي، ولذا
بنسبة الحركة للنجوم واستبعاد نسبة التغير من القيمة الوسطية
يتحقق المقياس المطلوب لبيان حد السرعة في معادلة ثابتة كلا
طرفيها معزول عن التأثير الخارجي.

(5) قيمة مطابقة لسرعة الضوء:

لتعيين النسبة الثابتة Basic Ratio من السرعة الوسطية
المطلوبة للقياس على المدار القمري والتي لا تخضع لتغير؛ يمكن
عند أي نقطة على مدار ناقص الاستدارة Ellipse تحليل السرعة
المدارية Orbital Velocity إلى مركبتين متعامدتين إحداهما
عمودية على القطر وتسمى السرعة الزاوية Angular Speed
وقيمتها ثابتة في كل النقاط على المدار والثانية تسمى السرعة
القطرية Radial speed وتختلف قيمتها من نقطة لأخرى وهي
المسئولة عن نسبة التغير (Zeilik and Smith,)
Introductory Astronomy and Astrophysics,
(1987, p17).



والسرعة الثابتة القيمة تسمى أيضا السرعة المماسية Tangential Velocity لأنها المسئولة عن الحركة الأمامية، وفي حالة القمر تكافئ نسبتها تماما نسبة مركبة السرعة الوسطية في الاتجاه الأصلي بعدد 0.8915725423 (حوالي 0.89)، ولذا نسبة التغير في سرعة القمر حوالي 0.11 (حوالي 0.1). (Encyclopedia Britannica)



ويسمى اليوم الأرضي بالنسبة للنجوم باليوم النجمي Sidereal day وهو 86164.09966 ثانية، ويسمى الشهر بالنسبة للنجوم بالشهر النجمي وهو 27.32166088 يوما، وقيمة السرعة الوسطية للقمر حوالي 1.023 كم\ثانية (Laros Astronomy, p.142)، والقيمة المسافة التي يقطعها القمر حول الأرض في دورة في النظام المجرى 2.152612369 مليون كم،

وتجعل المسافة المقطوعة في 25.83134723012000 بليون كم، وبالتالي تكون قيمة السرعة القصوى (مسافة 12000 مدار\يوم 299792.458 كم\ثانية،

وهي نفس القيمة في الفيزياء (موسوعة أكسفورد 316).
السرعة الكونية الحدية القصوى = مسافة ألف سنة قمرية\يوم
(في النظام الأرض قمرى المعزول) =
25.83134723 بليون 86164.09966 ثانية 299792.458 كم\ثانية.

(6) سرعة الضوء هي الأنسب للقياسات الفلكية:

توصل أورت Oort عام 1950 إلى أن عالمنا الكوكبي محاط بسحابة سميكة من المذنبات تسمى بسحابة أورت Oort Cloud، والجزء الداخلي مسطح بمستوى مدارات الكواكب والخارجي كروي تتحرك فيه المذنبات من كل جانب ويمكن أن تترجم أي عابر إذا تواني، وحزام المذنبات ذات المدارات قصيرة الأمد دون

200 سنة يسمى بحزام كويبر Kuiper Belt، وفي علم 2003 اكتشف كوكب عاشر على بعد 97 وحدة فلكية (الوحدة الفلكية هي متوسط المسافة من الأرض للشمس وهي حوالي 150 مليون كم)، ويتسع الجزء الداخلي لكوكب آخر (حادي عشر) يعقبه على بعد لا يزيد عن يوم ضوئي (172 وحدة فلكية)، وبذلك يتفق اختيار مسافة يوم ضوئي مع حدود عالم المخاطبين من الكواكب في الحدود الدنيا للأجرام السماوية أو (السماء الدنيا) في تعبير المفسرين مصداقا لقوله تعالى: (

إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ وَحِفْظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَىٰ وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ دُخْرًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ

الصفات 106،

قال الشوكاني: "أراد بقوله

(فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ)

المسافة التي بين الأرض وبين سماء الدنيا "[24]،

وقال الألوسي: "ألف سنة..

مسافة ما بين الأرض ومحبب السماء الدنيا "[25].

(7) عمر الكون وامتداده:

في سياق الإنذار بدمار الأرض وهلاك أهلها كذلك مع تقارب أطراف الكون وإن بدا حده بعيدا وردت نفس القيم في قياس أكبر يُمكن حمله على أقصى بعد؛ يقول تعالى:

سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ. لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ. مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ. تَعْرُجُ
 الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا.
 إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا وَنَرَاهُ قَرِيبًا. يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ. وَتَكُونُ الْجِبَالُ
 كَالْعِهْنِ. وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا
 المعارج 101،

و(المَعَارِجِ) جمع لاسم المكان (مَعْرَج)

كأدق وصف للآفاق الممتدة حيث تسري القوى بانحناء كمشية
 الأعرج، والاكتشاف بأن مسارات القوى منحنية دفع الفيزيائيين
 لإطلاق تعبير الكون المنحني Curved Universe، وفي اللغة:
 "تعارج حاكى مشية الأعرج وعرجه ميّله وتعرّج مال والتعاريج
 المنحنيات والعرجون العنق المعوج" [26]،

والملائكة والروح رسل هداية لا تنقطع عن الإبلاغ إلى أن يعود
 كل شيء إلى الله لا سواه بيانا لوحديته تعالى وتفرده، وهم
 حضور في قياس مسافة لا يقطعها جسم مادي محدود السرعة في
 كون متغير الأبعاد مما يعني أنه عامر بالساجدين، قال جوهرى:
 "أخذ يستأنف مبينا ارتفاع تلك الدرجات..

فليس المراد المدة بل بعد المدى.. وقدم الملائكة لأنهم في عالم
 الأرواح.. العالم المبرأ عن المادة (لأنه)..
 لا يرتقى إلى تلك المعارج إلا بالكشف العلمي أو الخروج عن

عالم المادة" [27]،

وقال البيضاوي:

"استئناف لبيان ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها" [28]، وقال
البغوي: "المسافة من الأرض إلى (منتهى) السماء" [29].. (يعني)
"إلى منتهى أمر الله تعالى" [30]،
وقال الألوسي:

"الكلام بيان لغاية ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها..
والمراد أنها في غاية البعد والارتفاع" [31]..
و"العروج في الدنيا.. روي (هذا) عن ابن إسحاق ومنذر بن سعيد
ومجاهد وجماعة، وهو رواية عن ابن عباس أيضا" [32].
وتُقاس الأبعاد فلكيا بوحدة الزمن المناسبة وأقصى سرعة، فنقول
يبعد القمر حوالي ثانية ضوئية وتبعد الشمس ثمان دقائق ويبعد
أقرب نجم 4.3 سنة،
فإذا كانت القيمة (ألف سنة في يوم) تعبيراً عن أقصى سرعة تكون
القيمة (خَمْسِينَ) في السياق تعداداً لأقصى وحدة زمن،
وأكبر وحدة زمن فلكيا هي سنة الشمس وهي مدة دورتها حول
مركز المجرة وقيمتها حوالي 250 مليون سنة،
ولكي يقطع شعاع من الضوء المسافة إلى طرف الكون الممكن
الرصد يحتاج إلى عمر الكون
والعجيب أن القيمة (خَمْسِينَ) في مقام بيان أكبر وحدة زمن في
عالمنا لقياس أكبر مسافة ممكنة الرصد بأقصى سرعة في الكون
وهي (ألف سنة في يوم) تحقق تماماً نفس القيمة المعلومة الآن
لعمر الكون حتى الآن 250×50 مليون)
وهي حوالي $12.5 (1510)$ بليون سنة [33].

(8) حركة الأرض وكافة النجوم والتوابع:

التعبير (مما تعدون) يجعل قيم حركة المقياس أساسية فيقيم علاقة ثابتة في نظام معزول عن التأثير الخارجي مثل كافة قوانين حركة الأجسام،

وهو يفيد معنى الظن غير المطابق للحقيقة فيدل بمعناه على حركة الأرض حول الشمس وحركة النجوم الثوابت بخلاف ما يعدون،

قال جوهري: "أرضنا (إذن) دائرة غير دائرة نحن نراها ساكنة ولكنها دائرة لا تهدأ" [34]،

ومن جملة سيارات شمسنا هذه الأرض التي نحن عليها والقمر ملتزم بها ويدور عليها ومعها على الشمس" [35] إذن: "دوران الأرض حول الشمس ليس غير مخالف للقرآن فحسب بل له منه دلائل" [36]،

وقال الألوسي: "فيه دليل على أن الشمس متحركة.. على مركز آخر كما تتحرك الأرض عليها" [37]، وأن: "لثوابت حركة" [38]، وفي قوله تعالى: "

لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ

" يس40؛ قال القاسمي:

"التنوين في لفظ (كُلٌّ) عوض عن الإضافة (لأجرام) والمعنى كل واحد من (أجرام السماء كالشمس والقمر) في فلک خاص به يسبح بذاته" [39]،

وقال ابن عاشور: "المراد تعميم هذا الحكم للشمس والقمر وجميع الأجرام وهي حقيقة علمية سبق بها القرآن" [40]، وكل البشر يعاينون آيات السماوات كالشمس والقمر تمر عليهم، ولكن القرآن يجعل سكون الأرض نسبي دالا على حركتها اليومية والسنوية بتقريره أنهم هم الذين (يَمُرُّونَ) على آيات السماوات وهم على ظهرها كما يمرون على آيات الأرض وهم على ظهر المركوبات السيارة ولا يعتبرون، يقول تعالى: "

وَكَايْنِ مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ
" يوسف 105.

(9) دليل في تاريخ الوحي على وحدانية المبدع القدير:

في تاريخ الوحي ما يؤيد أن تعبير "يوما واحدا عند الرب كألف سنة" يعني: "سرعة مجيء يوم الرب" 2 بطرس 1423، وهي أقصى سرعة في الكون كله حيث يقع الهلاك بغتة لا يسبقه نذير؛ ولذا وفق تعبير الكتاب:

"سيأتي كلص في الليل يوم الرب الذي فيه تزول السماوات

بضجيج وتنحل العناصر محترقة وتحترق الأرض والمصنوعات

التي فيها" 2 بطرس 1423، والكون كله بسمواته وأرضه قائم

بأمر الله (كن) منذ بدء الخلق:

"السماوات كانت منذ القديم والأرض بكلمة الله قائمة" 2 بطرس

1423،

فيرجع الكون كله إلى نفس هيئته الأولى

وإن تباينت اليوم الأشكال وبنفس مقدار مادة البناء الأساسية ذات السرعة المقدرة الواحدة التي لا تتجاوزها قوة وإن كانت هائلة لأن كل شيء وجد بأمر واحد هو كلمة الله التقدير (كن)، ووحدة السرعة الحدية للانتقال في الكون وثباتها مظهر في الكتاب للتقدير وسرمدية الخالق ووحدانيته

لذا قال: "من قبل أن توجد الجبال أو أبدأت الأرض والمسكونة منذ الأزل إلى الأبد أنت الله.. لأن ألف سنة في عينيك مثل يوم"، وإن بالغ الكاتب فنقض ثبات التقدير بقوله "لأن ألف سنة في عينيك مثل يوم أمس بعدما عبر وكهزيع من الليل" المزامير 4290، وفي الكتاب أمر الله قد أتى وقوى الدمار تقترب مسرعة: "ولولوا لأن يوم الرب قريب قادم كخراب من القادر على كل شيء" إشعياء 613، "

ليرتعد جميع سكان الأرض لأن يوم الرب قادم" يوثيل 12، "كلص في الليل هكذا يجيء لأنه حينما يقولون سلام وأمان حينئذ يفاجئهم هلاك بغتة كالمخاض للحبلى فلا ينجون"

1 تسالونيكي 25 و3، "قريب يوم الرب العظيم قريب وسريع جدا" صفنيا 141.

(10) أصالة القرآن وتكميل ما سبق:

التعبير (مما تعدون) الذي تفرد به القرآن هو "مفتاح القياس"، وهو يجعل حركة القمر حول الأرض كمقياس للمسافة في نظام معزول ويقيم معادلة ثابتة تؤيد وحدة الأجرام في الأصل والنظام،

وثبات التقدير في القرآن وتفرده بتكميل العلاقة يدفع شبهة النقل عما سبق، ألهذا قال النبي عيسى عليه السلام يوما ما لأتباعه:
"إن لي أمورا كثيرة أيضا لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل بكل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية ذاك يمجدني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم"
يوحنا 16 & 151،

وقال لقومه: "أما قرأتم قط في الكتب الحجر الذي رفضه البناءون هو قد صار رأس الزاوية من قبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا لذلك أقول لكم إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره ومن سقط على هذا الحجر يترضض ومن سقط هو عليه يسحقه!" متى 21 & 44،
ولا تبعد تلك الغلبة والتكميل وجمع ميراث النبوات في وصف النبي عيسى عليه السلام للنبوة بعده التي يكتمل بها البناء عن غلبة القرآن والتكميل وجمع ميراث النبوات في قوله تعالى: "
وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ
" المائدة 48.

يُبْصِرُونَهُمْ يَوْمَ الْمُجْرِمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِهِ بِبَنِيهِ ۖ وَصَحْبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾
وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُتَوَكَّلُ ۚ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّمَا لَطَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَاعَةُ لِلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾
تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴿١٨﴾ ۖ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾
وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾
وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَرْغُورِ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيِّمَاتِ اللَّهِ ﴿٢٦﴾
وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ
حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنْ ابْغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ
فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾
وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قَبْلَكَ مُهْطِعِينَ
﴿٣٦﴾ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾
كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾

يُبْصِرُونَهُمْ يَوْمَ الْمُجْرِمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِهِ بِبَنِيهِ ۖ وَصَحْبَتِهِ وَأَخِيهِ
﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُتَوَكَّلُ ۚ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّمَا لَطَىٰ
﴿١٥﴾ نَزَاعَةُ لِلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴿١٨﴾

(يُبْصِرُونَهُمْ)

*الميسر: يرونهم و يعرفونهم

(يَوَدُّ الْمُجْرِمُ) الذي حق عليه العذاب

(لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمِئِذٍ بِنَبِيهِ)

(وَصَحْبَتِهِ)

أي: زوجته

(وَأَخِيهِ ١٢) وَفَصِيلَتِهِ

أي: قرابته

(الَّتِي تُؤْتِيهِ)

أي: التي جرت عاداتها في الدنيا أن تتناصر و يعين بعضها بعضا،

ففي يوم القيامة،

لا ينفع أحد أحدا، و لا يشفع أحد إلا بإذن الله.

*الميسر: و عشيرته التي تضمه و ينتمي إليها في القرابة

(وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ)

بل لو يفتدي المجرم المستحق للعذاب بجميع ما في الأرض ثم ينجيه لم

ينفعه ذلك.

(كَلَّا ط)

أي: لا حيلة ولا مناص لهم، قد حقت عليهم كلمة ربك على الذين فسقوا
أنهم لا يؤمنون ، و ذهب نفع الأقارب والأصدقاء.

(لَا نَهَا لَطَى)

*الميسر:إنها جهنم تتلظى نارها و تلتهب

(نَزَاعَةُ لِلسَّوَى)

أي: للأعضاء الظاهرة و الباطنة من شدة عذابها .

* الميسر:تنزع بشدة حرها جلدة الرأس و سائر أطراف البدن

(تَدْعُوا) إليها

*** تَدْعُوا النَّارَ إِلَيْهَا أَبْنَاءَهَا الَّذِينَ خَلَقَهُمُ اللَّهُ لَهَا،
وَ قَدَّرَ لَهُمْ أَنَّهُمْ فِي الدَّارِ الدُّنْيَا يَعْمَلُونَ عَمَلَهَا،
فَتَدْعُوهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِسَانٍ طَلَقَ ذَلِكَ،
ثُمَّ تَلْتَقِطُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَهْلِ الْمَحْشَرِ كَمَا يَلْتَقِطُ الطَّيْرُ الْحَبَّ.

(مَنْ أَذْبَرَ وَتَوَلَّى)

أي: أدبر عن اتباع الحق و أعرض عنه،فليس له فيه غرض،

***كَذَّبَ بِقَلْبِهِ، وَ تَرَكَ الْعَمَلَ بِجَوَارِحِهِ

* الميسر:أعرض عن الحق في الدنيا، و ترك طاعة الله ورسوله

(وَجَمَعَ فَأَوْعَى)

و جمع الأموال بعضها فوق بعض و أوعاها،

فلم ينفق منها، فإن النار تدعوهم إلى نفسها، و تستعد للالتهاب بهم.
 ***أَوْكَاهُ وَمَنَعَ حَقَّ اللَّهِ مِنْهُ مِنَ الْوَاجِبِ عَلَيْهِ فِي النَّفَقَاتِ
 وَمِنْ إِخْرَاجِ الزَّكَاةِ.

وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ: صحيح البخاري -1434
 عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهَا جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ:
 «لَا تُوعِي فَيُوعِيَ اللَّهُ عَلَيْكَ، أَرْضَخِي مَا اسْتَطَعْتَ» ()

❖ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۖ (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۖ (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ
 مَنُوعًا ۖ (٢١) إِلَّا الْمُصَلِّينَ ۖ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ۖ (٢٣) وَالَّذِينَ فِي
 أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مِّمَّا لِلنَّاسِ مِنَ الْغُلَامِ ۖ (٢٤) لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ۖ (٢٥) وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ۖ (٢٦)
 وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ۖ (٢٧) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ۖ (٢٨) وَالَّذِينَ هُمْ
 لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۖ (٢٩) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ
 ۖ (٣٠) فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۖ (٣١) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ
 ۖ (٣٢) وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ ۖ (٣٣) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۖ (٣٤)

(لا توعى) من وعيت الشيء إذا حفظته أو جعلته في وعاء
 والمعنى لا تدخري المال وتمسكي عن إنفاقه.
 (ارضخي) من الرضخ وهو العطاء غير الكثير]

(إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا)

*فتح القدير:

قال في الصحاح: الهلع في اللغة.

أشد الحرص و أسوأ الجزع و أفحشه

-و هذا الوصف للإنسان من حيث هو وصف طبيعته الأصلية، أنه هلوع.

و فسر الهلوع بأنه:

(إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا)

فيجزع إن أصابه فقر أو مرض، أو ذهاب محبوب له،

من مال أو أهل أو ولد، و لا يستعمل في ذلك الصبر و الرضا بما قضى الله.

*الميسر: إذا أصابه المكروه والعسر فهو كثير الجزع والأسى (□)

(وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا)

*** سنن أبي داود - 2511

سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:

«شَرُّ مَا فِي رَجُلٍ شَحٌّ هَالِعٍ وَ جُبْنٌ خَالِعٌ»

فلا ينفق مما آتاه الله، ولا يشكر الله على نعمه وبره،

*لسان العرب: الْجَزُوعُ ضِدُّ الصَّبْرِ عَلَى الشَّرِّ وَالْجَزَعُ نَقِيضُ الصَّبْرِ

فيجزع في الضراء، ويمنع في السراء.

(إِلَّا الْمُصَلِّينَ)

الموصوفين بتلك الأوصاف فإنهم إذا مسهم الخير شكروا الله،
وأنفقوا مما حولهم الله، و إذا مسهم الشر صبروا و احتسبوا.
وقوله في وصفهم

(الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ)

***كقوله {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ 1 الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ}

[المؤمنون: 1، 2]

أي: مداومون عليها في أوقاتها بشروطها و مكملاتها. و ليسوا كمن لا يفعلها،
أو يفعلها وقتا دون وقت، أو يفعلها على وجه ناقص.

(وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ)

من زكاة و صدقة

(لِلسَّائِلِ)

الذي يتعرض للسؤال

(وَالْمَحْرُومِ)

و هو المسكين الذي لا يسأل الناس فيعطوه، و لا يفتن له فيتصدق عليه.

(وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيَّوْمِ الدِّينِ)

أي: يؤمنون بما أخبر الله به، و أخبرت به رسله، من الجزاء و البعث،
و يتيقنون ذلك فيستعدون للآخرة، و يسعون لها سعيها.
و التصديق بيوم الدين يلزم منه التصديق بالرسل، و بما جاءوا به من الكتب.

(وَالَّذِينَ هُمْ مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ)

أي: خائفون وجلون، فيتركون لذلك كل ما يقربهم من عذاب الله.

(إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَا مُنُّوا)

أي: هو العذاب الذي يخشى و يحذر.

*الميسر: إن عذاب ربهم لا ينبغي أن يأمنه أحد

(وَالَّذِينَ هُمْ لِأَفْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ)

فلا يطمأون بها وطأ محرما، من زنى أو لواط، أو وطء في دبر، أو حيض،
و نحو ذلك، و يحفظونها أيضا من النظر إليها و مسها،
ممن لا يجوز له ذلك، و يتركون أيضا وسائل المحرمات الداعية لفعل
الفاحشة.

(إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ)

أي: سرياتهم

(فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ)

في وطنهن في المحل الذي هو محل الحرث.
*الميسر: فإنهم غير مؤاخذين.

(فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ)

أي: غير الزوجة و ملك اليمين،

(فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ)

أي: المتجاوزون ما أحل الله إلى ما حرم الله،
و دلت هذه الآية على تحريم نكاح المتعة، لكونها غير زوجة مقصودة،
و لا ملك يمين.

*** وَ قَدْ اسْتَدَلَّ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ، رَحِمَهُ اللَّهُ،
وَ مَنْ وَافَقَهُ عَلَى تَحْرِيمِ الْإِسْتِمْنَاءِ بِالْيَدِ بِهَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ
{وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ. إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ}
قَالَ: فَهَذَا الصَّنِيعُ خَارِجٌ عَنِ هَذَيْنِ الْقِسْمَيْنِ، وَقَدْ قَالَ:
{فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ}

(وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنِهِمْ)

أي: مراعون لها، حافظون مجتهدون على أدائها و الوفاء بها،
و هذا شامل لجميع الأمانات

١ - التي بين العبد و بين ربه، كالتكاليف السرية، التي لا يطلع عليها إلا الله،

2- و الأمانات التي بين العبد و بين الخلق، في الأموال و الأسرار،

(وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ)

و كذلك العهد، شامل للعهد

1-الذي عاهد عليه الله،

2-و العهد الذي عاهد عليه الخلق،

فإن العهد يسأل عنه العبد، هل قام به و وفاه، أم رفضه و خانه فلم يقم به؟.

*** صحيح البخاري -33

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

" آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُؤْتِيَ خَانَ ()

(وَالَّذِينَ هُمْ يَشْهَدَتِهِمْ فَأَيْمُونُ)

أي: لا يشهدون إلا بما يعلمونه، من غير زيادة و لا نقص و لا كتمان،

و لا يحابي فيها قريبا و لا صديقا و نحوه، و يكون القصد بها وجه الله.

قال تعالى:

(آية) علامة.

(كذب) أخبر بخلاف الحقيقة قصدا.

(أخلف) لم يف بوعده]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ
الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أُولَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ
تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلُوتُوا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانِ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا } [النساء: 135]

***و لا يكتُمونها

{وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} [البقرة: 283]

(وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ)

بمداومتها على أكمل وجوها.

(أُولَئِكَ)

أي: الموصوفون بتلك الصفات

(فِي جَنَّتٍ مُّكْرَمُونَ)

أي: قد أوصل الله لهم من الكرامة و لنعيم المقيم ما تشتهيهِ الأنفس،
و تلذ الأعين، و هم فيها خالدون.

*الميسر:مكرمون فيها بكل أنواع التكريم.

***كقوله

{ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ 10 الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ }

[المؤمنون: 10، 11]

و حاصل هذا، أن الله وصف أهل السعادة و الخير بهذه الأوصاف الكاملة،
و الأخلاق الفاضلة، من العبادات البدنية، كالصلاة، و المداومة عليها،

و الأعمال القلبية، كخشية الله الداعية لكل خير، و العبادات المالية،
و العقائد النافعة، و الأخلاق الفاضلة، و معاملة الله، و معاملة خلقه،
أحسن معاملة من إنصافهم، و حفظ عهودهم و أسرارهم ،
و العفة التامة بحفظ الفروج عما يكره الله تعالى .

فَالَّذِينَ كَفَرُوا قَبْلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾
أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾
كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾

****كقوله

{ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذِكْرِ مُعْرِضِينَ 9 كَانَتْهُمْ حُمْرٌ مُّسْتَنْفِرَةٌ 50 فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ }

[المذثر: 49 - 51]

يقول تعالى، مبينا اغترار الكافرين:

(فَالَّذِينَ كَفَرُوا قَبْلَكَ مُهْطِعِينَ)

أي: مسرعين.

(عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ)

أي: قطعاً متفرقة و جماعات متوزعة ، كل منهم بما لديه فرح.
***كَمَا قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي أَهْلِ الْأَهْوَاءِ:

فَهُمْ مُخَالِفُونَ لِلْكِتَابِ، مُخْتَلِفُونَ فِي الْكِتَابِ، مُتَّفِقُونَ عَلَى مُخَالَفَةِ الْكِتَابِ.
***صحيح مسلم -430

عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «مَا لِي أَرَاكُمْ رَافِعِي أَيْدِيكُمْ كَأَنَّهَُا أَذُنَابُ خَيْلٍ شُمُسٍ؟ اسْكُنُوا فِي الصَّلَاةِ» قَالَ: ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا فَرَأْنَا حَلَقًا فَقَالَ: «مَا لِي أَرَاكُمْ عَزِينَ» قَالَ: ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا فَقَالَ: «أَلَا تَصْفُونَ كَمَا تَصِفُ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟» فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ تَصِفُ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟ قَالَ: «يَتِمُّونَ الصُّفُوفَ الْأُولَى وَيَتَرَاوُونَ فِي الصَّفِّ» ()

(أَيْطَمَعَ كُلُّ أَمْرٍ مِنْهُمْ أَنْ يَدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ)

بأي: سبب أطمعهم، و هم لم يقدموا سوى الكفر، و الجحود برب العالمين،
و لهذا قال:

(كَلَّا^ط)

(شمس) جمع شمس مثل رسول ورسول وهي التي لا تستقر بل تضرب وتتحرك بأذنانها وأرجلها
(حلقا) جمع الحلقة بسكون اللام على غير قياس وقال النووي بكسر الحاء وفتحها لغتان جمع حلقة بإسكان اللام
(عزين) أي جماعات في تفرقة جمع عزة وأصلها عزوة فحذفت الواو وجمعت جمع السلامة على غير قياس]

أي: ليس الأمر بأمانهم و لا إدراك ما يشتهون بقوتهم.

(إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّمَّا يَعْلَمُونَ)

أي: من ماء دافق، يخرج من بين الصلب و الترائب، فهم ضعفاء، لا يملكون لأنفسهم نفعا و لا ضرا، و لا موتا و لا حياة و لا نشورا.

*** مِنَ الْمَنِيِّ الضَّعِيفِ، كَمَا قَالَ: **{أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ}**

[الْمُرْسَلَات: 20]

و قَالَ: **{فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ يُخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ**

والتَّارِبِ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ}

[الطَّارِق: 5- 10]

فَلَا أَقْسِمُ رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَدِيرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَى أَنْ تَبْدِلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرَهُمْ
يَحْضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَانَتْهُمْ إِلَى نُصْبٍ يُوفُضُونَ
﴿٤٣﴾ خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهِفُهُمْ ذَلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

سورة نوح- بسم الله الرحمن الرحيم

﴿١﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢﴾ قَالَ يَقَوْمِ
إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٣﴾ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا ﴿٤﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ
وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي
دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٦﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا ﴿٧﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ
جَعَلُوا أَصْصِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي
دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا ﴿٩﴾ ثُمَّ إِنِّي أَغْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿١٠﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١١﴾

فَلَا أَقْسِمُ رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَدِيرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَى أَنْ تَبْدِلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ
بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرَهُمْ يَحْضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ
مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَانَتْهُمْ إِلَى نُصْبٍ يُوفُضُونَ ﴿٤٣﴾ خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهِفُهُمْ ذَلَّةٌ
ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

(فَلَا أَقْسِمُ رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَدِيرُونَ)

هذا إقسام منه تعالى بالمشارك والمغرب، للشمس والقمر والكواكب، لما فيها من الآيات الباهرات على البعث، وقدرته على تبديل أمثالهم، وهم بأعيانهم، كما قال تعالى:

{ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ 60 عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ } [الواقعة: 60، 61]

(عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ)

أي: ما أحد يسبقنا ويفوتنا ويعجزنا إذا أردنا أن نعيده. فإذا تقرر البعث والجزاء، واستمروا على تكذيبهم، وعدم انقيادهم لآيات الله.

(فَذَرَهُمْ يَخْضَوْنَ)

أي: يخوضوا بالأقوال الباطلة، والعقائد الفاسدة،

(وَلْيَعْبُوا)

بدينهم، و يأكلوا ويشربوا، ويتمتعوا

(حَتَّى يَلْقَوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ)

فإن الله قد أعد لهم فيه من النكال والوبال ما هو عاقبة خوضهم ولعبهم. ثم ذكر حال الخلق حين يلاقون يومهم الذي يوعدون، فقال:

(يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ)

أي: القبور،

(سِرَاعًا)

مجيئين لدعوة الداعي، مهطعين إليها

(كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ)

أي: كأنهم إلى علم

(يُوفَضُونَ)

يؤمنون و يسرعون

أي: فلا يتمكنون من الاستعصاء للداعي، و الالتواء لنداء المنادي،

بل يأتون أذلاء مقهورين للقيام بين يدي رب العالمين.

*** كَأَنَّهُمْ فِي إِسْرَاعِهِمْ إِلَى الْمَوْقِفِ كَمَا كَانُوا فِي الدُّنْيَا يَهْرَوُلُونَ إِلَى النُّصُبِ
إِذَا عَايَنُوهُ يُوفَضُونَ، يَتَذَرُونَ، أَيُّهُمْ يَسْتَخْلِفُهُ أَوَّلَ

(خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ)

* خاضعة: الميسر

(تَرْهَقُهُمْ)

* تغشاهم: الميسر

*حقارة و مهانة:الميسر

و ذلك أن الذلة و القلق قد ملك قلوبهم،
و استولى على أفئدتهم، فخشعت منهم الأبصار، و سكنت منهم الحركات، و
انقطعت الأصوات.

فهذه الحال و المآل، هو يومهم

(ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ)

و لا بد من الوفاء بوعد الله.

71- تفسير سورة نوح عليه السلام - و هي مكية- بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ
يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا ۖ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ
ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ ۚ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾
قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٤﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا ﴿٥﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا
دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَابَهُمْ فِي مَا ذَانِبِهِمْ وَاسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا
اسْتِكْبَارًا ﴿٦﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٨﴾
فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿٩﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ

(1 - 28) إلى آخر السورة.

لم يذكر الله في هذه السورة سوى قصة نوح وحدها لطول لبثه في قومه،
و تكرار دعوته إلى التوحيد، و نهيهِ عن الشرك،

فأخبر تعالى أنه أرسله إلى قومه، رحمة بهم، و إنذارا لهم من عذاب الله الأليم،
خوفا من استمرارهم على كفرهم، فيهلكهم الله هلاكا أبديا،
و يعذبهم عذابا سرمديا، فامتثل نوح عليه السلام لذلك، و ابتدر لأمر الله، فقال:

(قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ)

أي: واضح النذارة بينها، و ذلك لتوضيحه ما أنذر به و ما أنذر عنه،
و بأي شيء تحصل النجاة، بين جميع ذلك بيانا شافيا،
فأخبرهم و أمرهم بزبدة ما يأمرهم به

فقال: (أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا)

و ذلك بإفراده تعالى بالتوحيد و العبادة، و البعد عن الشرك و طرقه و وسائله

(يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ)

فإنهم إذا اتقوا الله غفر ذنوبهم،

و إذا غفر ذنوبهم حصل لهم النجاة من العذاب، و الفوز بالثواب،

(وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى)

أي: يمتعكم في هذه الدار، و يدفع عنكم الهلاك إلى أجل مسمى أي:
مقدر البقاء في الدنيا بقضاء الله و قدره إلى وقت محدود، و ليس المتاع أبداً،
فإن الموت لا بد منه،

*** وَ قَدْ يَسْتَدِلُّ بِهَذِهِ الْآيَةِ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ الطَّاعَةَ وَالْإِبْرَ وَ صَلَّةَ الرَّحِمِ،
يُزَادُ بِهَا فِي الْعُمْرِ حَقِيقَةً؛ كَمَا وَرَدَ بِهِ الْحَدِيثُ:
"صَلَّةُ الرَّحِمِ تَزِيدُ فِي الْعُمْرِ".
و لهذا قال:

(إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُونَ^ط كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)

لما كفرتم بالله، و عاندتم الحق، فلم يجيبوا لدعوته، و لا انقادوا لأمره، فقال
شاكيا لربه: **(قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا)**

(فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا)

أي: نفورا عن الحق و إعراضا، فلم يبق لذلك فائدة،
لأن فائدة الدعوة أن يحصل جميع المقصود أو بعضه.

(وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ)

أي: لأجل أن يستجيبوا فإذا استجابوا غفرت لهم فكان هذا محض
مصلحتهم، و لكنهم أبوا إلا تماديا على باطلهم، و نفورا عن الحق،

(جَعَلُوا أَصْيَعَهُمْ فِيءَاذَانِهِمْ)

حذر سماع ما يقول لهم نبيهم نوح عليه السلام

(وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ)

أي تغطوا بها غطاء يغشاهم بعدا عن الحق و بغضا له،

(وَأَصْرُوا)

على كفرهم و شرهم

***استمروا

(وَأَسْتَكْبَرُوا)

على الحق

***استنكفوا عن اتباع الحق

(أَسْتَكْبَارًا)

فشركهم ازداد، وخيرهم بَعْدَ.

*** { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ }

[فصلت: 26]

(ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا)

أي: بمسمع منهم كلهم

*** (جهرة بين الناس).

(ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ)

***ظاهرا بصوت عال

(وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا)

***فيما بيني و بينهم

كل هذا حرص و نصح، و إتيانهم بكل باب يظن أن يحصل منه المقصود ،

(فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ)

أي: اتركوا ما أنتم عليه من الذنوب، و استغفروا الله منها.

(إِنَّهُمْ كَانُوا غَفَّارًا)

كثير المغفرة لمن تاب و استغفر،

فرغهم بمغفرة الذنوب، و ما يترتب عليها من حصول الثواب، و اندفاع العقاب

يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَنْبِيْ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا ﴿٢٠﴾ فِجَاجًا ﴿٢١﴾ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّهْمُ عَصَوْنِي وَأَتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالَهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢٢﴾ وَمَكْرُؤًا مَّكْرًا كَبِيرًا ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا لَا تَنْذِرُنَا ۚ الْهَتَكُمُ وَلَا تَنْذِرُنَا ۚ وَدَا ۚ وَلَا سَوَاعَا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٤﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا ۚ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٥﴾ تَمَّا خَطِئْتَهُمْ أَغْرَقُوا فَأَدْخَلُونَا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ﴿٢٦﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَنْذِرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٧﴾ إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوكَ ۖ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا أَفْجَارًا كَقَارَارِ ﴿٢٨﴾ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدِي وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا نَبَارًا ﴿٢٩﴾

و رغبهم أيضا، بخير الدنيا العاجل، فقال:

(يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا)

أي: مطرا متتابعًا، يروي الشعاب والوهاد، ويحيي البلاد والعباد.

(وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَنْبِيْ)

أي: يكثر أموالكم التي تدركون بها ما تطلبون من الدنيا وأولادكم،

(وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا)

وهذا من أبلغ ما يكون من لذات الدنيا ومطالبها.
***ثم عدل بهم الي دعوتهم بالترهيب

(مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا)

أي: لا تخافون لله عظمة، وليس لله عندكم قدر.

(وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا)

* { ثُمَّ خَلَقْنَا النَّفْثَةَ عِلْقَةً فَخَلَقْنَا الْعِلْقَةَ مِضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمِضْغَةَ عِظَامًا

فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا } [المؤمنون 14]

أي: خلقا من بعد خلق، في بطن الأم، ثم في الرضاع، ثم في سن الطفولية،
ثم التمييز، ثم الشباب، إلى آخر ما وصل إليه الخلق
-فالذي انفرد بالخلق و التدبير البديع، متعين أن يُفرد بالعبادة و التوحيد،
و في ذكر ابتداء خلقهم تنبيه لهم على الإقرار بالمعاد،
و أن الذي أنشأهم من العدم قادر على أن يعيدهم بعد موتهم.
و استدل أيضا عليهم بخلق السماوات التي هي أكبر من خلق الناس، فقال:

(الَّذِينَ تَرَوْنَ كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا)

أي: كل سماء فوق الأخرى.

(وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا) راجع الاعجاز العلمي [من هنا](#)

لأهل الأرض

*مصدر غير مباشر (يستمد ضوءه من الشمس)

(وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا)

*مصدر مباشر للضوء (ضياء-سراج وهاج)

-ففيه تنبيه على عظم خلق هذه الأشياء،

و كثرة المنافع في الشمس و القمر

الدالة على رحمته و سعة إحسانه،

فالعظيم الرحيم، يستحق أن يعظم و يحب و يعبد و يخاف و يرجى.

***كقوله {هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ

السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}

[يونس: 5]

(وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا)

حين خلق أباكم آدم و أنتم في صلبه.

(ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا)

*الميسر: ثم يعيدكم في الأرض بعد الموت

(وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا)

للبعث و النشور، فهو الذي يملك الحياة و الموت و النشور.

(وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا)

أي: مبسوبة مهياة للانتفاع بها.

(لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا)

*الميسر: لتسلكوا فيها طرقًا واسعة.

فلولا أنه بسطها، لما أمكن ذلك،

بل و لا أمكنهم حرثها و غرسها و زرعها، و البناء، و السكون على ظهرها.

*** وَ كُلُّ هَذَا مِمَّا يُنَبِّهُهُمْ بِهِ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ وَ عَظَمَتِهِ فِي خَلْقِ

السموات وَ الْأَرْضِ،

وَ نِعَمِهِ عَلَيْهِمْ فِيمَا جَعَلَ لَهُمْ مِنَ الْمَنَافِعِ السَّمَاوِيَّةِ وَ الْأَرْضِيَّةِ،

فَهُوَ الْخَالِقُ الرَّزَّاقُ، جَعَلَ السَّمَاءَ بِنَاءً، وَ الْأَرْضَ مِهَادًا،

وَ أَوْسَعَ عَلَى خَلْقِهِ مِنْ رِزْقِهِ،

فَهُوَ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يُعْبَدَ وَ يُوحَدَ وَ لَا يُشْرَكَ بِهِ أَحَدٌ؛

لَأَنَّهُ لَا نَظِيرَ لَهُ وَ لَا عَدِيلَ لَهُ، وَ لَا نِدَّ وَ لَا كُفَّاءَ،

وَ لَا صَاحِبَةَ وَ لَا وَلَدَ، وَ لَا وَزِيرَ وَ لَا مُشِيرَ، بَلْ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ.

(قَالَ نُوحٌ)

شاكيا لربه: إن هذا الكلام و الوعظ و التذكير ما نجع فيهم ولا أفاد.

(رَبِّ إِنِّي أُنَبِّئُكُمْ عَصَايَ وَأَتَّبِعُوا)

أي: عصوا الرسول الناصح الدال على الخير،

و اتبعوا المالأ و الأشراف الذين لم تزدتهم أموالهم و لا أولادهم

(مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا)

إلا خسارا أي: هلاكاً و تفويتاً للأرباح فكيف بمن انقاد لهم وأطاعهم؟!

***يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ أَنهَى إِلَيْهِ،
وَهُوَ الْعَلِيمُ الَّذِي لَا يَعْزُبُ عَنْهُ شَيْءٌ، أَنَّهُ مَعَ الْبَيَانِ الْمُتَقَدِّمِ ذِكْرُهُ،
وَالدَّعْوَةِ الْمُتَنَوِّعَةِ الْمُتَشَمِّلَةِ عَلَى التَّرْغِيبِ تَارَةً وَالتَّرْهِيْبِ أُخْرَى:-
أَنَّهُمْ عَصَوْهُ وَ كَذَّبُوهُ وَ خَالَفُوهُ،
وَ اتَّبَعُوا أَبْنَاءَ الدُّنْيَا مِمَّنْ غَفَلَ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ،
وَ مُتَّعَ بِمَالٍ وَ أَوْلَادٍ، وَهِيَ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ اسْتِدْرَاجٌ وَ إِنْظَارٌ لَا إِكْرَامَ؛
وَ لِهَذَا قَالَ: {وَ اتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا}

(وَمَكْرُوا مَكْرًا كَبِيرًا)

أي: مكرًا كبيرًا بليغا في معاندة الحق.

(وَقَالُوا)

لهم داعين إلى الشرك مزينين له:

(لَا نَذُرَنَّهُ إِلَهُتَكُمْ)

فدعوههم إلى التعصب على ما هم عليه من الشرك،
و أن لا يدعوا ما عليه آباؤهم الأقدمون، ثم عينوا آلهتهم فقالوا:

(وَلَا نَذُرَنَّهُ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا)

و هذه أسماء رجال صالحين لما ماتوا زين الشيطان لقومهم أن
يصوروا صورهم لينشطوا - بزعمهم - على الطاعة إذا رأوها،
ثم طال الأمد،

و جاء غير أولئك فقال لهم الشيطان:-

إن أسلافكم يعبدونهم، و يتوسلون بهم، و بهم يسقون المطر، فعبدوهم،
و لهذا أوصى رؤسائهم للتابعين لهم أن لا يدعوا عبادة هذه الآلهة .

(وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا)

أي: و قد أضل الكبار والرؤساء بدعوتهم كثيرا من الخلق،
*** الْأَصْنَامَ الَّتِي اتَّخَذُوهَا أَضَلُّوا بِهَا خَلْقًا كَثِيرًا،
فَإِنَّهُ اسْتَمَرَّتْ عِبَادَتُهَا فِي الْقُرُونِ إِلَى زَمَانِنَا هَذَا فِي الْعَرَبِ وَ الْعَجَمِ وَ سَائِرِ
صُنُوفِ بَنِي آدَمَ.
وَ قَدْ قَالَ الْخَلِيلُ ^{عليه السلام} فِي دُعَائِهِ:

{وَاجْتُنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلَّنِي كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ}
[إِبْرَاهِيمَ: 35، 36]

(وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا)

أي: لو كان ضلالهم عند دعوتي إياهم بحق، لكان مصلحة،
و لكن لا يزيدون بدعوة الرؤساء إلا ضلالا
أي: فلم يبق محل لنجاحهم ولا لصلاحهم،
و لهذا ذكر الله عذابهم و عقوبتهم الدنيوية و الآخروية، فقال:

(مَّا خَطِيئَتُهُمْ)

*** مِنْ كُفْرَةٍ دُنُوبِهِمْ وَ عَتُوِّهِمْ وَ إِصْرَارِهِمْ عَلَى كُفْرِهِمْ وَ مُخَالَفَتِهِمْ
رَسُولَهُمْ

(أَغْرُقُوا)

في اليم الذي أحاط بهم

(فَأَدْخِلُوا نَارًا)

***أي: نُقِلُوا مِنْ تَيَّارِ الْبَحَارِ إِلَى حَرَارَةِ النَّارِ،

—فذهبت أجسادهم في الغرق و أرواحهم للنار و الحرق،

و هذا كله بسبب خطيئاتهم، التي أتاهم نبيهم نوح ينذرهم عنها،

و يخبرهم بشؤمها و مغبتها،

فرفضوا ما قال، حتى حل بهم النكال،

(فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا)

ينصرونهم حين نزل بهم الأمر، ولا أحد يقدر يعارض القضاء والقدر.

***أي: لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مُعِينٌ وَ لَا مُغِيثٌ وَ لَا مُجِيرٌ يُنْقِذُهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ كَهَوْلِهِ:

{قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ} [هُود: 43] .

وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا

***فَاسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ، فَأَهْلَكَ جَمِيعَ مَنْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ حَتَّى
وَلَدَ نُوحٍ لِصْلِبِهِ الَّذِي اعْتَزَلَ عَنْ أَبِيهِ، وَقَالَ:

{سَأَوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ}

وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ} [هُود: 43] .

-يدور على وجه الأرض، و ذكر السبب في ذلك فقال:

(إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا)

أي: بقاؤهم مفسدة محضة، لهم و لغيرهم، و إنما قال نوح - عليه السلام - ذلك، لأنه مع كثرة مخالطته إياهم، و مزاولته لأخلاقهم، علم بذلك نتيجة أعمالهم، لا جرم أن الله استجاب دعوته ،

فأغرقهم أجمعين و نجى نوحا و من معه من المؤمنين.

*****فَاجِرًا فِي الْأَعْمَالِ كَافِرَ الْقَلْبِ، وَذَلِكَ لِخِبْرَتِهِ بِهِمْ
وَمُكْنِهِ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا.**

(رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا)

خص المذكورين لتأكد حقهم و تقديم برهم، ثم عمم الدعاء، فقال:

(وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ)

*****دُعَاءُ لَجَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ، وَ ذَلِكَ يَعُمُّ الْأَحْيَاءَ مِنْهُمْ وَ الْأَمْوَاتِ؛
وَ لِهَذَا يُسْتَحَبُّ مِثْلُ هَذَا الدُّعَاءِ، اقْتِدَاءً بِنُوحٍ عليه السلام
وَ بِمَا جَاءَ فِي الْأَثَارِ، وَ الْأَدْعِيَةِ الْمَشْهُورَةِ الْمَشْرُوعَةِ.**

(وَلَا نَزِدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا)

أي: خسارا و دمارا و هلاكا.

الاعجاز في **وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا**

المصدر: اسلام ويب

العودة

<http://fatwa.islamweb.net/fatwa/index.php?page=showfatwa&Option=FatwaId&Id=12>

479

فقد فرق الله سبحانه في الآية الكريمة بين أشعة الشمس والقمر،

فقال: **(هو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً)** [يونس5]

فسمى أشعة الشمس ضياءً، وسمى القمر نوراً، والمشكلة أن أكثر القواميس غير العربية (الإنجليزية، والفرنسية، والألمانية) لا تفرق بين الضياء والنور،

وبناءً على ذلك ظن الكثيرون أنهما بمعنى واحد، حيث درسوا العلوم الحديثة بهذه اللغات، والواقع أنهما غير متحدين، كما أثبت ذلك بعض العاملين في الإعجاز العلمي فقال: (دعنا نستعرض بعض الآيات الأخرى التي تذكر أشعة الشمس والقمر، فلنأخذ مثلاً: الآيتين:

(وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً) [نوح16] و

(وبنينا فوقكم سبْعاً شَدَاداً* وجعلنا سراجاً وهاجاً) [النبأ131]

نجد أن الله سبحانه وتعالى سَمَّى الشمس مرة بالسراج، وأخرى بالسراج الوهاج،

والسراج هو المصباح الذي يضيء بالزيت أو الكهرباء.

أما أشعة القمر فقد أعاد الخالق تسميتها بالنور،

وإذا نحن تذكرنا في هذا الصدد معلوماتنا في الفيزياء المدرسية
لوجدنا أن مصادر الضوء تنقسم عادة إلى نوعين:

1-مصادر مباشرة:

كالشمس، والنجوم، والمصباح، والشمعة وغيرها،

2-و مصادر غير مباشرة كالقمر والكوكب.

والأخيرة هي الأجسام التي تستمد نورها من مصدر آخر مثل
الشمس،

ثم تعكسه علينا.

أما الشمس والمصباح فهما يشتركان في خاصية واحدة،

وهي أنهما يعتبران مصدراً مباشراً للضوء،

ولذلك شبه الخالق الشمس بالمصباح الوهاج،

ولم يشبه القمر في أي من الآيات بمصباح.

كذلك سمى ما تصدره الشمس من أشعة ضوءاً.

أما القمر فلا يشترك معهما في هذه الصفة، فالقمر مصدر غير

مباشر للضوء، فهو يعكس ضوء الشمس إلينا، فنراه ونرى أشعته

التي سماها العليم الحكيم: نوراً.العودة

ومن العجيب حقاً أننا لم نستوعب هذه الدقة الإلهية في التفرقة

بين ضوء الشمس ونور القمر،

فكان المفروض أن نفرق بين الضوء والنور،

ونسى الأشعة التي تأتي من مصدر ضوئي مباشر بالضوء،

وتلك التي تأتي من مصدر ضوئي غير مباشر بالنور،

ولكننا خلطنا لغوياً بين الضوء والنور، واقتصرنا في العلوم على استخدام كلمة الضوء، ونسينا مرادفها

وهو: النور، والسبب واضح، ففي الإنجليزية والفرنسية بل والألمانية، وهي اللغات التي جاءت عن طريقها العلوم الحديثة - لا يوجد إلا مرادف واحد- ولم يخطر ببالنا أو ببال المترجمين (light-lumiere-licht) لهذا المعنى وهو بالترتيب، أن اللغة العربية أغنى منهم وأدق، ففيها مرادفين لهذه الكلمة يجب أن نفرق بينهما تبعاً لنوعية مصدر الضوء، سواء أكان مباشراً أو (غير مباشر)

المصدر: (آيات قرآنية في مشكاة العلم):

للدكتور: يحيى المحجري.

ويمكنك الرجوع إلى كتاب (العلم طريق الإيمان)

للشيخ عبد المجيد الزنداني. -حفظه الله-

وغيره مما كتب في الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

والله أعلم.العودة

سورة الجن-بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ ١ ﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ ٢ ﴿وَأَنَّهُ تَعَلَّى جَدْرَيْنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبُهُ وَلَا وَلَدًا﴾ ٣ ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾ ٤ ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَقُولَ الْإِنسَ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ ٥ ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ ٦ ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾ ٧ ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَهَا مِثْلَ ثَحْرٍ شَادِيدٍ وَارْتُفَعَتْ أَفْئِدَتُنَا لَهَا فَوَافِقًا كَمَا تَفَعُّدُ مِنْهَا مَقْعَدُ الشَّمْسِ فَحَمِلْنَا ثَمَلًا﴾ ٨ ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَمْ نَرِيدُ يَمَنَ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ ٩ ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا﴾ ١٠ ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ تُعْجِزَ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ تَعْجِزَهُ هَرَبًا﴾ ١١ ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدْيَ آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ ١٢

72- تفسير سورة قل أوحى إلي (الجن)- و هي مكية- بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ ١ ﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ ٢

* جاء في الصحيح المسند لأسباب النزول

صحيح البخاري 773

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ:
انْطَلَقَ النَّبِيُّ ﷺ فِي طَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ عَامِدِينَ إِلَى سُوقِ عُكَاظٍ،

وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الشَّيَاطِينِ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ،
وَأُرْسِلَتْ عَلَيْهِمُ الشُّهُبُ، فَرَجَعَتْ الشَّيَاطِينُ إِلَى قَوْمِهِمْ،
فَقَالُوا: مَا لَكُمْ؟

فَقَالُوا: حِيلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ،
وَأُرْسِلَتْ عَلَيْنَا الشُّهُبُ،

قَالُوا: مَا حَالُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ إِلَّا شَيْءٌ حَدَثَ،
فَاضْرِبُوا مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا،
فَانْظُرُوا مَا هَذَا الَّذِي حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ،
فَانْصَرَفَ أُولَئِكَ الَّذِينَ تَوَجَّهُوا نَحْوَ تِهَامَةٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ
وَهُوَ بِنَخْلَةٍ عَامِدِينَ إِلَى سُوقِ عُكَاظٍ،
وَهُوَ يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ صَلَاةَ الْفَجْرِ،
فَلَمَّا سَمِعُوا الْقُرْآنَ اسْتَمَعُوا لَهُ،

فَقَالُوا: هَذَا وَاللَّهِ الَّذِي حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ،
فَهُنَالِكَ حِينَ رَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ، وَقَالُوا: يَا قَوْمَنَا:

{إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا* يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ* فَأَمَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا}

[الجن:2]، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ:

{قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ} [الجن:1]
وإِنَّمَا أُوحِيَ إِلَيْهِ قَوْلُ الْجِنِّ "

أي: (قُلْ) يا أيها الرسول للناس

(أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ)

صرفهم الله إلى رسوله لسماع آياته:-

لتقوم عليهم الحجة

و تتم عليهم النعمة

و يكونوا نذرا لقومهم.

و أمر الله رسوله أن يقص نبأهم على الناس، و ذلك أنهم لما حضروه،

{قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ} [الأحقاف: 29] ،

فلما أنصتوا فهموا معانيه، و وصلت حقائقه إلى قلوبهم،

(فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا)

أي: من العجائب الغالية، والمطالب العالية.

(يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ)

و الرشد: اسم جامع لكل ما يرشد الناس إلى مصالح دينهم و دنياهم،

(فَأَمَّا نَبَا^بهٗ وَلَنْ تُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا)

***كقوله {وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا

أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ} [الأحقاف: 29]

—فجمعوا بين الإيمان الذي يدخل فيه جميع أعمال الخير، و بين التقوى،

المتضمنة لترك الشر

—و جعلوا السبب الداعي لهم إلى الإيمان و توابعه،

ما علموه من إرشادات القرآن،

و ما اشتمل عليه من المصالح و الفوائد و اجتناب المضار،

فإن ذلك آية عظيمة، و حجة قاطعة، لمن استنار به، و اهتدى بهديه،
و هذا الإيمان النافع، المثمر لكل خير، المبني على هداية القرآن،
بخلاف إيمان العوائد، و المربى و الإلف و نحو ذلك،
فإنه إيمان تقليد تحت خطر الشبهات و العوارض الكثيرة.

وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا

أي: تعالت عظمته و تقدست أسماؤه،

فعلموا من جد الله و عظمته، ما دلهم على بطلان من يزعم أن له صاحبة أو
ولدا،

لأن له العظمة و الكمال في كل صفة كمال،
و اتخاذ صاحبة و الولد ينافي ذلك، لأنه يضاد كمال الغنى.

وَأَنَّهُ كَان يَقُول سَفِيهُنَا)

***أي ابليس او كل من زعم ان لله صاحبة أو ولدا

(عَلَى اللَّهِ شَطَطًا)

أي: قولاً جائراً عن الصواب، متعدياً للحد،
و ما حمله على ذلك إلا سفهه و ضعف عقله،
و إلا فلو كان رزينا مطمئناً لعرف كيف يقول.

(وَأَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا)

أي: كنا مغترين قبل ذلك، و غرنا القادة و الرؤساء من الجن و الإنس،

فأحسنا بهم الظن، و ظنناهم لا يتجرءون على الكذب على الله،
فلذلك كنا قبل هذا على طريقهم،

فاليوم إذ بان لنا الحق، رجعنا إليه ، وانقذنا له،
و لم نبال بقول أحد من الناس يعارض الهدى.

(وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ

أي: كان الإنس يعبدون الجن و يستعيذون بهم عند المخاوف و الأفزاع ،

فَزَادُوهُمْ رَهَقًا)

فزاد الإنس الجن رهقا أي:

طغيانا وتكبيرا لما رأوا الإنس يعبدونهم،

و يستعيذون بهم، -

و يحتمل أن الضمير في زادوهم يرجع إلى الجن ضمير الواو

أي: زاد الجن الإنس ذعرا و تخويفا لما رأوهم يستعيذون بهم

ليلجئوهم إلى الاستعاذة بهم، فكان الإنسي إذا نزل بواد مخوف، قال:

« أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه » .

(وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا)

أي: فلما أنكروا البعث أقدموا على الشرك والطغيان.

*** لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ بَعْدَ هَذِهِ الْمُدَّةِ رَسُولًا.

(وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ)

أي: أتيناها و اختبرناها،

*** يُخْبِرُ تَعَالَى عَنِ الْجِنِّ حِينَ بَعَثَ اللَّهُ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ
وَ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ،

وَ كَانَ مِنْ حِفْظِهِ لَهُ أَنَّ السَّمَاءَ مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا،
وَ حُفِظَتْ مِنْ سَائِرِ أَرْجَائِهَا،

وَ طُرِدَتِ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَقَاعِهَا الَّتِي كَانَتْ تَقْعُدُ فِيهَا قَبْلَ ذَلِكَ؛
لئَلَّا يَسْتَرْقُوا شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ. فَيُلْقُوهُ عَلَى أَلْسِنَةِ الْكَهَنَةِ،
فَيَلْتَبِسُ الْأَمْرُ وَ يَخْتَلِطُ وَ لَا يُدْرَى مِنَ الصَّادِقِ.

وَ هَذَا مِنْ لُطْفِ اللَّهِ بِخَلْقِهِ وَ رَحْمَتِهِ بِعِبَادِهِ، وَ حِفْظِهِ لِكِتَابِهِ الْعَزِيزِ،
وَ لِهَذَا قَالَ الْجِنُّ: {وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا وَأَنَا

كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شُهَابًا رَصَدًا}

(فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا)

عن الوصول إلى أرجائها و الدنو منها ،

(وَشُهَبًا)

يرمى بها من استرق السمع، و هذا بخلاف عادتنا الأولى،

فإننا كنا نتمكن من الوصول إلى خبر السماء.

(وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ)

فتلقف من أخبار السماء ما شاء الله.

(فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شُهَابًا رَصَدًا)

أي: مرصدا له، معدا لإتلافه و إحراقه،
أي: و هذا له شأن عظيم، و نبأ جسيم،
و جزموا أن الله تعالى أراد أن يحدث في الأرض حادثا كبيرا،
من خير أو شر، فلهذا قالوا:

(وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدَ يَمَنَ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا)

أي: لا بد من هذا أو هذا، لأنهم رأوا الأمر تغير عليهم تغيرا أنكروه،
فعرفوا بفطنتهم أن هذا الأمر يريد به الله، و يحدثه في الأرض،
و في هذا بيان لأدبهم،

إذ أضافوا الخير إلى الله تعالى، والشر حذفوا فاعله تأدبا مع الله.
*** وَ هَذَا مِنْ أَدَبِهِمْ فِي الْعِبَارَةِ حَيْثُ أَسْنَدُوا الشَّرَّ إِلَى غَيْرِ فَاعِلٍ،
وَ الْخَيْرَ أَضَافُوهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَ قَدْ وَرَدَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ 771: "وَ الشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ"

(وَأَنَا مِنَ الصَّالِحِينَ وَمِنَا دُونَ ذَلِكَ)

أي: فساق و فجار و كفار،

(كُنَّا طَرَائِقَ قَدَدًا)

أي: فرقا متنوعة، و أهواء متفرقة، كل حزب بما لديهم فرحون.

(وَأَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ)

أي: و أنا في وقتنا الآن تبين لنا كمال قدرة الله و كمال عجزنا،

و أن نواصينا بيد الله فلن نعجزه في الأرض

(وَلَنْ نُعْجزَهُ هَرَبًا)

إن هربنا و سعينا بأسباب الفرار و الخروج عن قدرته،
لا ملجأ منه إلا إليه.

(وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْمَدَىٰ)

*** يَفْتَحِرُونَ بِذَلِكَ، وَ هُوَ مَفْخَرٌ لَهُمْ، وَ شَرَفٌ رَفِيعٌ وَ صِفَةٌ حَسَنَةٌ.
و هو القرآن الكريم، الهادي إلى الصراط المستقيم،
و عرفنا هدايته و إرشاده،
أثر في قلوبنا

ف— **(عَامَّتَا بِهِ)**

ثم ذكروا ما يرغب المؤمن فقالوا:

(فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا)

أي: لا نقصا و لا طغيانا و لا أذى يلحقه ،
و إذا سلم من الشر حصل له الخير،

فالإيمان سبب داع إلى حصول كل خير و انتفاء كل شر.

*** كقوله { **فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا** } [طه: 112]

*جاء في صحيح البخاري

بَابُ قَوْلِهِ: {إِنَّا مِّنْ اسْتَرْقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ} [الحجر:

18]

(استرق السمع)

حاول خفية أن يسمع شيئاً مما يتداوله أهل السماء من الأخبار.

(فاتبعه) لحقه.

(شهاب) شعلة من النار ساطعة.

(مبين) ظاهر لذوي الأبصار]

4701 - حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَمْرٍو، عَنْ عِكْرَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِذَا قَضَى اللَّهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ، ضَرَبَتِ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ، كَالسَّلْسَلَةِ عَلَى صَفْوَانَ -

قَالَ عَلِيٌّ: وَقَالَ غَيْرُهُ: صَفْوَانٌ يَنْفُذُهُمْ ذَلِكَ - فَإِذَا فُزَّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ، قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ، قَالُوا لِلَّذِي قَالَ: الْحَقُّ، وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ، فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرْقَوُ السَّمْعِ، وَمُسْتَرْقَوُ السَّمْعِ هَكَذَا وَاحِدٌ فَوْقَ آخَرَ - وَوَصَفَ سُفْيَانٌ بِيَدِهِ، وَفَرَجَ بَيْنَ أَصَابِعِ يَدِهِ الْيُمْنَى، نَصَبَهَا بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ -

فَرُبَّمَا أَدْرَكَ الشَّهَابُ الْمُسْتَمْعَ قَبْلَ أَنْ يَرْمِيَ بِهَا إِلَى صَاحِبِهِ فَيُحْرِقُهُ، وَرُبَّمَا لَمْ يَدْرِكْهُ حَتَّى يَرْمِيَ بِهَا إِلَى الَّذِي يَلِيهِ، إِلَى الَّذِي هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ،

حَتَّى يُلْقَوْهَا إِلَى الْأَرْضِ -

وَرُبَّمَا قَالَ سُفْيَانُ: حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى الْأَرْضِ - فَتَلْقَى عَلَى فَمِ السَّاحِرِ، فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذِبَةٍ، فَيُصَدِّقُ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ يُخْبِرْنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، يَكُونُ كَذَا وَكَذَا، فَوَجَدْنَاهُ حَقًّا؛ لِلْكَلِمَةِ الَّتِي سَمِعْتَ مِنَ السَّمَاءِ "

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا عَمْرٍو، عَنْ عِكْرَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: «إِذَا قَضَى اللَّهُ الْأَمْرَ»، وَزَادَ «وَالْكَاهِنَ»،

وَحَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ،
فَقَالَ: قَالَ عَمْرٌو: سَمِعْتُ عِكْرِمَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ،
قَالَ: «إِذَا قَضَى اللَّهُ الْأَمْرَ»،
وَقَالَ: «عَلَى فَمِ السَّاحِرِ»

ش (خضعانا) مصدر من خضع أي طاعة وانقيادا.

(كالسلسلة على صفوان) لها صوت كصوت السلسلة على الحجر الأملس.

(علي) بن عبد الله شيخ البخاري.

(غيره) أي غير سفيان الذي روى عنه علي

(ينفذهم ذلك) ينفذ الله إلى الملائكة الأمر الذي قضاه وهذه الجملة زيادة
غير سفيان.

(فزع عن قلوبهم) زال عنها الخوف والفزع.

(قالوا) أي سأل عامة الملائكة خاصتهم.

(قالوا) أي الخاصة كجبريل وميكائيل عليهما السلام.

(للذي قال) لأجل ما قضاه الله تعالى وقاله أو قالوا للذي سأل.

(مسترقو السمع) وهم مردة الشياطين.

(الساحر) المنجم.

(وزاد..) أي زاد في هذه الرواية لفظ الكاهن على الساحر فقال

(على فم الساحر والكاهن)

وَأَنَا مِّنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ^ط فَمَن أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿١٤﴾

وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَالْوِاسْتَقْمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَا تُسْقِنَهُمْ مَّاءَ عَذَقَا

الْتَفَيْنَهُمْ فِيهِ^ع وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَن الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا

تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا

رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ

أَحَدٌ وَلَن أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَةً^ع وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ

نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَن أَضْعَفُ نَاصِرًا

وَأَقْلَعَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِن أَدْرِىٰ أَقْرَبُ مَا تُوَعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا ﴿٢٥﴾

عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾

إِلَّا مَن أَرَادَ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٧﴾

لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾

وَأَنَا مِّنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ^ط)

أي: الجائرون العادلون عن الصراط المستقيم.

(فَمَن أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا)

أي: أصابوا طريق الرشد، الموصل لهم إلى الجنة و نعيمها،

(وَأَمَّا الْفَاسِقُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا)

*** وَقُودًا تُسَعَّرُ بِهِمْ.

و ذلك جزاء على أعمالهم، لا ظلم من الله لهم، فإنهم

(وَأَلَوْ اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ)

*الطَّاعَةِ أو الاسلام أو احتمال آخر هو الضلالة

(لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا)

أي: هنيئًا مريئًا، ولم يمنعهم ذلك إلا ظلمهم و عدوانهم.

*** كَثِيرًا. وَ الْمُرَادُ بِذَلِكَ سَعَةِ الرَّزْقِ. كَقَوْلِهِ تَعَالَى:

{وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ

تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ} [المائدة: 66]

و كقوله:

{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ}

[الأعراف: 96]

وَ عَلَى هَذَا يَكُونُ مَعْنَى قَوْلِهِ: {لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ}

أي: لِنَخْتَبِرَهُمْ، كَمَا قَالَ مَالِكٌ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ:

{لِنَفْتِنَهُمْ} لِنَبْتَلِيَهُمْ، مَنْ يَسْتَمِرُّ عَلَى الْهِدَايَةِ مِمَّنْ يَرْتَدُّ إِلَى الْغَوَايَةِ؟.

ذَكَرُ مَنْ قَالَ بِهَذَا الْقَوْلِ: قَالَ الْعَوْفِيُّ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ:

{وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ}

يَعْنِي بِالِاسْتِقَامَةِ: الطَّاعَةَ.

وَ قَالَ مُجَاهِدٌ: {وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ} قَالَ: الْإِسْلَامُ.

وَ قَالَ قَتَادَةُ: {وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ}

يَقُولُ: لَوْ آمَنُوا كُلُّهُمْ لَأَوْسَعْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ الدُّنْيَا.

{وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ} أَيُّ: طَرِيقَةِ الْحَقِّ.

وَ كَذَا قَالَ الضَّحَّاكُ، وَ اسْتَشْهَدَ عَلَى ذَلِكَ بِالْأَيَّتَيْنِ اللَّتَيْنِ ذَكَرْنَاهُمَا،

وَ كُلُّ هَؤُلَاءِ أَوْ أَكْثَرُهُمْ قَالُوا فِي قَوْلِهِ:

{لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ} أَيُّ لِنَبْتَلِيَهُمْ بِهِ.

وَ قَالَ مُقَاتِلٌ: فَنَزَلَتْ فِي كُفَّارِ قُرَيْشٍ حِينَ مُنَعُوا الْمَطَرَ سَبْعَ سِنِينَ.

وَ الْقَوْلُ الثَّانِي:

{وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ} الضَّلَالَةِ

{لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا}

أَيُّ: لَأَوْسَعْنَا عَلَيْهِمُ الرِّزْقَ اسْتِدْرَاجًا،

كَمَا قَالَ: {فَلَمَّا نَسُوا مَا دُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا

بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ} [الأنعام: 44]

وَ هَؤُلَاءِ: {أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا

يَشْعُرُونَ} [المؤمنون: 55، 56]

فَإِنَّهُ فِي قَوْلِهِ: {وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ}

أَيُّ: طَرِيقَةِ الضَّلَالَةِ. وَ لَهُ اتِّجَاهٌ، وَ تَيَأَيَّدَ بِقَوْلِهِ: {لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ}

لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ

أي: لنختبرهم فيه و نمتحنهم ليظهر الصادق من الكاذب.

(وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا)

من أعرض عن ذكر الله، الذي هو كتابه، فلم يتبعه و ينقذ له، بل غفل عنه و لهي، يسلكه عذابا صعدا أي: شديدا بليغا.
*الجزائري: روى عن ابن عباس أن العذاب الصعد جبل في جهنم يكلفون صعوده و كلما وضعوا أيديهم عليه ذابت. و هو ضرب من أنواع العذاب في دار الشقاء.

(وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا)

أي: لا دعاء عبادة، و لا دعاء مسألة،
فإن المساجد التي هي أعظم محال العبادة مبنية على الإخلاص لله و الخضوع لعظمته، و الاستكانة لعزته،
***كَانَتِ الْيَهُودُ وَ النَّصَارَى إِذَا دَخَلُوا كَنَائِسَهُمْ وَ يَبْعِهِمْ،
أَشْرَكُوا بِاللَّهِ، فَأَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يُوحِّدُوهُ وَحْدَهُ.

(وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ)

أي: يسأله و يتعبد له و يقرأ القرآن

(كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ)

كَاد الجن من تكاثرهم عليه أن يكونوا عليه

(لَبَدًا)

أي: متلبدين متراكمين حرصا على سماع ما جاء به من الهدى.

(قُلْ)

لهم يا أيها الرسول، مبينا حقيقة ما تدعو إليه:

(إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي)

*الميسر: إنما أعبد ربي وحده

(وَلَا أَشْرِكُ بِهِ أَحَدًا)

أي: أوحده وحده لا شريك له، وأخلع ما دونه من الأنداد والأوثان،
و كل ما يتخذه المشركون من دونه.

(قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا)

فإني عبد ليس لي من الأمر و لا من التصرف شيء.

*الجزائري: أي ضللا و لا هداية

(قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ)

أي: لا أحد أستجير به ينقذني من عذاب الله،

و إذا كان الرسول الذي هو أكمل الخلق، لا يملك ضرا و لا رشدا،

و لا يمنع نفسه من الله شيئا إن أراد به سوء،

فغيره من الخلق من باب أولى وأحرى.

***لَا يُجِيرُنِي مِنْهُ وَيَخْلُصُنِي إِلَّا إِبْلَغِي الرِّسَالَةَ الَّتِي أَوْجَبَ أَدَاءَهَا عَلَيَّ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ} [الْمَائِدَةِ: 67]

(وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا)

أي: ملجأ ومنتصرا.

(إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ)

أي: ليس لي مزية على الناس،

إلا أن الله خصني بإبلاغ رسالاته و دعوة الخلق إلى الله،

و بهذا تقوم الحجة على الناس.

(وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا)

○ وهذا المراد به المعصية الكفرية، كما قيدتها النصوص الأخر المحكمة.

○ و أما مجرد المعصية، فإنه لا يوجب الخلود في النار، كما دلت على ذلك

آيات القرآن، و الأحاديث عن النبي ﷺ،

و أجمع عليه سلف الأمة و أئمة هذه الأمة.

(حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ)

***أي: حَتَّىٰ إِذَا رَأَى هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنَ الْجِنَّ وَ الْإِنْسِ مَا يُوعَدُونَ يَوْمَ

الْقِيَامَةِ فَسَيَعْلَمُونَ يَوْمَئِذٍ مَنْ أضعفُ ناصِرًا وَ أَقْلُ عَدَدًا،

هُمْ أَمْ الْمُؤْمِنُونَ الْمُؤَحَّدُونَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ،

أي: بَلِ الْمُشْرِكِينَ لَا ناصِرَ لَهُمْ بِالْكُلِّيَّةِ،

وَ هُمْ أَقْلُ عَدَدًا مِنْ جُنُودِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

أي: شاهدوه عيانا، و جزموا أنه واقع بهم،

(فَسَيَعْلَمُونَ)

في ذلك الوقت حقيقة المعرفة

(مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا)

حين لا ينصرهم غيرهم و لا أنفسهم ينتصرون،
و إذ يحشرون فرادى كما خلقوا أول مرة.

(قُلْ)

لهم إن سألوكم فقالوا (متى هذا الوعد) ؟

(إِنْ أَتَىٰ أَحَدُكُمْ آيَاتُنَا فَأَعِذْ بِهِ نَفْسَهُ وَلَوْ حَرَصَ عَلَيْهَا لُمَسَّتْ لَاحِدًا فَمَلَأْنَا بِهِ خَبْرًا فَأَعِذْ بِهِ نَفْسَهُ وَلَوْ حَرَصَ عَلَيْهَا لُمَسَّتْ لَاحِدًا فَمَلَأْنَا بِهِ خَبْرًا فَأَعِذْ بِهِ نَفْسَهُ)

أي: غاية طويلة، فعلم ذلك عند الله.

*** صحيح البخاري -50

قَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: " مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ،

(عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا)

من الخلق، بل انفراد بعلم الضمائر و الأسرار و الغيب،

(إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ)

*** كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ} [البقرة: 255]

*** وَ هَذَا يَعْمُ الرُّسُولَ الْمَلَكِيَّ وَ الْبَشَرِيَّ.

أي: فإنه يخبره بما اقتضت حكمته أن يخبره به،

و ذلك لأن الرسل ليسوا كغيرهم،
 فإن الله أيدهم بتأييد ما أيده أحدا من الخلق،
 و حفظ ما أوحاه إليهم حتى يبلغوه على حقيقته، من غير أن تتخبطهم
 الشياطين،
 و لا يزدوا فيه أو ينقصوا،
 و لهذا قال:

(فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا)

*الميسر: يرسل من أمام الرسول و من خلفه ملائكة يحفظونه من
 الجن؛ لئلا يسترقوه و يهمسوا به إلى الكهنة
 أي: يحفظونه بأمر الله؛

***هِيَ مُعَقَّبَاتٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَحْفَظُونَ النَّبِيَّ مِنَ الشَّيْطَانِ،
 حَتَّى يَتَبَيَّنَ الَّذِي أُرْسِلَ بِهِ إِلَيْهِمْ، وَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ،

(لَيَعْلَمَنَّ)

بذلك

***لَيَعْلَمَنَّ أَهْلَ الشِّرْكِ أَنَّ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ.
 ***لَيَعْلَمَنَّ نَبِيُّ اللَّهِ أَنَّ الرُّسُلَ قَدْ بَلَّغَتْ عَنِ اللَّهِ،
 وَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ حَفِظَتْهَا وَ دَفَعَتْ عَنْهَا
 وَ يُحْتَمَلُ أَنَّ يَكُونُ الضَّمِيرُ عَائِدًا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ،
 وَ هُوَ قَوْلٌ حَكَاهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي "زَادِ الْمَسِيرِ"
 وَيَكُونُ الْمَعْنَى فِي ذَلِكَ:

أَنَّهُ يَحْفَظُ رُسُلَهُ بِمَلَائِكَتِهِ لِيَتِمَّ كُنُوتُهَا مِنْ أَدَاءِ رِسَالَاتِهِ،
وَيَحْفَظُ مَا بَيْنَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْوَحْيِ؛
لِيَعْلَمَ أَنَّ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ، وَيَكُونُ ذَلِكَ كَقَوْلِهِ:
{وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى
عَقْبَيْهِ} [البقرة: 143]

وَ هُوَ: {وَلِيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلِيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ} [العنكبوت: 11]
إِلَى أَمْثَالِ ذَلِكَ، مَعَ الْعِلْمِ بِأَنَّهُ تَعَالَى يَعْلَمُ الْأَشْيَاءَ قَبْلَ كَوْنِهَا قَطْعًا
لَا مَحَالَةَ؛

وَ لِهَذَا قَالَ بَعْدَ هَذَا: {وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا} .
(أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ)

بما جعله لهم من الأسباب،

(وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ)

أي: بما عندهم، و ما أسروه و أعلنوه،

(وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا)

*الميسر: فلم يخفَ عليه منه شيء.

و في هذه السورة فوائد كثيرة:

1-وجود الجن، و أنهم مكلفون مأمورون مكلفون منهيون،

مجازون بأعمالهم، كما هو صريح في هذه السورة.

2-أن رسول الله ﷺ رسول إلى الجن، كما هو رسول إلى الإنس ،

فإن الله صرف نفر الجن ليستمعوا ما يوحى إليه و يبلغوا قومهم.

3- ذكاء الجن ومعرفتهم بالحق،

و أن الذي ساقهم إلى الإيمان هو ما تحققوه من هداية القرآن،
و حسن أدبهم في خطابهم.

4- اعتناء الله برسوله، و حفظه لما جاء به،

فحين ابتدأت بشائر نبوته، و السماء محروسة بالنجوم،
و الشياطين قد هربت عن أماكنها، و أزعجت عن مراصدها،
و أن الله رحم به الأرض و أهلها رحمة ما يقدر لها قدر،
و أراد بهم ربهم رشداً،

فأراد أن يظهر من دينه و شرعه و معرفته في الأرض،
ما تبتهج به القلوب، و تفرح به أولو الألباب،
و تظهر به شعائر الإسلام،

و ينقمع به أهل الأوثان و الأصنام.

5- شدة حرص الجن لاستماع الرسول ﷺ، و تراكمهم عليه.

6- أن هذه السورة قد اشتملت على الأمر بالتوحيد و النهي عن الشرك،
و بينت حالة الخلق، و أن كل أحد منهم لا يستحق من العبادة مثقال ذرة،
لأن الرسول محمداً ﷺ إذا كان لا يملك لأحد نفعا و لا ضرا،
بل و لا يملك لنفسه، عُلِمَ أن الخلق كلهم كذلك،

فمن الخطأ و الغلط اتخاذ من هذا وصفه إلها آخر مع الله.

7- أن علوم الغيوب قد انفرد الله بعلمها،

فلا يعلمها أحد من الخلق، إلا من ارتضاه الله و خصه بعلم شيء منها.

تفسير سورة المزمل-و هي مكية-بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمَزْمِلُ ① قُرْ أَلَيْلًا قَلِيلًا ② نِصْفَهُ ③ أَوْ أَتْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ④ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ
تَرْتِيلًا ⑤ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ⑥ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا ⑦ إِنَّ لَكَ فِي
النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ⑧ وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ⑨ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا
هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ⑩ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ⑪ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ
أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ⑫ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا ⑬ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ⑭
يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ⑮ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ رَسُولًا شَهِيدًا
عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا ⑯ فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ⑰
فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ⑱ السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ ⑲ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا
⑳ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ ㉑ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ㉒

تفسير سورة المزمل-و هي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمَزْمِلُ ① قُرْ أَلَيْلًا قَلِيلًا ② نِصْفَهُ ③ أَوْ أَتْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ④ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ
الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ⑤ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ⑥ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ
قِيلًا ⑦ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ⑧ وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ⑨ رَبُّ
الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ⑩ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ⑪ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ
أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ⑫ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا ⑬ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ⑭
يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ⑮ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ رَسُولًا شَهِيدًا
عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا ⑯ فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ⑰
فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ⑱ السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ ⑲ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا
⑳ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ ㉑ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ㉒

الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ

هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِيَ النَّعْمَةِ وَمَهَلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾

(يَأْيَا الزَّمَلُ)

*جاء في الصحيح المسند لاسباب النزول

سنن أبي داود

1305 - عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «لَمَّا نَزَلَتْ أَوَّلُ الْمَزْمَلِ،

كَانُوا يَقُومُونَ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِمْ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ،

حَتَّى نَزَلَ آخِرُهَا، وَكَانَ بَيْنَ أَوَّلِهَا وَآخِرِهَا سَنَةً»

***كقوله:

{تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ

يُنْفِقُونَ} [السَّجْدَةِ: 16]

وَكَذَلِكَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُمْتَثِلًا مَا أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ،
وَ قَدْ كَانَ وَاجِبًا عَلَيْهِ وَحْدَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا}

[الْإِسْرَاءِ: 79]

-المتغطي بشيابه كالمدرثر، و هذا الوصف حصل من رسول الله ﷺ حين أكرمه

الله برسالته، و ابتدأه بإنزال وحيه بإرسال جبريل عليه السلام إليه،

فرأى أمرا لم ير مثله، ولا يقدر على الثبات له إلا المرسلون،

فاعتراه في ابتداء ذلك انزعاج حين رأى جبريل عليه السلام فأتى إلى أهله،

فقال: « زملوني زملوني » و هو ترعد فرائصه، ثم جاءه جبريل فقال: « اقرأ » فقال: « ما أنا بقارئ » فغطه حتى بلغ منه الجهد، و هو يعالجه على القراءة، فقرأ بالحروف ثم ألقى الله عليه الثبات، و تابع عليه الوحي، حتى بلغ مبلغا ما بلغه أحد من المرسلين.

فسبحان الله، ما أعظم التفاوت بين ابتداء نبوته و نهايتها، و لهذا خاطبه الله بهذا الوصف الذي وجد منه في أول أمره.

1- فأمره هنا بالعبادات المتعلقة به،

2- ثم أمره بالصبر على أذية أعدائه

3- ثم أمره بالصدع بأمره، و إعلان دعوتهم إلى الله،

فأمره هنا بأشرف العبادات،

و هي الصلاة، و بآكد الأوقات و أفضلها، و هو قيام الليل.

و من رحمته تعالى، أنه لم يأمره بقيام الليل كله، بل قال:

(قُرْ آتِلْ إِلَّا قَلِيلًا) .

ثم قدر ذلك فقال:

(نُصَفَهُ أَوْ أَنْقَضَ مِنْهُ)

أي: من النصف

(قَلِيلًا)

بأن يكون الثلث و نحوه.

(أَوْزِدْ عَلَيْهِ)

أي: على النصف، فيكون الثلثين و نحوها.
***أَمَرْنَاكَ أَنْ تَقُومَ نِصْفَ اللَّيْلِ بِزِيَادَةٍ قَلِيلَةٍ أَوْ نَقْصَانٍ قَلِيلٍ،
لَا حَرَجَ عَلَيْكَ فِي ذَلِكَ.

(وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا)

***صحيح البخاري

5046 - سُئِلَ أَنَسٌ كَيْفَ كَانَتْ قِرَاءَةُ النَّبِيِّ ﷺ؟
فَقَالَ: «كَانَتْ مَدًّا»،

ثُمَّ قَرَأَ: {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} [الفاتحة: 1]
يَمْدُ بِسْمِ اللَّهِ، وَ يَمْدُ بِالرَّحْمَنِ، وَ يَمْدُ بِالرَّحِيمِ

سنن الترمذي ت شاكر

2914 - ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:
يُقَالُ - يَعْنِي لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ :-

اقْرَأْ وَ ارْتَقِ وَ رَتَّلْ كَمَا كُنْتَ تُرْتَّلُ فِي الدُّنْيَا،
فَإِنَّ مَنَزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَأُ بِهَا

التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان

- عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:
(زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ)

-فإن ترتيل القرآن به يحصل التدبر و التفكير، و تحريك القلوب به،
و التبعد بآياته، و التهيؤ و الاستعداد التام له، فإنه قال:

(إِنَّا سَأَلْنَاكَ قَوْلًا ثَقِيلًا)

أي: نوحى إليك هذا القرآن الثقيل،

أي: العظيمة معانيه، الجليلة أوصافه، و ما كان بهذا الوصف،
حقيق أن يتهاى له، ويرتل، و يتفكر فيما يشتمل عليه.

*الميسر: إنا سننزل عليك -أيها النبي- قرآنًا عظيمًا مشتملا على
الأوامر و النواهي و الأحكام الشرعية.

***صحيح البخاري حديث 2 -

عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا،

أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ:
يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلَصَلَةِ الْجَرَسِ،

وَ هُوَ أَشَدُّ عَلَيَّ، فَيُفْصِمُ عَنِّي وَ قَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ،

وَ أَحْيَانًا يَتِمَّتْ لِي الْمَلِكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي فَأَعْيِي مَا يَقُولُ»

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

وَ لَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ،

فَيُفْصِمُ عَنْهُ وَ إِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا ()

(صلصلة) هي صوت الحديد إذا حرك وتطلق على كل صوت له طنين. والمشبه هنا صوت

الملك بالوحي.

(فيفصم) يقلع وأصل الفصم القطع من غير إبانة.

(وعيت) فهمت وحفظت.

ثم ذكر الحكمة في أمره بقيام الليل، فقال:

(إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ)

أي: الصلاة فيه بعد النوم

(هِيَ أَشَدُّ وَطْناً)

أي: أقرب إلى تحصيل مقصود القرآن،

يتواطأ على القرآن القلب و اللسان، و تقل الشواغل،

و يفهم ما يقول، و يستقيم له أمره،

و هذا بخلاف النهار، فإنه لا يحصل به هذا المقصود ،

(وَأَقْوَمُ قِيلاً)

* الميسر: و أبين قولاً لفراغ القلب من مشاغل الدنيا.

و لهذا قال:

(إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا)

أي: ترددنا على حوائجك و معاشك،

يوجب اشتغال القلب و عدم تفرغه التفرغ التام.

***وَ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدٍ بْنُ أَسْلَمَ فِي قَوْلِهِ:

(ليتفصد) يسيل من الفصد وهو قطع العرق لإسالة الدم شبه الجبين بالعرق المفصود مبالغة من كثرة عرقه

{ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا }

قَالَ: لِحَوَائِجِكَ، فَأَفْرَغَ لِدِينِكَ اللَّيْلَ.

قَالَ: وَ هَذَا حِينَ كَانَتْ صَلَاةُ اللَّيْلِ فَرِيضَةً،

ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ مَنَّ عَلَى الْعِبَادِ فَخَفَّفَهَا وَوَضَعَهَا

وَ قَرَأَ: {ثُمَّ اللَّيْلُ إِلَّا قَلِيلًا} إِلَى آخِرِ الْآيَةِ،

ثُمَّ قَالَ: {إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ}

حَتَّى بَلَغَ: {فَأَقْرَعُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ}

اللَّيْلَ نِصْفَهُ أَوْ ثُلُثَهُ. ثُمَّ جَاءَ أَمْرٌ أَوْسَعُ

وَ أَفْسَحُ وَضَعَ الْفَرِيضَةَ عَنْهُ وَعَنْ أُمَّتِهِ

فَقَالَ: قَالَ: {وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا

مُحْمَدًا} [الْإِسْرَاءِ: 49]

وَ هَذَا الَّذِي قَالَهُ كَمَا قَالَهُ.

(وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ)

شامل لأنواع الذكر كلها

(وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا)

أي: انقطع إلى الله تعالى، فإن الانقطاع إلى الله و الإنابة إليه،

هو الانفصال بالقلب عن الخلائق، و الاتصاف بمحبة الله

و كل ما يقرب إليه، و يدني من رضاه.

***قال بن جرير: يقال للعابد متبتل و منه الحديث:

(رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ)

و هذا اسم جنس يشمل المشرق و المغرب كلها ،
فهو تعالى رب المشرق و المغرب، و ما يكون فيها من الأنوار،
و ما هي مصلحة له من العالم العلوي و السفلي،
فهو رب كل شيء و خالقه و مدبره.

(لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ)

أي: لا معبود إلا وجهه الأعلى،
الذي يستحق أن يُخص بالمحبة و التعظيم، و الإجلال و التكریم،

و لهذا قال: (فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا)

أي: حافظا و مدبرا لأمورك كلها.

فلما أمره الله بالصلاة خصوصا، و بالذكر عموما،
و ذلك يحصل للعبد ملكة قوية في تحمل الأثقال، و فعل الثقيل من الأعمال،

***كما افردته بالعبادة فأفردته بالتوكل كقوله {فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ}

[هود: 123]

(وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ)

أمره بالصبر على ما يقول فيه المعاندون له و يسبونونه و يسبون ما جاء به،

و أن يمضي على أمر الله، لا يصدده عنه صاد، و لا يردده راد،

(وَأَهْجَرَهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا)

و أن يهجرهم هجرا جميلا وهو الهجر حيث اقتضت المصلحة الهجر الذي لا أذية فيه،

فيقابلهم بالهجر و الإعراض عنهم و عن أقوالهم التي تؤذيه،
و أمره بجدا لهم بالتي هي أحسن.

*الميسر: و اصبر على ما يقوله المشركون فيك و في دينك،
و خالفهم في أفعالهم الباطلة،
مع الإعراض عنهم، و ترك الانتقام منهم.

(وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ)

أي: اتركني و إياهم، فسأنتقم منهم، و إن أمهلتهم فلا أمهلهم،

و قوله: **(أُولَى النِّعْمَةِ)**

أي: أصحاب النعمة و الغنى، الذين طغوا حين وسع الله عليهم من رزقه،

(وَمَهْلِكُمْ قَلِيلًا)

و أمدهم من فضله

كما قال تعالى {كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَإِطْفَىٰ (6) أُنْ رَأَهُ اسْتَعْفَىٰ} [العلق: 6، 7]

***كقوله {نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ} [لقمان: 24]

*الميسر: و مهّلهم زمنا قليلا بتأخير العذاب عنهم

حتى يبلغ الكتاب أجله بعذابهم

*الجزائري : انتظرهم قليلا من الزمن حتى يهلكوا ببدر..
ثم توعدهم بما عنده من العقاب، فقال:

إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَحَجِيمًا ﴿١٣﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾

يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾

(إِنَّ لَدَيْنَا)

أي: إن عندنا

(أَنْكَالًا)

أي: عذابا شديدا، جعلناه تنكيلا للذي لا يزال مستمرا على الذنوب.
***قيود

(وَحَجِيمًا)

أي: نارا حامية

(وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ)

و ذلك لمرارته و بشاعته، و كراهة طعمه و ريحه الخبيث المتن،
***يَنْشَبُ فِي الْحَلْقِ فَلَا يَدْخُلُ وَلَا يَخْرُجُ.

(وَعَذَابًا أَلِيمًا)

أي: موجعا مفضعا، وذلك

(يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ)

من الهول العظيم،

*الجزائري:تتنزل

(وَكَانَتْ الْجِبَالُ)

الراسيات الصم الصلاب

(كَيْبًا مَهِيلاً)

أي: بمنزلة الرمل المنهال المنتشر،

ثم إنها تبس بعد ذلك، فتكون كالهباء المنثور.

* الميسر :حتى تصير الجبال تلا من الرمل سائلا متناثرا

إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾

فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾

(إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا)

يقول تعالى: احمدا ربكم على إرسال هذا النبي الأمي العربي البشير النذير،

الشاهد على الأمة بأعمالهم،

و اشكروه و قوموا بهذه النعمة الجليلة،

و إياكم أن تكفروها، فتعصوا رسولكم،

فتكونوا كفرعون حين أرسل الله إليه موسى بن عمران،

(فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ)

فدعاه إلى الله، و أمره بالتوحيد، فلم يصدقه، بل عصاه،

(فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا)

فأخذه الله أخذا وبيلا أي: شديدا بليغا.

***كقوله { فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ } [النازعات: 25]

فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿١٧﴾

الْسَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ ۚ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾

(فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا)

أي: فكيف يحصل لكم الفكاك و النجاة من يوم القيامة، اليوم المهيل أمره،

العظيم قدره ، الذي يشيب الولدان، و تذوب له الجمادات العظام،

***كيف يحصل لكم أمانٌ من يوم هذا الفزع العظيم إن كَفَرْتُمْ

مِنْ شِدَّةِ أَهْوَالِهِ وَزَلْزَلِهِ وَبَلَابِهِ،

و ذَلِكَ حِينَ يَقُولُ اللَّهُ لِأَدَمَ: انْعَثْ بَعَثَ النَّارِ. فَيَقُولُ مِنْ كَمْ؟

فَيَقُولُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعُمِائَةٌ وَ تِسْعَةٌ وَ تِسْعُونَ إِلَى النَّارِ،

وَ وَاحِدٌ إِلَى الْجَنَّةِ.

مسند الشاميين للطبراني

2409 - عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ،

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَرَأَ {يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا}

[المزمل: 17]

ثُمَّ قَالَ: " ذَلِكَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَ ذَلِكَ يَوْمٌ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِآدَمَ:
 قُمْ فَأَبْعَثْ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ،
 فَقَالَ: مَنْ كَمْ يَا رَبِّ؟
 قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَ تِسْعَةً وَ تِسْعِينَ وَ يَنْجُو وَاحِدٌ "
 فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَ عَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَلِكَ مِنْهُمْ،
 فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ بَصُرَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِهِمْ:
 «إِنَّ بَنِي آدَمَ كَذَا وَ كَذَا، وَ إِنَّ يَأْجُوجَ وَ مَاْجُوجَ مِنْ وَلَدِ آدَمَ
 وَ إِنَّهُ لَا يَمُوتُ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى يَرِثَهُ لِصْلِبِهِ أَلْفُ رَجُلٍ،
 فَبِهِمْ وَ فِي أَشْبَاهِهِمْ جَنَّةٌ لَكُمْ»

(السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ)

فتفتطر به السماء و تنتشر به نجومها

(كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا)

أي: لا بد من وقوعه، و لا حائل دونه.

إِنَّ هَذِهِ تَذَكِيرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اخْذِلْ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿١٩﴾

(إِنَّ هَذِهِ تَذَكِيرَةٌ)

أي: إن هذه الموعظة التي نبأ الله بها من أحوال يوم القيامة وأهواله ،
 تذكرة يتذكر بها المتقون، وينزجر بها المؤمنون،

*** يَقُولُ تَعَالَى: {إِنَّ هَذِهِ}

أي: السُّورَةُ

{تَذَكُّرٌ}

أَيُّ: يَتَذَكَّرُ بِهَا أُولُوا الْأَلْبَابِ؛

وَلِهَذَا قَالَ: {فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا}

أَيُّ: مِمَّنْ شَاءَ اللَّهُ هَدَايَتَهُ،

كَمَا قَيَّدَهُ فِي السُّورَةِ الْأُخْرَى:

{وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا} [الإنسان: 30] .

*الميسر: السماء متصدعة في ذلك اليوم؛

لشدّة هوله، كان وعد الله تعالى بمجيء ذلك اليوم واقعاً لا محالة.

{فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا}

*الميسر: فمن أراد الاتعاظ و الانتفاع بها اتخذ الطاعة و التقوى طريقاً توصله إلى رضوان ربه الذي خلقه وربّاه.

أَيُّ: طريقاً موصلاً إليه، و ذلك باتّباع شرعه،

فإنه قد أبانه كل البيان، و أوضحه غاية الإيضاح،

و في هذا دليل على أن الله تعالى أقدر العباد على أفعالهم، و مكنهم منها،

لا كما يقوله الجبرية:

إن أفعالهم تقع بغير مشيئتهم، فإن هذا خلاف النقل و العقل.

❖ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ
 اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّنْ نَّخْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنْكُمْ
 مَّرْضَىٰ ۖ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ ۖ وَآخَرُونَ يَقْنِطُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
 فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَقَرِّضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ
 مِن خَيْرٍ يَّجِدْهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَاسْتَغْفِرُوا لِلَّذِينَ فِي الْأَقْدَامِ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾

سورة المدثر-بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبُّكَ فَكَبِيرٌ ﴿٣﴾ وَيَا بَاكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُنْ
 تَسْتَخِيرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾ فَإِذَا نُفِرَ فِي الْأَقَاوِرِ ﴿٨﴾ فَذَلِكَ يَوْمٌ مَّيْذَنُومٍ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى
 الْكَافِرِينَ غَيْرِ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾ ذُرِّي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَا لَا مَمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَيْنَ
 شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَن يَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾
 سَأَرْهُقُهُ صَعُودًا ﴿١٧﴾

❖ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَاللَّهُ
 يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّنْ نَّخْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ۚ عَلِمَ أَن
 سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَّرْضَىٰ ۖ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ ۖ وَآخَرُونَ
 يَقْنِطُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَقَرِّضُوا اللَّهَ

قَرْضًا حَسَنًا وَمَا نُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا لِلَّهِ

إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾

***إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَسَخْتُ الَّذِي كَانَ اللَّهُ قَدْ أَوْجَبَهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ
أَوَّلًا مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ.

وَ اخْتَلَفُوا فِي الْمُدَّةِ الَّتِي بَيْنَهُمَا عَلَى أَقْوَالٍ كَمَا تَقَدَّمَ.
وَ قَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ (صحيح البخاري 46)

جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ ثَائِرِ الرَّأْسِ،
يُسْمَعُ دَوِيُّ صَوْتِهِ وَلَا يُفْقَهُ مَا يَقُولُ، حَتَّى دَنَا،
فَإِذَا هُوَ يَسْأَلُ عَنِ الْإِسْلَامِ،
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ»
فَقَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قَالَ: «لَا، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ».

إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ، وَثُلُثَهُ، وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ

ذكر الله في أول هذه السورة أنه أمر رسوله بقيام نصف الليل أو ثلثه أو ثلثيه،
و الأصل أن أمته أسوة له في الأحكام،

و ذكر في هذا الموضع، أنه امتثل ذلك هو و طائفة معه من المؤمنين.

و لما كان تحرير الوقت المأمور به مشقة على الناس

أخبر أنه سهل عليهم في ذلك غاية التسهيل فقال:

(وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ)

أي: يعلم مقاديرهما و ما يمضي منهما ويبقى.
*** تَارَةً يَعْتَدِلَانِ، وَ تَارَةً يَأْخُذُ هَذَا مِنْ هَذَا، أَوْ هَذَا مِنْ هَذَا

(عَلِمَ أَنَّ لَنْ تُخْصَوْهُ فَنَابَ عَلَيْكُمْ)

أي: لن تعرفوا مقداره من غير زيادة و لا نقص
لكون ذلك يستدعي انتباها وعناء زائدا
أي: فخفف عنكم، و أمركم بما تيسر عليكم، سواء زاد على المقدر أو نقص،

(فَأَقْرَأُوا مَا تَيْسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ)

*** أَي: مِنْ غَيْرِ تَحْدِيدٍ بِوَقْتٍ، أَي:
وَلَكِنْ قُومُوا مِنَ اللَّيْلِ مَا تَيْسَّرَ. وَعَبَّرَ عَنِ الصَّلَاةِ بِالْقِرَاءَةِ،

كَمَا قَالَ فِي سُورَةِ سُبْحَانَ: {وَلَا تُجْهَرُ بِصَلَاتِكَ}

أَي: بِقِرَاءَتِكَ، {وَلَا تُخَافُثُ بِهَا}

أي: مما تعرفون و مما لا يشق عليكم،
و لهذا كان المصلي بالليل مأمورا بالصلاة
ما دام نشيطا، فإذا فتر أو كسل أو نعس، فليسترح،
ليأتي الصلاة بطمأنينة و راحة.

*** صحيح البخاري

3270 - عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،
قَالَ: ذُكِرَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ نَامَ لَيْلَهُ حَتَّى أَصْبَحَ،
قَالَ: " ذَاكَ رَجُلٌ بَالُ الشَّيْطَانِ فِي أُذُنَيْهِ، أَوْ قَالَ: فِي أُذُنِهِ "

ثم ذكر بعض الأسباب المناسبة للتخفيف، فقال:

(عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرَضٌ)

يشق عليهم صلاة ثلثي الليل أو نصفه أو ثلثه،

فليصل المريض المتسهل عليه و لا يكون أيضا مأمورا بالصلاة قائما عند مشقة ذلك،

بل لو شقت عليه الصلاة النافلة، فله تركها و له أجر ما كان يعمل صحيحا .

(وَأَخْرُونَ يَصْرِيُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ)

أي: و علم أن منكم مسافرين يسافرون للتجارة، ليستغنوا عن الخلق،

و يتكففوا عن الناس أي: فالمسافر، حاله تناسب التخفيف،

و لهذا خفف عنه في صلاة الفرض،

فأباح له جمع الصلاتين في وقت واحد، و قصر الصلاة الرباعية.

(وَأَخْرُونَ يَقْنَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأَقْرَأُوا مَا تَسَرَّ مِنْهُ)

فذكر تعالى تخفيفين:

1- تخفيفا للصحيح المقيم، يراعي فيه نشاطه،

من غير أن يكلف عليه تحرير الوقت،

بل يتحرى الصلاة الفاضلة، و هي ثلث الليل بعد نصفه الأول.

2- و تخفيفا للمريض أو المسافر،

سواء كان سفره للتجارة، أو لعبادة، من قتال

أو جهاد، أو حج، أو عمرة، و نحو ذلك ،
فإنه أيضا يراعي ما لا يكلفه، فله الحمد والثناء،
الذي ما جعل على الأمة في الدين من حرج،
بل سهل شرعه، و راعى أحوال عباده و مصالح دينهم و أبدانهم و دنياهم.
ثم أمر العباد بعبادتين، هما أم العبادات و عمادها:-

١ - إقامة الصلاة، التي لا يستقيم الدين إلا بها،

٢ - و إيتاء الزكاة التي هي برهان الإيمان،

و بها تحصل المواساة للفقراء و المساكين،

و لهذا قال: **(وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ)** بآركانها، و شروطها، و مكملاتها،

*** أي: أَقِيمُوا صَلَاتَكُمْ الْوَاجِبَةَ عَلَيْكُمْ،

(وَمَا آتُوا الزَّكَاةَ)

*** وَ آتُوا الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ.

وَ هَذَا يَدُلُّ لِمَنْ قَالَ: إِنَّ فَرَضَ الزَّكَاةِ نَزَلَ بِمَكَّةَ،

لَكِنَّ مَقَادِيرَ النَّصَبِ وَ الْمَخْرَجَ لَمْ تُبَيَّنْ إِلَّا بِالْمَدِينَةِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا)

*** كقوله { مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ

يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } [البقرة: 245]

أي: خالصا لوجه الله، من نية صادقة، و تثبيت من النفس، و مال طيب،

و يدخل في هذا الصدقة الواجبة ، و المستحبة ،
ثم حث على عموم الخير و أفعاله فقال :

(وَمَا تَقْدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا)

*** صحيح البخاري

6442 عَنْ الْحَارِثِ بْنِ سُوَيْدٍ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«أَيُّكُمْ مَالٌ وَارِثُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ؟»

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ،

قَالَ: «فَإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ، وَمَالٌ وَارِثُهُ مَا أَخَّرَ» ()

○ الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة.

و ليعلم أن مثقال ذرة من الخير في هذه الدار، يقابله أضعاف أضعاف الدنيا،

و ما عليها في دار النعيم المقيم، من اللذات و الشهوات،

و أن الخير والبر في هذه الدنيا، مادة الخير والبر في دار القرار،

وبذره و أصله و أساسه،

فواأسفاه على أوقات مضت في الغفلات،

و واحسرتاه على أزمان تقضت بغير الأعمال الصالحات،

و واغوثاه من قلوب لم يؤثر فيها وعظ بارئها،

(أحب إليه) أكثر حرصا عليه.

(ما قدم) صرفه في حياته في مصارف الخير.

(ما آخر) ما ادخره حتى مات وتركه لوارثه]

و لم ينجع فيها تشويق من هو أرحم بها منها .
فلك اللهم الحمد، و إليك المشتكى،
و بك المستغاث، و لا حول ولا قوة إلا بك.

(وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)

و في الأمر بالاستغفار بعد الحث على أفعال الطاعة و الخير، فائدة كبيرة:-
و ذلك أن العبد ما يخلو من التقصير فيما أمر به،
إما أن لا يفعله أصلاً أو يفعله على وجه ناقص
فأمر بترقيع ذلك بالاستغفار،
فإن العبد يذنب آناء الليل والنهار،
فمتى لم يتغمده الله برحمته و مغفرته، فإنه هالك.

74- تفسير سورة المدثر- وهي مكية

*جاء في الصحيح المسند لاسباب النزول

صحيح البخاري

4924 - عن يحيى، قال: سألت أبا سلمة:

أي القرآن أنزل أول؟

فقال: {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ} [المدثر:1]،

فقلت: أنبت أنه: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} [العلق:1]،

فقال أبو سلمة سألت جابر بن عبد الله أي القرآن أنزل أول؟

فَقَالَ: {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ} [المدثر:1]

فَقُلْتُ: أُنَبِّئُ أَنَّهُ: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} [العلق:1]،

فَقَالَ: لَا أَخْبِرُكَ إِنَّا قَالِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ،

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

جَاوَرْتُ فِي حَرَاءٍ، فَلَمَّا قَضَيْتُ جَوَارِي هَبَطْتُ،

فَاسْتَبَطَنْتُ الْوَادِي فَتَوَدَّيْتُ فَنَظَرْتُ أَمَامِي وَخَلْفِي،

وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي،

فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ،

فَاتَّيْتُ خَدِيجَةَ فَقُلْتُ: دَثِّرُونِي، وَصَبُّوا عَلَيَّ مَاءً بَارِدًا، وَأَنْزِلْ عَلَيَّ:

{يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ} [المدثر:2] [□]

***صحيح البخاري

4926 - عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُحَدِّثُ عَنْ فِتْرَةِ

الْوَحْيِ " فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ

فَرَفَعْتُ بَصْرِي قِبَلَ السَّمَاءِ،

فَإِذَا الْمَلِكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحَرَاءٍ قَاعِدٌ عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ،

فَجِئْتُ مِنْهُ حَتَّى هَوَيْتُ إِلَى الْأَرْضِ، فَجِئْتُ أَهْلِي فَقُلْتُ:

زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي فَزَمِّلُونِي، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى:

(استبطن الوادي) وصلت إلى بطنه وهو أخفض مكان فيه.

(هو) أي الملك الذي جاءني في حراء كما صرحت به الرواية التالية وهذا ظاهر أن ما حصل في حراء قبل هذا.

(عرش) وفي نسخة (كرسي) والمعنى متقارب]

{يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ} [المدثر: 2]

إِلَى قَوْلِهِ {فَاهْجُرْ} [المدثر: 5]-

قَالَ أَبُو سَلَمَةَ: وَ الرَّجَزُ الْأَوْتَانُ - ثُمَّ حَمِيَ الْوَحْيُ وَ تَتَابَعَ "

يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ① قُمْ فَأَنْذِرْ ② وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ③ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ④ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ⑤
وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْبِرُ ⑥ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ⑦ فَإِذَا نُفِرَ فِي النَّاقُورِ ⑧ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ
عَسِيرٌ ⑨ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ⑩ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ⑪ وَجَعَلْتُ لَهُ
مَالًا مَمْدُودًا ⑫ وَبَيْنَ شُهُودًا ⑬ وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ⑭ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ⑮
كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عِينِدًا ⑯ سَأَرْهُقُهُ صَعُودًا ⑰

{يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ}

تقدم أن المزمّل و المدثر بمعنى واحد،

و أن الله أمر رسوله ﷺ، بالاجتهاد في عبادة الله القاصرة و المتعدية،

فتقدم هناك الأمر له بالعبادات الفاضلة القاصرة،

و الصبر على أذى قومه، و أمره هنا بإعلان الدعوة ، و الصدع بالإندار،

فقال: {قُمْ}

أي: بجهد و نشاط

{فَأَنْذِرْ}

الناس بالأقوال و الأفعال، التي يحصل بها المقصود،
و بيان حال المنذر عنه، ليكون ذلك أدعى لتركه،

(وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ)

أي: عظمه بالتوحيد، و اجعل قصدك في إنذارك وجه الله
و أن يعظمه العباد و يقوموا بعبادته.

(وَنَبَأَكَ فَطَهِّرْ)

يحتمل أن المراد بشيابه،

أعماله كلها، و بتطهيرها تخليصها و النصح بها،
و إيقاعها على أكمل الوجوه،

و تنقيتها عن المبطلات و المفسدات، و المنقصات من شر و رياء،
و نفاق و عجب، و تكبر، و غفلة، و غير ذلك،
مما يؤمر العبد باجتنابه في عباداته.

1- و يدخل في ذلك تطهير الثياب من النجاسة،

فإن ذلك من تمام التطهير للأعمال خصوصا في الصلاة،
التي قال كثير من العلماء:

إن إزالة النجاسة عنها شرط من شروط الصلاة.

2- و يحتمل أن المراد بشيابه، الثياب المعروفة،

و أنه مأمور بتطهيرها عن جميع النجاسات، في جميع الأوقات،

خصوصا في الدخول في الصلوات،

و إذا كان مأمورا بتطهير الظاهر، فإن طهارة الظاهر من تمام طهارة الباطن.

***قَالَ: لَا تَلْبِسْهَا عَلَى مَعْصِيَةٍ وَلَا عَلَى عَذْرَةٍ.

ثُمَّ قَالَ: أَمَّا سَمِعْتَ قَوْلَ غِيلَانَ بْنِ سَلَمَةَ الثَّقَفِيِّ:

فَإِنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ لَا ثَوْبَ فَاجِرٍ ... لَبِسْتُ وَلَا مِنْ عَذْرَةٍ أَتَقَنَّعُ

و قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ، عَنْ عَطَاءٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ [فِي هَذِهِ الْآيَةِ]

{وَتِيَابَكَ فَطَهَّرَ} قَالَ: فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: نَقِيَ الثِّيَابِ.

وَقَالَ الثَّوْرِيُّ، عَنْ رَجُلٍ، عَنْ عَطَاءٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي هَذِهِ الْآيَةِ:

{وَتِيَابَكَ فَطَهَّرَ} قَالَ: مِنَ الْإِثْمِ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: {وَتِيَابَكَ فَطَهَّرَ} قَالَ: نَفْسَكَ، لَيْسَ ثِيَابَهُ.

وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهُ: {وَتِيَابَكَ فَطَهَّرَ} عَمَلَكَ فَأَصْلَحَ،

وَقَالَ فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: {وَتِيَابَكَ فَطَهَّرَ}

أَيُّ: لَسْتُ بِكَاهِنٍ وَ لَا سَاحِرٍ، فَأَعْرِضْ عَمَّا قَالُوا.

وَقَالَ قَتَادَةُ: {وَتِيَابَكَ فَطَهَّرَ} أَيُّ: طَهَّرَهَا مِنَ الْمَعَاصِي،

وَكَانَتِ الْعَرَبُ تُسَمِّي الرَّجُلَ إِذَا نَكَثَ وَلَمْ يَفِ بِعَهْدِ اللَّهِ إِنَّهُ لَمُدْنَسٌ

الثِّيَابِ.

وَإِذَا وَفَّى وَأَصْلَحَ: إِنَّهُ لَمْطَهَّرُ الثِّيَابِ.

وَقَالَ عِكْرِمَةُ، وَ الضَّحَّاكُ: لَا تَلْبِسْهَا عَلَى مَعْصِيَةٍ.

وَقَالَ الشَّاعِرُ

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَدْنَسْ مِنَ اللَّؤْمِ عِرْضُهُ ... فَكُلُّ رَدَاءٍ يَرْتَدِيهِ جَمِيلٌ ...

وَقَالَ الْعَوْفِيُّ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: {وَتِيَابَكَ فَطَهَّرَ}

يَعْنِي لَا تَكُ ثِيَابَكَ الَّتِي تَلْبَسُ مِنْ مَكْسَبٍ غَيْرِ طَائِبٍ،
وَيُقَالُ: لَا تَلْبَسُ ثِيَابَكَ عَلَى مَعْصِيَةٍ.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ: { وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ } أَي: اغْسِلْهَا بِالْمَاءِ.
وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: كَانَ الْمُشْرِكُونَ لَا يَتَطَهَّرُونَ، فَأَمَرَهُ اللَّهُ أَنْ يَتَطَهَّرَ،
وَأَنْ يُطَهِّرَ ثِيَابَهُ.

وَهَذَا الْقَوْلُ اخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ،
وَقَدْ تَشْمَلُ الْآيَةُ جَمِيعَ ذَلِكَ مَعَ طَهَارَةِ الْقَلْبِ،
فَإِنَّ الْعَرَبَ تُطْلِقُ الثِّيَابَ عَلَيْهِ، كَمَا قَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ:
أَفَاطَمَ مَهْلًا بَعْضَ هَذَا التَّدَلُّ ... وَإِنْ كُنْتُ قَدْ أَزْمَعْتُ هَجْرِي فَأَجْمِلِي ...
وَأِنْ تَكُ قَدْ سَاءَتْكَ مِنِّي خَلِيقَةٌ ... فَسَلِّي ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِكَ تَنْسَلِ
وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: { وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ } وَ قَلْبَكَ وَ نِيَّتَكَ فَطَهِّرْ.

(وَالرَّجَزُ فَاهْجُرْ)

يَحْتَمِلُ أَنْ الْمُرَادَ بِالرَّجَزِ:-

- ١ - الأصنام و الأوثان، التي عبدت مع الله، فأمره بتركها،
و البراءة منها و مما نسب إليها من قول أو عمل.
 - ٢ - و يحتمل أن المراد بالرجز أعمال الشر كلها و أقواله،
فيكون أمرا له بترك الذنوب، صغيرها و كبيرها ، ظاهرها و باطنها،
فيدخل في ذلك الشرك و ما دونه.
- ***اَتْرَكَ الْمَعْصِيَةَ.
- وَعَلَى كُلِّ تَقْدِيرٍ فَلَا يَلْزَمُ تَلْبُسُهُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، كَقَوْلِهِ:

{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ} [الأحزاب: 1]
{وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ}
[الأعراف: 142] .

(وَلَا تَمَنَّ تَسْتَكْنُرُ)

أي:

- 1- لا تمنن على الناس بما أسديت إليهم من النعم الدينية و الدنيوية، فتكسر بتلك المنة، و ترى لك الفضل عليهم بإحسانك المنة، بل أحسن إلى الناس مهما أمكنك، و انس عندهم إحسانك، ولا تطلب أجره إلا من الله تعالى و اجعل من أحسنت إليه و غيره على حد سواء.
- 2- و قد قيل: إن معنى هذا، لا تعط أحدا شيئا، و أنت تريد أن يكافئك عليه بأكثر منه، فيكون هذا خاصا بالنبي ﷺ.

(وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ)

أي: احتسب بصبرك، واقصد به وجه الله تعالى، فامتثل رسول الله ﷺ لأمر ربه، و بادر إليه، فأنذر الناس، و أوضح لهم بالآيات البينات جميع المطالب الإلهية، و عظم الله تعالى، و دعا الخلق إلى تعظيمه، و طهر أعماله الظاهرة و الباطنة من كل سوء،

و هجر كل ما يبعد عن الله من الأصنام و أهلها، و الشر و أهله،
و له المنة على الناس - بعد منة الله- من غير أن يطلب منهم على ذلك
جزاء

ولالا شكورا، و صبر لله أكمل صبر،

1-فصبر على طاعة الله،

2-و عن معاصي الله،

3-و على أقدار الله المؤلمة ،

حتى فاق أولي العزم من المرسلين، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم
أجمعين.

(فَإِذَا نُفِرَ فِي النَّاقُورِ)

أي: فإذا نفخ في الصور للقيام من القبور، و جمع الخلق للبعث و النشور.

***سنن الترمذي ت شاكر

2431 - عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«كَيْفَ أَنْعَمَ وَصَاحِبُ الْقَرْنِ قَدْ التَّقَمَ الْقَرْنَ

وَاسْتَمَعَ الْإِذْنَ مَتَى يُؤْمَرُ بِالنَّفْخِ فَيَنْفُخُ»

فَكَانَ ذَلِكَ ثَقُلَ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ لَهُمْ:

" قُولُوا: حَسْبُنَا اللَّهُ وَ نِعْمَ الْوَكِيلُ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا "

(فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ)

لكثرة أهواله و شدائده.

***غير سهل عليهم

(عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرَ يَسِيرٍ)

لأنهم قد أيسوا من كل خير، و أيقنوا بالهلاك و البوار.

و مفهوم ذلك أنه على المؤمنين يسير، كما قال تعالى:

{ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِيرٌ } [القمر: 8].

ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَيْنَ شُهُودًا ﴿١٣﴾

وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عِينِدًا ﴿١٦﴾ سَأَرَّهُنَّ

صَعُودًا ﴿١٧﴾

*جاء في الصحيح المسند لاسباب النزول

البداية و النهاية ج3 ص60 قال إسحاق: عن ابن عباس

أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ الْمُغِيرَةَ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ، فَكَانَهُ رَقٌّ لَهُ فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا جَهْلٍ فَأَتَاهُ

فَقَالَ يَا عَمُّ إِنَّ قَوْمَكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَجْمَعُوا لَكَ مَالًا. قَالَ لِمَ؟

قَالَ لِيُعْطَوْكَ فَإِنَّكَ أَتَيْتَ مُحَمَّدًا لَتَعْرِضَ مَا قَبْلَهُ،

قَالَ قَدْ عَلِمْتَ قَرِيشَ أُنَى مِنْ أَكْثَرُهَا مَالًا،

قَالَ فَقُلْ فِيهِ قَوْلًا يَبْلُغُ قَوْمَكَ أَنَّكَ مُنْكَرٌ لَهُ. قَالَ وَمَاذَا أَقُولُ؟

قَالَ اللَّهُ مَا مِنْكُمْ رَجُلٌ أَعْرَفَ بِأَنْشَعَارِ مِنِّي، وَلَا أَعْلَمُ بِرَجْزِهِ،

وَلَا بِقَصِيدِهِ مِنِّي، وَلَا بِأَشْعَارِ الْجِنِّ،

وَاللَّهُ مَا يُشَبِّهُ الَّذِي يَقُولُ شَيْئًا مِنْ هَذَا،

وَوَاللّٰهُ اِنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي يَقُوْلُهُ حَلَاوَةً، وَاِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً،
 وَاِنَّهُ لَمُتَمَرٍّ اَعْلَاهُ مَغْدُقٌ اَسْفَلُهُ، وَاِنَّهُ لَيَعْلُوْ وَلاَ يَعْلى،
 وَاِنَّهُ لَيَحْطِمُ مَا تَحْتَهُ. قَالَ لَّا يَرْضٰى عَنْكَ قَوْمُكَ حَتّٰى تَقُوْلَ فِيْهِ،
 قَالَ قَفْ عَنِي حَتّٰى اَفْكُرَ فِيْهِ، فَلَمَّا فَكَّرَ. قَالَ:
 اِنْ هٰذَا اِلَّا سِحْرٌ يُؤَثِّرُ يَآثِرُهُ عَنْ غَيْرِهِ
 فَتَزَلَّتْ

(ذَرْنِيْ وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيْدًا وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُوْدًا وَبَنِيْنَ شُهُوْدًا)

13-11 الآيات

هذه الآيات، نزلت في الوليد بن المغيرة، معاند الحق، و المبارز لله و لرسوله
 بالمحاربة و المشاقة،

فذمه الله ذما لم يذمه غيره، و هذا جزاء كل من عاند الحق و نابذه،
 أن له الخزي في الدنيا، و لعذاب الآخرة أخزى، فقال:

(ذَرْنِيْ وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيْدًا)

أي: خلقتة منفردا، بلا مال و لا أهل، و لا غيره، فلم أزل أنميه و أربيه ،

(وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُوْدًا)

أي: كثيرا

(و)

جعلت له

(وَبَنِيْنَ)

أي: ذكورا

(شُهُودًا)

—دائما حاضرين عنده، على الدوام يتمتع بهم، و يقضي بهم حوائجه،
و يستنصر بهم.

*** لَا يَغِيبُونَ، أَي: حُضُورًا عِنْدَهُ لَا يُسَافِرُونَ فِي التَّجَارَاتِ،
بَلْ مَوَالِيهِمْ وَ أَجْرَاؤُهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ذَلِكَ عَنْهُمْ وَ هُمْ قُعُودٌ عِنْدَ آبِيهِمْ،
يَتَمَتَّعُ بِهِمْ وَ يَتَمَلَّى بِهِمْ.

(وَمَهَّدَتْ لَهُ تَمْهِيدًا)

أي: مكنته من الدنيا و أسبابها،

حتى انقادت له مطالبه، و حصل على ما يشتهي و يريد،

(ثُمَّ)

مع هذه النعم و الإمدادات

(يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ)

أي: يطمع أن ينال نعيم الآخرة كما نال نعيم الدنيا.

(كَلَّا^ط)

أي: ليس الأمر كما طمع، بل هو بخلاف مقصوده و مطلوبه،

و ذلك لأنه (إِنَّهُ كَانَ لِأَيِّنَّا عَنِيدًا)

أي: معاندا، عرفها ثم أنكرها، و دعته إلى الحق
فلم ينقد لها ولم يكفه أنه أعرض و تولى عنها،
بل جعل يحاربها و يسعى في إبطالها، و لهذا قال عنه:

(سَأَرْهُقُهُ صَعُودًا)

***مَشَقَّةٌ مِنَ الْعَذَابِ. وَ قَالَ قَتَادَةُ: عَذَابًا لَا رَاحَةَ فِيهِ.

إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ ﴿٢٣﴾ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ﴿٢٥﴾ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَصْلَابُهُ سَفَرٌ ﴿٢٧﴾ وَمَا آذْرُكَ مَا سَفَرٌ ﴿٢٨﴾ لَا بَقِيَّ وَلَا نَذْرٌ ﴿٢٩﴾ لَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ كَفَرُوا أَتَمَّ مِلَّةِكُمْ وَمَا جَعَلْنَا عَدَّتْهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَزَنَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ۚ كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لِأَحَدَى الْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرٌ لِلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَّقِدَ أَوْ يَنْأَخِرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا آلَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّتِ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَوْ نَكُنُ مِنَ الْمُصْلِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ نَكُنُ نَاطِقِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾

الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾

إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ ﴿٢٣﴾ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ﴿٢٥﴾ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَصْلَابُهُ سَفَرٌ ﴿٢٧﴾ وَمَا آذْرُكَ مَا سَفَرٌ ﴿٢٨﴾ لَا بَقِيَّ وَلَا نَذْرٌ ﴿٢٩﴾ لَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ كَفَرُوا أَتَمَّ مِلَّةِكُمْ وَمَا جَعَلْنَا عَدَّتْهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَزَنَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ۚ كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لِأَحَدَى الْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرٌ لِلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَّقِدَ أَوْ يَنْأَخِرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا آلَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّتِ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَوْ نَكُنُ مِنَ الْمُصْلِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ نَكُنُ نَاطِقِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾

لَيْسَتَيْنِ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَزَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَيْنَا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ
وَلَيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ
وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾

(إِنَّهُ فَكَّرَ)

أي: في نفسه

(وَقَدَّرَ)

ما فكر فيه، ليقول قولاً يطل به القرآن.

***تروي

(فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ)

لأنه قدر أمراً ليس في طوره، و تسور على ما لا يناله هو و لا أمثاله،

(ثُمَّ نَظَرَ)

ما يقول،

(ثُمَّ عَبَسَ)

***قَبَضَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَقَطَّبَ

-في وجهه، و ظاهره نفرة عن الحق و بغضا له،

(وَبَسَرَ)

***كَلَحَ وَ كَرِهَ،

(ثُمَّ أَذْبَرَ)

أي: تولى

***صُرِفَ عَنِ الْحَقِّ، وَ رَجَعَ الْقَهْقَرَى مُسْتَكْبِرًا عَنِ الْإِنْقِيَادِ لِلْقُرْآنِ،

(وَأَسْتَكْبَرَ)

نتيجة سعيه الفكري و العملي و القولي أن قال:

(فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُؤْتَرٌ ﴿٢٤﴾ إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ)

*** هَذَا سِحْرٌ يَنْقُلُهُ مُحَمَّدٌ عَنْ غَيْرِهِ عَمَّنْ قَبْلَهُ وَيَحْكِيهِ عَنْهُمْ؛

أي: ما هذا كلام الله، بل كلام البشر، و ليس أيضا كلام البشر الأخيار، بل كلام الفجار منهم و الأشرار، من كل كاذب سحار.

فتبا له، ما أبعده من الصواب، و أحرّاه بالخسارة و التباب!!

كيف يدور في الأذهان، أو يتصوره ضمير كل إنسان،

أن يكون أعلى الكلام و أعظمه، كلام الرب العظيم، الماجد الكريم،

يشبه كلام المخلوقين الفقراء الناقصين؟!

أم كيف يتجرأ هذا الكاذب العنيد، على وصفه كلام المبدئ المعيد .

فما حقه إلا العذاب الشديد والنكال، و لهذا قال تعالى:

(سَأُصْلِيهِ سَقَرَ)

*** سَأُغْمِرُهُ فِيهَا مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِ

(وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقَى وَلَا نَذَرٌ)

أي: لا تبقي من الشدة، و لا على المعذب شيئاً إلا و بلغته.
**تَأْكُلُ لُحُومَهُمْ وَ عُرُوقَهُمْ وَ عَصَبَهُمْ وَ جُلُودَهُمْ،
ثُمَّ تُبَدِّلُ غَيْرَ ذَلِكَ، وَ هُمْ فِي ذَلِكَ لَا يَمُوتُونَ وَ لَا يَحْيَوْنَ
(لَوَاخِةٌ)

أي: تلوحهم و تصليهم في عذابها، و تقلقهم بشدة حرها و قرها.
***حراقة للجلد

(عَلَيْهَا تِسْعَةُ عَشْرَ)
من الملائكة، خزنة لها، غلاظ شداد، لا يعصون الله ما أمرهم،
و يفعلون ما يؤمرون.

(وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً)

و ذلك لشدتهم و قوتهم.

*** زبانية غلاظاً شداداً. وَ ذَلِكَ رَدٌّ عَلَى مُشْرِكِي قُرَيْشٍ حِينَ ذَكَرَ عَدَدَ الْخَزَنَةِ،
فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ،
أَمَا يَسْتَطِيعُ كُلُّ عَشْرَةٍ مِنْكُمْ لِوَاحِدٍ مِنْهُمْ فَتَغْلِبُونَهُمْ ؟

فَقَالَ اللَّهُ: {وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً}

أي: شديدي الخلق لا يقاومون و لا يُعَالَبُونَ.

وَ قَدْ قِيلَ: إِنَّ أَبَا الْأَشَدِّينَ - وَ اسْمُهُ: كَلْدَةُ بْنُ أُسَيْدِ بْنِ خَلْفٍ -

قَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، أَكْفُونِي مِنْهُمْ اثْنَيْنِ

وَ أَنَا أَكْفِيكُمْ مِنْهُمْ سَبْعَةَ عَشَرَ، إِعْجَابًا مِنْهُ بِنَفْسِهِ

وَ كَانَ قَدْ بَلَغَ مِنَ الْقُوَّةِ فِيمَا يَزْعُمُونَ أَنَّهُ كَانَ يَقِفُ عَلَى جِلْدِ الْبَقَرَةِ

وَ يُجَادِبُهُ عَشْرَةَ لَيْلَتَزَعُوهُ مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْهِ،
فَيَتَمَرَّقُ الْجِلْدُ وَ لَا يَتَزَحَّزَحُ عَنْهُ.

قَالَ السُّهَيْلِيُّ: وَ هُوَ الَّذِي دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى مُصَارَعَتِهِ
وَ قَالَ: إِنْ صَرَعْتَنِي آمَنْتُ بِكَ، فَصَرَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ مَرَارًا، فَلَمْ يُؤْمِنْ.
قَالَ: وَ قَدْ نَسَبَ ابْنُ إِسْحَاقَ خَبَرَ الْمُصَارَعَةِ إِلَى رُكَانَةَ بِنِ عَبْدِ يَزِيدَ بْنِ
هَاشِمِ بْنِ الْمُطَّلِبِ (١)

(وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا)

1-يحتمل أن المراد: إلا لعذابهم و عقابهم في الآخرة،

و لزيادة نكالهم فيها، والعذاب يسمى فتنة،

كما قال تعالى: { يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ } [الذاريات: 13]

2-و يحتمل أن المراد: أنا ما أخبرناكم بعدتهم،

إلا لنعلم من يصدق و من يكذب، و يدل على هذا ما ذكر بعده في قوله:

(لَيَسْتَفِيقَنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَزَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا)

فإن أهل الكتاب، إذا وافق ما عندهم و طابقه،

ازداد يقينهم بالحق، و المؤمنون كلما أنزل الله آية،

فآمنوا بها وصدقوا، ازداد إيمانهم،

(وَلَا يَزَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ)

-انظر الروض الأنف للسهيلى (200/1) .

أي: ليزول عنهم الريب و الشك،
و هذه مقاصد جليلة، يعتني بها أولو الألباب،
و هي السعي في اليقين، و زيادة الإيمان في كل وقت،
و كل مسألة من مسائل الدين،
و دفع الشكوك و الأوهام التي تعرض في مقابلة الحق،
فجعل ما أنزله الله على رسوله محصلا لهذه الفوائد الجليلة،
و مميزا للكاذبين من الصادقين، و لهذا قال:

(وَلَيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ)

أي: شك و شبهة و نفاق.
***أي المنافقين

(وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا^٤)

و هذا على وجه الحيرة و الشك، و الكفر منهم بآيات الله،
و هذا و ذاك من هداية الله لمن يهديه، و إضلاله لمن يضل ولهذا قال:

(كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ^٥)

– فمن هداه الله، جعل ما أنزله الله على رسوله رحمة في حقه،
و زيادة في إيمانه و دينه، – و من أضله،
جعل ما أنزله على رسوله زيادة شقاء عليه و حيرة، و ظلمة في حقه،
و الواجب أن يتلقى ما أخبر الله به و رسوله بالتسليم،

(وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ)

فإنه لا يعلم جنود ربك من الملائكة و غيرهم

(إِلَّا هُوَ)

فإذا كنتم جاهلين بجنوده، و أخبركم بها العليم الخبير،

فعليكم أن تصدقوا خبره، من غير شك و لا ارتياب،

*** صحيح مسلم -162

فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُسْنِدًا ظَهَرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ،
وَ إِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ،

(وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ)

أي: و ما هذه الموعظة و التذكار مقصودا به العبث و اللعب،

و إنما المقصود به أن يتذكر به البشر ما ينفعهم فيفعلونه،

و ما يضرهم فيتركونه.

كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَأَتْلُ إِذْ أَذْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لِأَحَدَى الْكَبِيرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا
لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ
الْأَيْمَنِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّتٍ يَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ
نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَحُوسُ مَعَ الْخَافِضِينَ ﴿٤٥﴾
وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّى آتَانَا الْيَقِينَ ﴿٤٧﴾

(كَلَّا وَالْقَمَرَ)

هنا بمعنى: حقا، أو بمعنى (ألا) الاستفتاحية، فأقسم تعالى بالقمر،

(وَاللَّيْلَ إِذَا أَذْبَرَ)

و بالليل وقت إدباره،

(وَالصُّبْحَ إِذَا أَشْفَرَ)

***الشرق

و النهار وقت إسفاره،

لاشتمال المذكورات على آيات الله العظيمة، الدالة على كمال قدرة الله و حكمته، و سعة سطرانه، و عموم رحمته، وإحاطة علمه،

و المقسم عليه قوله: (إِنَّهَا)

أي النار

(لِإِحْدَى الْكُبَرِ)

***العظام

(نَذِيرًا لِلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ)

أي: لإحدى العظام الطامة و الأمور الهامة،

فإذا أعلمناكم بها، و كنتم على بصيرة من أمرها،

—فمن شاء منكم أن يتقدم، فيعمل بما يقربه من ربه، و يدنيه من رضاه،

و يزلفه من دار كرامته،

-أو يتأخر عما خلق له و عما يحبه الله و يرضاه ، فيعمل بالمعاصي،
ويتقرب إلى نار جهنم، كما قال تعالى:

{وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ} [الكهف: 29]
الآية.

(كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ)

من أعمال السوء و أفعال الشر

(رَهِيْنَةً)

بها موثقة بسعيها، قد ألزم عنقها، و غل في رقبتها، و استوجبت به العذاب،

(إِلَّا أَصْحَابَ الْإِيمَانِ)

فإنهم لم يرتهنوا، بل أطلقوا و فرحوا

(فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ)

أي: في جنات قد حصل لهم بها جميع مطلوباتهم،

و تمت لهم الراحة و الطمأنينة، حتى أقبلوا يتساءلون، فأفضت بهم المحادثة،

أن سألوا عن المجرمين، أي: حال وصلوا إليها،

و هل وجدوا ما وعدهم الله تعالى؟

فقال بعضهم لبعض: « هل أنتم مطلعون عليهم »

فاطلعوا عليهم في وسط الجحيم يعذبون، فقالوا لهم:

(مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ)

أي: أي شيء أدخلكم فيها؟

و بأي: ذنب استحققتموها؟

ف_____ **(قَالُوا لَرَنُكَ مِنَ الْمُضَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَرَنُكَ فَطَعُمُ الْمُسَكِينِ)**

فلا إخلاص للمعبود، و لا إحسان و لا نفع للخلق المحتاجين.

(وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ)

أي: نخوض بالباطل، و نجادل به الحق،

*** نَتَكَلَّمُ فِيْمَا لَا نَعْلَمُ.

و قَالَ قَتَادَةُ: كُلَّمَا غَوِيَ غَاوٍ غَوَيْنَا مَعَهُ،

(وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ)

هذا آثار الخوض بالباطل، و هو التكذيب بالحق، و من أحق الحق، يوم الدين،

الذي هو محل الجزاء على الأعمال،

و ظهور ملك الله و حكمه العدل لسائر الخلق.

فاستمرينا على هذا المذهب الفاسد

(حَتَّىٰ أَتَيْنَا الْيَقِيْنَ)

أي: الموت، فلما ماتوا على الكفر تعذرت حينئذ عليهم الحيل،

و انسد في وجوههم باب الأمل.

فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفْعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَانَهُمْ حُمُومٌ مُّسْتَنْفِرَةٌ

﴿٥٠﴾ فَزَتْ مِنْ قَسَورَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةٌ ﴿٥٢﴾

كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ﴿٥٥﴾

وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ النَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾

سورة القيامة- بسم الله الرحمن الرحيم

﴿١﴾ لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ ﴿٢﴾ وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿٣﴾ أَلَيْسَ الْإِنْسَانُ أَنْ يَجْمَعَ عِظَامَهُ ﴿٤﴾

بَلَى قَدَرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴿٥﴾ بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴿٦﴾ يَسْتَلْ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴿٧﴾

أَبْصَرَ ﴿٨﴾ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴿٩﴾ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿١٠﴾ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُجُ ﴿١١﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ

﴿١٢﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿١٣﴾ يُنَبِّئُكَ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ

﴿١٥﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ﴿١٦﴾ لَا تَحْزَنْكَ يَدَ يَسْأَلُكَ لِسَانُكَ لَتَعَجَّلَ بِهٖ ﴿١٧﴾ إِنْ عَلَيْنَا جُمُوعُهُ وَقَرَّ عَنْهُ ﴿١٨﴾

فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَانْفَعْ قَرَأْتَهُ ﴿١٩﴾ ثُمَّ إِنْ عَلَيْنَا بَيِّنَاتُهُ ﴿٢٠﴾

فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفْعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٢١﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٢٢﴾ كَانَهُمْ حُمُومٌ

مُّسْتَنْفِرَةٌ ﴿٢٣﴾ فَزَتْ مِنْ قَسَورَةٍ ﴿٢٤﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةٌ ﴿٢٥﴾

كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢٦﴾ كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرَةٌ ﴿٢٧﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ﴿٢٨﴾ وَمَا

يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ النَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴿٢٩﴾

(فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ)

لأنهم لا يشفعون إلا لمن ارتضى، و هؤلاء لا يرضى الله أعمالهم .
فلما بين الله مآل المخالفين، و رهب مما يفعل بهم،
عطف على الموجودين بالعتاب و اللوم، فقال:

(فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ)

أي: صادين غافلين عنها.

(كَأَنَّهُمْ)

في نفرتهم الشديدة منها

(حُمْرٌ مُّسْتَنْفِرَةٌ)

أي: كأنهم حمر وحش نفرت فنفر بعضها بعضا، فزاد عدوها،

(فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ)

أي: من صائد و رام يريدھا، أو من أسد ونحوه

و هذا من أعظم ما يكون من النفور عن الحق،

و مع هذا الإعراض و هذا النفور،

يدعون الدعاوى الكبار.

ف—(بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةٌ)

*** { وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ
 حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا
 كَانُوا يَمْكُرُونَ } [الأنعام: 124]

نازلة عليه من السماء، يزعم أنه لا ينقاد للحق إلا بذلك، و قد كذبوا،
 فإنهم لو جاءتهم كل آية لم يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم،
 فإنهم جاءتهم الآيات البينات التي تبين الحق و توضحه،
 فلو كان فيهم خير لآمنوا، ولهذا قال:

(كَلَّا)

أن نعطيهم ما طلبوا، و هم ما قصدوا بذلك إلا التعجيز،

^ط(بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ)

فلو كانوا يخافونها لما جرى منهم ما جرى.

(كَلَّا إِنَّكُمْ تَذَكَّرْ)

الضمير إما أن يعود على هذه السورة، أو على ما اشتملت عليه من هذه
 الموعظة،

(فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ)

لأنه قد بين له السبيل، و وضع له الدليل.

(وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ^ع)

فإن مشيئته نافذة عامة، لا يخرج عنها حادث قليل و لا كثير،
ففيها رد على القدرية، الذين لا يدخلون أفعال العباد تحت مشيئة الله،
و الجبرية الذين يزعمون أنه ليس للعبد مشيئة، و لا فعل حقيقة،
وإنما هو مجبور على أفعاله،

فأثبت تعالى للعباد مشيئة حقيقة و فعلا و جعل ذلك تابعا لمشيئته،

***كقوله {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا}

[الإنسان: 30]

(هُوَ أَهْلُ النَّقْوَى)

أي: هو أهل أن يتقى و يعبد، لأنه الإله الذي لا تنبغي العبادة إلا له،

(وَأَهْلُ الْمَغْفَرَةِ)

و أهل أن يغفر لمن اتقاه و اتبع رضاه. تم تفسير سورة المدثر و لله الحمد .

تفسير سورة القيامة-و هي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ ۖ (١) وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ (٢)

أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ أَنْ يُجْمَعَ عِظَامُهُ. (٣)

بَلَىٰ قَدَرِينْ عَلَىٰ أَنْ تُسَوَّىٰ بَنَانُهُ. (٤) بَلَىٰ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجَرَأَ أَمَامَهُ. (٥)

ليست (لَا) ها هنا نافية، و لا زائدة
و إنما أتى بها للاستفتاح و الاهتمام بما بعدها،
و لكثرة الإتيان بها مع اليمين، لا يستغرب الاستفتاح بها،
و إن لم تكن في الأصل موضوعة للاستفتاح.

(أَقِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ)

فالمقسم به في هذا الموضع، هو المقسم عليه،
و هو البعث بعد الموت، و قيام الناس من قبورهم،
ثم وقوفهم ينتظرون ما يحكم به الرب عليهم.

(وَلَا أَقِمْ بِالنَّفْسِ اللَّوَاْمَةَ)

و هي جميع النفوس الخيرة و الفاجرة، سميت

(اللَّوَاْمَةَ)

لكثرة تردها و تلومها و عدم ثبوتها على حالة من أحوالها،
و لأنها عند الموت تلوم صاحبها على ما عملت ،
بل نفس المؤمن تلوم صاحبها في الدنيا على ما حصل منه،
من تفريط أو تقصير في حق من الحقوق، أو غفلة،
فجمع بين الإقسام بالجزاء، و على الجزاء، و بين مستحق الجزاء.
ثم أخبر مع هذا، أن بعض المعاندين يكذب بيوم القيامة، فقال:

(أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتَّخَذَ عِظَامُهُ)

بعد الموت، كما قال في الآية الأخرى:

{ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ } [يس: 78]

فاستبعد من جهله و عدوانه قدرة الله على خلق عظامه التي هي عماد البدن،
فرد عليه بقوله:

(بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ)

أي: أطراف أصابعه و عظامه، المستلزم ذلك لخلق جميع أجزاء البدن،
لأنها إذا وجدت الأنامل و البنان، فقد تمت حلقة الجسد،

*جاء في موقع اسلام ويب

<http://fatwa.islamweb.net/fatwa/index.php?page=showfatwa&Option=FatwaId&Id=39959>

فالإعجاز العلمي في قوله تعالى:

بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ [القيامة 4]

هو أن البنان تحتوي على البصمات،

و التي في الغاية من الدقة، حيث لا يتشابه اثنان في خريطة
البصمات،

فأقسم الله تعالى بالقيامة أنه قادر على أن يرد هذه البنان يوم

القيامة كما كانت و بنفس الخريطة و الدقة،

و ذلك في معرض الرد على المشركين الذين ينكرون المعاد و

يستبعدون حشر الأجسام بعد كونها ترابا،

و قد ذكر هذا المعنى كثير من المواقع المتخصصة بالإعجاز،

و هذا الأمر أي عدم تطابق البصمات إنما اكتشف مؤخرا،
 أما المفسرون، فإنهم ذكروا أن البنان التي تحتوي على العظام
 الصغيرة والأظافر إذا كان الله سيعيدها كما كانت،
 و يؤلف بينها حتى تستوي،
 فمن باب أولى أن يعيد ما هو أكبر منها
 انظر مثلا تفسير القرطبي .

(بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِفَجَرٍ أَمَامِهِ * يَسْتَلْ أَيَّانَ يَوْمِ الْقِيَمَةِ)

*** يَقُولُ الْإِنْسَانُ: أَعْمَلْتُ ثُمَّ أَتُوبُ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ،
 وَ يُقَالُ: هُوَ الْكَافِرُ بِالْحَقِّ بَيْنَ يَدَيِ الْقِيَامَةِ.
 هُوَ الَّذِي يَعْجَلُ الذُّنُوبَ وَيُسَوِّفُ التَّوْبَةَ.
 وَ قَالَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: هُوَ الْكَافِرُ يُكَذِّبُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ.
 وَ هَذَا هُوَ الْأَظْهَرُ مِنَ الْمُرَادِ؛ وَلِهَذَا قَالَ بَعْدَهُ

{يَسْتَلْ أَيَّانَ يَوْمِ الْقِيَمَةِ} ؟

-و ليس إنكاره لقدرة الله تعالى قصورا بالدليل الدال على ذلك،
 و إنما وقع ذلك منه أن قصده و إرادته أن يكذب بما أمامه من البعث.

و الفجور: الكذب مع التعمد.

*** وَ إِنَّمَا سَوَّالُهُ سَوَّالٌ اسْتَبْعَادٍ لِقُوعِهِ، وَ تَكْذِيبٌ لِرُجُودِهِ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ
 لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ} [سبأ: 29، 30] .

ثم ذكر أحوال القيامة فقال:

فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴿٨﴾

وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٩﴾

يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُ ﴿١٠﴾

كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبِّئُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾

بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ﴿١٥﴾ لَا تَحْرِيكَ يَدُوكَ لِسَانَ لِّتَعَجَلَ ﴿١٦﴾

﴿١٧﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾

(فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ)

*** حَارَ. وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ شَبِيهٌ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: {لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ}

[إِبْرَاهِيمَ: 43] ، بَلْ يَنْظُرُونَ مِنَ الْفَزَعِ هَكَذَا وَهَكَذَا،

لَا يَسْتَقِرُّ لَهُمْ بَصَرٌ عَلَى شَيْءٍ؛ مِنْ شِدَّةِ الرُّعْبِ.

-أي: إذا كانت القيامة برقت الأبصار من الهول العظيم،

و شخصت فلا تطرف

كما قال تعالى:

{إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ

إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ} [إِبْرَاهِيمَ: 42 - 43]

(وَخَسَفَ الْقَمَرُ)

أي: ذهب نوره و سلطانه،

(وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ)

و هما لم يجتمعا منذ خلقهما الله تعالى،

فيجمع الله بينهما يوم القيامة،

و يخسف القمر، و تكور الشمس،

ثم يقذفان في النار، ليرى العباد أنهما عبدان مسخران،

و ليرى من عبدهما أنهم كانوا كاذبين.

*جاء في موقع الكحيل:

<http://www.kaheel7.com/modules.php?name=News&file=article&sid=711>

تخبرنا القياسات الحديثة لكتلة الشمس وما تفقده كل ثانية من

وزنها بسبب التفاعلات الحاصلة في داخلها والتي تسبب خسارة

ملايين الأطنان كل ثانية!

هذه الخسارة لا نحسُّ بها ولا تكاد تؤثر على ما ينبعث من أشعه

ضوئية من الشمس بسبب الحجم الضخم للشمس.

ولكن بعد آلاف الملايين من السنين سوف تعاني الشمس من خسارة

حادة في وزنها مما يسبب نقصان حجمها واختفاء جزء كبير من

ضوئها،

و هذا يقود إلى انهيار هذه الشمس.

إن نقصان وزن الشمس سيؤدي إلى نقصان في جاذبيتها للكواكب

الدوارة حولها، و سوف يؤدي ذلك إلى انخفاض شد الشمس للقمر

لذلك سوف يعاني القمر من تسارع في مداره حول الأرض و يتجاوز السرعة الحرجة له مفلتاً من مداره و لكنه لن يذهب إلى الفضاء

بل سيسقط في الشمس التي ستجذبه نحوها بشدة، والسبب في ذلك أن القمر جسم صغير مقارنة بالشمس (في ذلك الوقت). وهنا نجد البيان القرآني يتحدث عن الحقائق المستقبلية بدقة تامة، يقول تعالى: **(إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ)** [التكوير:1].

وهذا ثابت علمياً في المستقبل،

ويقول تعالى: **(وَحَسَفَ الْقَمَرُ)** [القيامة:8].

كما يقول تعالى: **(وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ)** [القيامة:9].

إذن القمر الذي لا يمكنه بلوغ الشمس سيأتي ذلك اليوم عندما يجتمعان،

و الشمس ذات الحرارة الحارقة و الأشعة الضوئية الكبيرة سوف يأتي يوم يذهب ضوءها و يخف نورها و تتكور على بعضها، هذه حقائق مستقبلية يكشف عنها القرآن

ولكن البيان القرآني يتابع لنا في نهاية النجوم التي سيكون مصيرها كالشمس، بعد أن تنفذ طاقتها ويتلاشى ضوءها، وتختلط مع بعضها فالمشهد في ذلك الوقت سيكون مكدراً،

فالنظام الذي نراه اليوم في الكون سيختفي لأن قوى التاذب ستقلّ ويبدأ انهيار الكون، وهنا نجد للقرآن بياناً عن النجوم:

(وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ) [التكوير:2].

(يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ)

حين يرى تلك القلاقل المزعجات:

(أَيْنَ الْمَفْرُ)

أي: أين الخلاص و الفكاك مما طرقتنا و أصابنا ؟

أي: لا ملجأ لأحد دون الله،

(كَلَّا لَا وَزَرَ)

*** أي لَا نَجَاةَ.

وَهَذِهِ كَقَوْلِهِ: { مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ } [الشُّورَى: 47]

أي: لَيْسَ لَكُمْ مَكَانٌ تَتَنَكَّرُونَ فِيهِ،

وَ كَذَا قَالَ هَاهُنَا { لَا وَزَرَ } أي: لَيْسَ لَكُمْ مَكَانٌ تَعْتَصِمُونَ فِيهِ؛

وَ لِهَذَا قَالَ: (إِن رَيْكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ)

*** أي: الْمَرْجِعُ وَ الْمَصِيرُ.

○ لسائر العباد فليس في إمكان أحد أن يستتر أو يهرب عن ذلك الموضع،

بل لا بد من إيقافه ليجزى بعمله،

*الميسر: إلى الله وحده مصير الخلائق يوم القيامة و مستقرهم،

فيجازي كلا بما يستحق.

و لهذا قال: (يُبْنَوُا الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ)

أي: بجميع عمله الحسن و السيء، في أول وقته و آخره،

و ينبأ بخبر لا ينكره.

*** يُخْبِرُ بِجَمِيعِ أَعْمَالِهِ قَدِيمَهَا وَحَدِيثَهَا، أُولَاهَا وَآخِرَهَا، صَغِيرَهَا وَكَبِيرَهَا،
 كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا} [الْكَهْف: 49]
 (بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ)

أي: شاهد و محاسب،

(وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرُهُ،)

*** و لو اعتذر و أنكر
 وَ لَوْ جَادَلَ عَنْهَا فَهُوَ بَصِيرٌ عَلَيْهَا.

هَوْلِهِ: {ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ}
 [الْأَنْعَام: 23]

وَ هَوْلِهِ {يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ
 أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ} [الْمُجَادَلَة: 18] .

فإنها معاذير لا تقبل، و لا تقابل ما يقرر به العبد ، فيقر به،
 كما قال تعالى:

{اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا} [الإسراء: 14] .

—فالعبد و إن أنكر، أو اعتذر عما عمله، فإنكاره و اعتذاره لا يفيدانه شيئا،
 لأنه يشهد عليه سمعه و بصره، و جميع جوارحه بما كان يعمل،
 و لأن استعبابه قد ذهب وقته و زال نفعه:

{فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ} [الروم: 57]

— كان النبي ﷺ إذا جاءه جبريل عليه السلام بالوحي، و شرع في تلاوته عليه،

بادره النبي ﷺ من الحرص قبل أن يفرغ، و تلاه مع تلاوة جبريل عليه السلام إياه،
فنهاه الله عن هذا، وقال:

{وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ} [طه: 114]

وقال هنا: (لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ)

*الميسر: لا تحرك -أيها النبي- بالقرآن لسانك حين نزول الوحي؛
لأجل أن تتعجل بحفظه، مخافة أن يتفلت منك.

**جاء في الصحيح المسند لأسباب النزول

صحيح البخاري

5 - عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ}

[القيامة 16]

قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَالِجُ مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةً،
وَكَانَ مِمَّا يُحَرِّكُ شَفْتَيْهِ - فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:
فَأَنَا أُحَرِّكُهُمَا لَكُمْ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحَرِّكُهُمَا،
وَقَالَ سَعِيدٌ: أَنَا أُحَرِّكُهُمَا كَمَا رَأَيْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يُحَرِّكُهُمَا،
فَحَرَّكَ شَفْتَيْهِ - فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى:

{لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ} [القيامة 17]

قَالَ: جَمْعُهُ لَكَ فِي صَدْرِكَ وَتَقْرَأَهُ: {فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ}

[القيامة 18]

قَالَ: فَاسْتَمِعْ لَهُ وَانْصِتْ: {ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ} [القيامة 19]

ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ تَقْرَأَهُ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ

إِذَا آتَاهُ جِبْرِيلُ اسْتَمَعَ فَإِذَا انْطَلَقَ جِبْرِيلُ قَرَأَهُ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا قَرَأَهُ (□)
 *** هَذَا تَعْلِيمٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ ﷺ فِي كَيْفِيَّةِ تَلْقِيهِ الْوَحْيِ مِنَ الْمَلَكِ،
 فَإِنَّهُ كَانَ يُبَادِرُ إِلَى أَخْذِهِ، وَ يُسَابِقُ الْمَلَكَ فِي قِرَاءَتِهِ،
 فَأَمَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا جَاءَهُ الْمَلَكُ بِالْوَحْيِ أَنْ يَسْتَمِعَ لَهُ،
 وَ تَكْفَلَ لَهُ أَنْ يَجْمَعَهُ فِي صَدْرِهِ،
 وَ أَنْ يُبَيِّنَ لِدَاوُدَ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي أَلْقَاهُ إِلَيْهِ،
 وَ أَنْ يُبَيِّنَهُ لَهُ وَيُفَسِّرَهُ وَيُوضِّحَهُ.
 فَالْحَالَةُ الْأُولَى جَمْعُهُ فِي صَدْرِهِ،
 وَ الثَّانِيَةُ تَلَاوُتُهُ،
 وَ الثَّلَاثَةُ تَفْسِيرُهُ وَإِضَاحُ مَعْنَاهُ؛
 وَ لِهَذَا قَالَ: { لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ } أَيُّ: بِالْقُرْآنِ،

(يعالج) من المعالجة وهي محاولة الشيء بمشقة.

(التنزيل) تنزيل القرآن عليه.

(وكان مما يحرك شفثيه) أي كانت الشدة من كثرة تحريكه شفثيه وكان ﷺ يفعل ذلك خشية
 أن ينسى ما أوحى إليه.

(به) بالقرآن.

(لتعجل به) لتأخذه على عجل مسارعة إلى حفظه خشية أن ينفلت منه شيء. (جمعه له)
 جمع الله تعالى للقرآن.

(وتقرأه) وأن تقرأه بعد انتهاء وحيه.

(قرآنه) قراءته كما أنزل فلا يغيب عنك منه شيء.

(بيانه) استمرار حفظك له بظهوره على لسانك وقيل بيان مجملاته وتوضيح مشكلاته وبيان

ما فيه من حلال وحرام وغير ذلك. و الآيات من سورة القيامة 16 - 19]

كَمَا قَالَ: {وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي
عِلْمًا} [طه: 114] .

(إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ)

-ثم ضمن له تعالى أنه لا بد أن يحفظه و يقرأه،
و يجمعه الله في صدره، فقال:

فالحرص الذي في خاطرك، إنما الداعي له حذر الفوات و النسيان،
فإذا ضمنه الله لك فلا موجب لذلك.

(فَإِذَا قَرَأْتَهُ)

أي: إذا كمل جبريل قراءة ما أوحى الله إليك،

(فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ)

فحينئذ اتبع ما قرأه وأقرأه.

(ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ)

أي: بيان معانيه، فوعده بحفظ لفظه و حفظ معانيه،
و هذا أعلى ما يكون،
فامثل ﷺ لأدب ربه،

فكان إذا تلا عليه جبريل القرآن بعد هذا، أنصت له،

فإذا فرغ قرأه.

-و في هذه الآية أدب لأخذ العلم،:

١ - أن لا يبادر المتعلم المعلم قبل أن يفرغ من المسألة التي شرع فيها،

فإذا فرغ منها سأل عما أشكل عليه،

2-و كذلك إذا كان في أول الكلام ما يوجب الرد أو الاستحسان،

أن لا يبادر برده أو قبوله، حتى يفرغ من ذلك الكلام،

ليتبين ما فيه من حق أو باطل، و ليفهمه فهما يتمكن به من الكلام عليه،

3- و فيها: أن النبي ﷺ كما بين للأمة ألفاظ الوحي، فإنه قد بين لهم معانيه.

كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ
 بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مِنْ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾
 وَالنَّفْيَ السَّاقِ وَالسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَٰى ﴿٣١﴾ وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ
 ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَمْتَطِي ﴿٣٣﴾ أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ ﴿٣٥﴾ أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ
 سُدىً ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُنْ نَفْثَةً مِّنْ مَّيِّمَتَيْنِ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَعَمِلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ
 ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾

سورة الإنسان- بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ
 أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا
 ﴿٣﴾ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَلًَا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾
 إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾

كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾
 إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾

(كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ)

أي: هذا الذي أوجب لكم الغفلة و الإعراض عن وعظ الله و تذكيره أنكم
 و تسعون فيما يحصلها،

و في لذاتها و شهواتها، و تؤثرونها على الآخرة،

(وَنَذَرُونَ الْآخِرَةَ)

فتذرون العمل لها، لأن الدنيا نعيمها و لذاتها عاجلة،
و الإنسان مولع بحب العاجل، و الآخرة متأخر ما فيها من النعيم المقيم،
-فلذلك غفلتم عنها و تركتموها، كأنكم لم تخلقوا لها،
و كأن هذه الدار هي دار القرار،

التي تبذل فيها نفائس الأعمار، و يسعى لها آناء الليل و النهار،
-و بهذا انقلبت عليكم الحقيقة، و حصل من الخسار ما حصل.
-فلو آثرتم الآخرة على الدنيا، و نظرتم للعواقب نظر البصير العاقل
لأنجحتم، و ربحتم ربحا لا خسار معه، و فزتم فوزا لا شقاء يصحبه.
-ثم ذكر ما يدعو إلى إثثار الآخرة، ببيان حال أهلها و تفاوتهم فيها،
فقال في جزاء المؤثرين للآخرة على الدنيا:

(وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ)

أي: حسنة بهية، لها رونق و نور، مما هم فيه من نعيم القلوب،
و بهجة النفوس، و لذة الأرواح،

(إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ)

أي: تنظر إلى ربها على حسب مراتبهم:

1-منهم من ينظره كل يوم بكرة و عشيا،

2- و منهم من ينظره كل جمعة مرة واحدة،

فيتمتعون بالنظر إلى وجهه الكريم، و جماله الباهر، الذي ليس كمثله شيء،

فإذا رأوه نسوا ما هم فيه من النعيم

و حصل لهم من اللذة و السرور ما لا يمكن التعبير عنه،

و نضرت وجوههم فازدادوا جمالا إلى جمالهم،

فنسأل الله الكريم أن يجعلنا معهم.

*** صحيح البخاري

7435 - عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ عَيَانًا»

*** صحيح البخاري

7439 - عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ،

قَالَ: قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟

قَالَ: «هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ إِذَا كَانَتْ صَحْوًا؟»،

قُلْنَا: لَا، قَالَ:

«فَإِنَّكُمْ لَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ يَوْمَئِذٍ، إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَيْهِمَا»

صحيح البخاري

7434 - عَنْ جَرِيرٍ، قَالَ:

كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ نَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ

قَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ،

لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ،

فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ

قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَصَلَاةٍ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ، فَافْعَلُوا»

***وَمَنْ تَأَوَّلَ ذَلِكَ بَأَنَّ الْمُرَادَ بِـ {إِلَى} مُفْرَدُ الْأَلَاءِ، وَهِيَ النِّعَمُ، كَمَا قَالَ الثَّوْرِيُّ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ:

{إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ} فَقَالَ تَنْتَظِرُ الثَّوَابَ مِنْ رَبِّهَا.

رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ عَنْ مُجَاهِدٍ.

وَكَذَا قَالَ أَبُو صَالِحٍ أَيْضًا -فَقَدْ أَبْعَدَ هَذَا الْقَائِلُ النُّجْعَةَ

وَأَبْطَلَ فِيهَا ذَهَبَ إِلَيْهِ. وَأَيْنَ هُوَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى:

{كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ} ؟ [الْمُطَفِّفِينَ: 15] ،

قَالَ الشَّافِعِيُّ، رَحِمَهُ اللَّهُ: مَا حَجَبَ الْفُجَّارَ إِلَّا وَ قَدْ عِلْمٌ أَنَّ الْأَبْرَارَ يَرَوْنَهُ عَزَّ

وَجَلَّ. ثُمَّ قَدْ تَوَاتَرَتِ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ دَلَّ عَلَيْهِ سِيَاقُ الْآيَةِ

الْكَرِيمَةِ، وَ هِيَ قَوْلُهُ: {إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ}

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: عَنِ الْحَسَنِ: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ}

قَالَ: حَسَنَةً، {إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ}

قَالَ تَنْظُرُ إِلَى الْخَالِقِ، وَ حَقٌّ لَهَا أَنْ تَنْصُرَ وَ هِيَ تَنْظُرُ إِلَى الْخَالِقِ .

و قال في المؤثرين العاجلة على الآجلة:

{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ}

أي: معبسة و مكدرة ، خاشعة ذليلة.

***كالحة

{تَنْظُرُ}

***تستيقن

(أَنْ يَفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةً)

*الميسر: تتوقع أن تنزل بها مصيبة عظيمة، تقصم فقار الظهر.
-أي: عقوبة شديدة، و عذاب أليم، فلذلك تغيرت وجوههم و عبست.

كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴿٣٦﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٣٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٣٨﴾ وَالنَّفْعَ السَّاقِ بِالسَّاقِ ﴿٣٩﴾
إِلَى رَيْكِ يَوْمِئِذٍ السَّاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى ﴿٣١﴾ وَلَكِنْ كَذَّبَ وَقَوْلَى ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى
أَهْلِهِ بِتَمَتُّعٍ ﴿٣٣﴾ أُولَى لَكَ فَأُولَى ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أُولَى لَكَ فَأُولَى ﴿٣٥﴾ أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى
﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى ﴿٣٨﴾
فَعَمَلَ مِنْهُ الْزَوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴿٤٠﴾

(كَلَّا)

*حقاً

(إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ)

يعظ تعالى عباده بذكر حال المحتضر عند السياق ،
و أنه إذا بلغت روحه التراقي،
وهي العظام المكتنفة لشجرة النحر، فحينئذ يشتد الكرب،
*عظام الحلق:الجلالين
و يطلب كل وسيلة و سبب، يظن أن يحصل به الشفاء و الراحة،
و لهذا قال:

(وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ)

أي: من يرقيه من الرقية لأنهم انقطعت آمالهم من الأسباب العادية، فلم يبق إلا الأسباب الإلهية .

و لكن القضاء و القدر، إذا حتم وجاء فلا مرد له،

*** مَنْ طَيِّبٌ شَافٍ

(وَطَنَّ أَنَّهُ الْفَرَّاقُ)

للدنيا .

(وَالْتَفَتَ السَّاقُ بِالسَّاقِ)

*الميسر: و اتصلت شدة آخر الدنيا بشدة أول الآخرة
أي: اجتمعت الشدائد و التفت، و عظم الأمر و صعب الكرب،
-و أريد أن تخرج الروح التي ألفت البدن و لم تنزل معه،
فتساق إلى الله تعالى، حتى يجازيها بأعمالها، و يقررها بفعالها.
-فهذا الزجر، الذي ذكره الله يسوق القلوب إلى ما فيه نجاتها،
و يزجرها عما فيه هلاكها.

و لكن المعاند الذي لا تنفع فيه الآيات،

لا يزال مستمرا على بغيه و كفره و عناده.

(إِلَى رَيْكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ)

***المرجع و المآب

(فَلَا صَدَقَ)

أي: لا آمن بالله و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر و القدر خيره و شره

(وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَكِنْ كَذَّبَ)

بالحق في مقابلة التصديق،

(وَتَوَلَّىٰ)

عن الأمر و النهي، هذا و هو مطمئن قلبه، غير خائف من ربه،

(ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَمِطُطُ)

أي: ليس على باله شيء،

***يختال و قيل يتبختر

*** جَذَا. أَشِرًا بَطَرًا كَسَلَانًا، لَا هِمَّةَ لَهُ وَ لَا عَمَلَ، كَمَا قَالَ:

{وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ} [الْمُطَفِّفِينَ: 34] .

وَقَالَ {إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ}

أي: يَرْجِعَ {بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا} [الْإِنْشِقَاقِ: 13- 15] .

توعده بقوله:

(أَوَّلَىٰ لَكَ فَأَوَّلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوَّلَىٰ لَكَ فَأَوَّلَىٰ)

*الميسر: هلاك لك فهلاك، ثم هلاك لك فهلاك.

و هذه كلمات وعيد، كررها لتكرير وعيده،

*** وَ هَذَا تَهْدِيدٌ وَوَعِيدٌ أَكِيدُ مِنْهُ تَعَالَىٰ لِلْكَافِرِ بِهِ الْمُتَبَخَّرِ فِي مِشْيَتِهِ،

أَيُّ: يَحِقُّ لَكَ أَنْ تَمْشِيَ هَكَذَا وَقَدْ كَفَرْتَ بِخَالِقِكَ وَبَارِئِكَ، كما يقال
فِي مِثْلِ هَذَا عَلَى سَبِيلِ التَّهَكُّمِ وَالتَّهْدِيدِ
هَوْلِهِ: {دُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ} [الدُّخَانُ: 49] .

و كَقَوْلِهِ {كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ} [الْمُرْسَلَاتِ: 46]

وَ هَوْلِهِ {فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ} [الزُّمَرِ: 15] ،

وَ هَوْلِهِ {اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ} [فُصِّلَتْ: 40] . إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ.

*جاء في الصحيح المسند لاسباب النزول

السنن الكبرى للنسائي

1157 - عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: " قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ:

{أَوَّلَى لَكَ فَأَوَّلَى} [القيامة 34]،

قَالَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَ أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ؟ "،

قَالَ: قَالَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ أَنْزَلَهُ اللَّهُ،

ثم ذكر الإنسان بخلقه الأول، فقال:

(أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى)

أي: معطلا ، لا يؤمر و لا ينهى، و لا يثاب و لا يعاقب؟

هذا حسابان باطل و ظن بالله بغير ما يليق بحكمته.

(أَلَمْ يَكْ نُطْفَعُ مِنْ مَنًى)

***أَمَا كَانَ الْإِنْسَانُ نُطْفَةً ضَعِيفَةً مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ،

(يُمنَى)

يُرَاقِي مِنَ الْأَصْلَابِ فِي الْأَرْحَامِ

(ثُمَّ كَانَ)

بعد المني

(عَلَقَةُ)

أي: دما،

* الميسر: ثم صار قطعة من دم جامد

*** ثُمَّ مُضَغَّةٌ، ثُمَّ شَكْلٌ وَنُفِخَ فِيهِ الرُّوحُ،

فَصَارَ خَلْقًا آخَرَ سَوِيًّا سَلِيمَ الْأَعْضَاءِ، ذَكَرًا أَوْ أُنْثَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَتَقْدِيرِهِ؛

وَلِهَذَا قَالَ: {فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى}

(فَخَلَقَ)

الله منها الحيوان

(فَسَوَّى)

و سواه أي: أتقنه و أحكمه،

(فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ)

راجع الاعجب —از العلمي من هنا

الذي خلق الإنسان و طوره إلى هذه الأطوار المختلفة

(بِقَدْرِ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى)

بلى إنه على كل شيء قدير.

*** أَمَا هَذَا الَّذِي أَنْشَأَ هَذَا الْخَلْقَ السَّوِيَّ مِنْ هَذِهِ النُّطْفَةِ الضَّعِيفَةِ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُعِيدَهُ كَمَا بَدَأَهُ؟

و تناولُ القُدْرَةِ لِلْإِعَادَةِ إِمَّا بِطَرِيقِ الْأَوَّلَى بِالنَّسْبَةِ إِلَى الْبَدَاءَةِ،
وَ إِمَّا مُسَاوِيَّةً عَلَى الْقَوْلَيْنِ فِي قَوْلِهِ:

{وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ} [الروم: 27].

*** مصنف عبد الرزاق الصنعاني

4051 عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ،

أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَرَأَ: {أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى} [القيامة: 40]

قَالَ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ بَلَى»،

وَ إِذَا قَرَأَ: سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى قَالَ: «سُبْحَانَ رَبِّي الْأَعْلَى

مصنف عبد الرزاق الصنعاني

4052 - عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أُمِيَّةَ،

○ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا قَرَأَ التَّيْنِ، وَبَلَغَ:

{أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ} [التين: 8]

قَالَ: «بَلَى»،

○ وَ إِذَا قَرَأَ: {أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى} [القيامة: 40]

قَالَ: «بَلَى»،

○ وَ إِذَا قَرَأَ: {فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ} [المرسلات: 50]،

وَ هَذَا أَنْزَلَ أَوْ قَالَ: «آمَنَّا بِاللَّهِ وَ هَذَا أَنْزَلَ»

تفسير سورة هل أتى على الإنسان - وهي مكية

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ:

«كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْجُمُعَةِ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ
الْمُتَنَزِّلُ السَّجْدَةَ، وَ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾

إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾

إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾

(هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا)

ذكر الله في هذه السورة الكريمة أول حالة الإنسان و مبتدأها و متوسطها
و منتهائها.

فذكر أنه مر عليه دهر طويل و هو الذي قبل وجوده،

و هو معدوم بل ليس مذكوراً.

*الميسر: قد مضى على الإنسان وقت طويل من الزمان

قبل أن تُنْفَخَ فيه الروح، لم يكن شيئاً يُذكر،

و لا يُعرف له أثر.

○ ثم لما أراد الله تعالى خلقه، خلق أباه آدم من طين،

ثم جعل نسله متسلسلاً

(إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ)

أي: ماء مهين مستقذر
***أخلاق و المَشْجُ و المَشِيْجُ: الشَّيْءُ الخَلِيطُ ، بَعْضُهُ فِي بَعْضٍ.

(بِتَلْكِهِ)

بذلك لنعلم هل يرى حاله الأولى و يتفطن لها أم ينساها و تغره نفسه؟
***نختبره كَهَوْلِهِ: {لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} [المُلْك: 2]

(فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا)

فأنشأه الله، و خلق له القوى الباطنة و الظاهرة،
كالسمع و البصر، و سائر الأعضاء،
فأتمها له و جعلها سالمة يتمكن بها من تحصيل مقاصده.
***جَعَلْنَا لَهُ سَمْعًا وَ بَصَرًا يَتَمَكَّنُ بِهِمَا مِنَ الطَّاعَةِ وَ الْمَعْصِيَةِ.

(إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا)

ثم أرسل إليه الرسل، و أنزل عليه الكتب، و هداه الطريق الموصلة إلى الله ،
و رَغَّبَهُ فيها، و أخبره بما له عند الوصول إلى الله.
ثم أخبره بالطريق الموصلة إلى الهلاك، و رهبه منها،
و أخبره بما له إذا سلكها، و ابتلاه بذلك، فانقسم الناس إلى:-

1- شاكر لنعمة الله عليه، قائم بما حملة الله من حقوقه،

2- و إلى كفور لنعمة الله عليه، أنعم الله عليه بالنعمة الدينية و الدنيوية،

فردھا، و کفر برہ، و سلك الطريق الموصلة إلى الهلاك.
*** بَيَّنَّاهُ لَهُ وَ وَضَّحْنَاهُ وَ بَصَّرْنَاهُ بِهِ،

قَوْلِهِ: {وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى} [فُصِّلَتْ: 17] ،

وَ قَوْلِهِ: {وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ} [الْبَلَد: 10] ،

أَي: بَيَّنَّا لَهُ طَرِيقَ الْخَيْرِ وَ طَرِيقَ الشَّرِّ.

ثم ذكر تعالى حال الفريقين عند الجزاء فقال:

إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾

إِنَّ الْأَبْتَرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾

(5 - 22) . إلى آخر الثواب

(إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ)

***يُخْبِرُ تَعَالَى عَمَّا أَرْصَدَهُ لِلْكَافِرِينَ مِنْ خَلْقِهِ بِهِ مِنَ السَّلَاسِلِ وَ الْأَغْلَالِ
وَ السَّعِيرِ، وَ هُوَ اللَّهَبُ وَ الْحَرِيقُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، كَمَا قَالَ:

{إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ}
[غَافِرٍ: 71، 72] .

-أي: إنا هيأنا و أَرَصَدْنَا لِمَن كَفَرَ بِاللَّهِ، وَ كَذَبَ رِسْلَهُ، وَ تَجَرَّأَ عَلَى الْمَعَاصِي

(سَلَاسِلًا) (في نار جهنم، كما قال تعالى:

{ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ} [الحاقة: 32].

(وَأَغْلَالًا)

تغل بها أيديهم إلى أعناقهم ويوثقون بها.

(وَسَعِيرًا)

أي: نارا تستعر بها أجسامهم و تحرق بها أبدانهم،

{كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ} [النساء: 56]
و هذا العذاب دائم لهم أبدا، مخلدون فيه سرمدا.

(إِنَّ الْأَبْرَارَ)

و هم الذين برت قلوبهم بما فيها من محبة الله و معرفته، و الأخلاق الجميلة،
فبرت جوارحهم ، و استعملوها بأعمال البر أخبر أنهم

(يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ)

أي: شراب لذيذ من خمر

(كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا)

قد مزج بكافور أي: خلط به ليبرده و يكسر حدته،

و هذا الكافور في غاية اللذة قد سلم من كل مكدر و منغص
موجود في كافور الدنيا،

فإن الآفة الموجودة في الأسماء التي ذكر الله أنها في الجنة و هي في الدنيا
تعدم في الآخرة .

كما قال تعالى:

{ فِي سِدْرِ مَخْضُودٍ (28) وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ } [الواقعة: 28، 29]

{ وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ } [آل عمران: 15]

{ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [الأنعام: 127]

{ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصَحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ } [الزخرف: 71].

*الاعجاز في ((فجعل منه الزوجين الذكر و الانثي))

راجع مجلة الاعجاز العلمي

<http://www.eajaz.org/index.php/Scientific-Miracles/Medicine-and-Life-Sciences/212-Pause-with>

النطف الذكورية تحمل مواصفات تحديد جنس الأجنة؛ يقول الحق تبارك وتعالى في سورة النجم:

(وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى * مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى)

وكذلك في سورة القيامة:

(أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكْ نُطْفَقْهُ مِّن مَّنًى يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ فَخَلَقَ فَسَوَّى * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى * أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُخَيِّقَ الْمَوْتَ).

من المعلوم في الوقت الحاضر أن النطفة الذكورية والأنثوية للإنسان تحتوي كل واحدة منها على نصف العدد (2B فرداً) من الأجسام الصبغية أو الكروموسومات التي تحمل المورثات فعندما

يتم الإخصاب بينهما و يتكون منهما أول خلية للجنين يتكون العدد الثنائي (2B زوجاً) و هو العدد الحقيقي للأجسام الصبغية في كل خلية من خلايا الإنسان.

كما توصل العلماء في العصر الحديث إلى معرفة أن مني الرجل يحمل نوعين من الأمشاج:

١ - الحيوانات المنوية التي تحمل الصبغى Y الذي يؤدي إلى الذكورة

٢ - و النوع الآخر X يحمل الصبغى الذي يؤدي إلى أن يكون جنس الجنين أنثى إذا ما أخصب أي منهما البويضة و قدر لها أن يتكون منها الجنين. حيث يكون التركيب الوراثي للصبغيات الجنسية (الكروموسومات الجنسية) في الجنين

الذكر هي (XY) و للإنثى (XX)

و لعل الأعرابية أدركت أن الرجل هو الذي يحمل مسببات الذكورة والأنوثة للذرية الناتجة عندما كانت تعاتب زوجها الذي غاضبها لتكرار ولادتها الإناث — فقالت:

ما لأبي حمزة لا يأتينا

يظل في البيت الذي يلينا

غضبان ألا نلد البنينا

تأله ما ذك في أيدنا
ونحن كالأرض لزارعنا
نبت ما قد بذروه فينا

عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِالْإِذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَطَطِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَّعْنَاهُمُ اللَّهَ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّعْنَاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَّعْنَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرُونَ فِيهَا شُمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ أَقْطُوفُهَا نَذِيرًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِبَاقِيَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَؤُوسٌ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنَا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ وَيُطَوَّفُ عَلَيْهِمْ وَلَدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنشُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَلَيْهِمْ يَابُوسٌ سُنْدُسٌ خُضَرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوْا أَسَاوِرَ مِّنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُم جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَطْعَمْ مِنْهُمْ إِثْمًا أَوْ كُفُورًا ﴿٢٤﴾ وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾

عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِالْإِذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ ﴿٨﴾ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَطَطِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَّعْنَاهُمُ اللَّهَ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّعْنَاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَّعْنَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرُونَ فِيهَا شُمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا

وَذَلَّلَتْ قُطُوفُهَا نَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ ثَانِيَةً مِّنْ فَضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرًا مِّنْ

فِضَّةٍ قَدَرُوهَا نَقِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ﴿١٧﴾

عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾

(عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ)

أي: ذلك الكأس اللذيذ الذي يشربون به، لا يخافون نفاده،

بل له مادة لا تنقطع، و هي عين دائمة الفيضان والجريان،

*** أَي: هَذَا الَّذِي مُزِجَ لَهُؤُلَاءِ الْأَبْرَارِ مِنَ الْكَافُورِ هُوَ عَيْنٌ يَشْرَبُ بِهَا

الْمُقَرَّبُونَ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ صَرَفًا بِلَا مَزْجٍ وَ يَرَوُونَ بِهَا؛

قَالَ بَعْضُهُمْ: هَذَا الشَّرَابُ فِي طَبِيبِهِ كَالْكَافُورِ.

وَ قَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ مِنْ عَيْنٍ كَافُورٍ.

وَ قَالَ بَعْضُهُمْ: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَنْصُوبًا بِـ {يَشْرَبُ}

(يَفْجَرُونَهَا تَفْجِيرًا)

يفجرها عباد الله تفجيرًا، أنى شاءوا، و كيف أرادوا،

فإن شاءوا صرفوها إلى البساتين الزاهرات،

أو إلى الرياض الناضرات،

أو بين جوانب القصور و المساكن المزخرفات،

أو إلى أي: جهة يرونها من الجهات المونقات.

*** وَ لِتَفْجِيرٍ هُوَ الْإِنْبَاعُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا} [الإِسْرَاءِ: 90] .
وَقَالَ: {وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا} [الْكَهْفِ: 33] .

—و قد ذكر جملة من أعمالهم في أول هذه السورة، فقال:

(يُؤْفُونَ بِالْأَنْذَرِ)

أي: بما أَلْزَمُوا به أنفسهم لله من النذور و المعاهدات،
و إذا كانوا يوفون بالندر، و هو لم يجب عليهم، إلا بإيجابهم على أنفسهم،
كان فعلهم و قيامهم بالفروض الأصلية، من باب أولى و أخرى،
*** صحيح البخاري

6696 - عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:
«مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعْهُ، وَ مَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَهُ فَلَا يَعْصِهِ» ()

(وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَتْ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا)

أي: منتشرا فاشيا، فخافوا أن ينالهم شره، فتركوا كل سبب موجب لذلك،

وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ

*** كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ} [البَقَرَة: 177] ، وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى:
{لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ} [آلِ عِمْرَانَ: 92] .

أي: و هم في حال يحبون فيها المال و الطعام،

(أن يطيع الله) نذر فعلا فيه طاعة. (أن يعصيه) نذر فعلا فيه معصية]

لكنهم قدموا محبة الله على محبة نفوسهم،
و يتحرون في إطعامهم أولى الناس و أحوجهم

*** صحيح البخاري

1419 - عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ:

جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الصَّدَقَةِ أَعْظَمُ أَجْرًا؟
قَالَ: «أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ تَخْشَى الْفَقْرَ، وَ تَأْمُلُ الْغِنَى،
و لَا تَهْمُلُ حَتَّى إِذَا بَلَغْتَ الْحُلُقُومَ،
قُلْتَ لِفُلَانٍ كَذَا، وَ لِفُلَانٍ كَذَا وَقَدْ كَانَ لِفُلَانٍ» ()

(مُسْكِينًا وَبَيْتِمًا وَأَسِيرًا)

و يقصدون بإنفاقهم و إطعامهم وجه الله تعالى، و يقولون بلسان الحال:

(إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا)

(صحيح) ليس فيك مرض أو علة تقطع أملك في الحياة.

(شحيح) من شأنك الشح وهو البخل مع الحرص.

(تخشى الفقر) تخافه وتحسب له حسابا.

(تأمل) تطمع وترجو.

(تهمل) تؤخر.

(بلغت الحلقوم) قاربت الروح الحلق والمراد شعرت بقرب الموت.

(لفلان كذا) أخذت توصي وتتصدق.

(وقد كان لفلان) وقد أصبح مالك ملكا لغيرك وهم وراثتك]

أي: لا جزاء ماليا و لا ثناء قوليا.
*** قَالَ مُجَاهِدٌ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ:
أَمَّا وَ اللَّهِ مَا قَالُوهُ بِأَلْسِنَتِهِمْ،
وَ لَكِنْ عَلِمَ اللَّهُ بِهِ مِنْ قُلُوبِهِمْ،
فَأَثْنَى عَلَيْهِمْ بِهِ لِيَرْغَبَ فِي ذَلِكَ رَاغِبٌ.
(إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا)

أي: شديد الجهمة و الشر
(فَقَطَرِيرًا)

أي: ضنكا ضيقا،

(فَوَقَّعَهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ)

فلا يحزنهم الفرع الأكبر، و تتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون
(وَلَقَّعَهُمْ)

أي: أكرمهم و أعطاهم

(نَضْرَةً)

في وجوههم

(وَسُرُورًا)

في قلوبهم، فجمع لهم بين نعيم الظاهر و الباطن

* * * كقوله {وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ * صَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ} [عَبَسَ: 38، 39]

صحيح البخاري

3556 - عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ، قَالَ: سَمِعْتُ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ،

يُحَدِّثُ حِينَ تَخَلَّفَ عَنْ تَبُوكَ،

قَالَ: فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا سَرَّ اسْتَتَارَ وَجْهُهُ،

حَتَّى كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ "

(وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا)

1- على طاعة الله، فعملوا ما أمكنهم منها،

2- و عن معاصي الله، فتركوها،

3- و على أقدار الله المؤلمة، فلم يتسخطوها،

(جَنَّةٌ)

جامعة لكل نعيم، سالمة من كل مكدر و منغص،

(وَحَرِيرًا)

كما قال تعالى: {وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ} [الحج: 23]

و لعل الله إنما خص الحرير، لأنه لباسهم الظاهر، الدال على حال صاحبه.

(مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ^ط)

الالتكاء:-

التمكن من الجلوس، في حال الرفاهية و الطمأنينة الراحة
و الأرائك هي السرر التي عليها اللباس المزين،

(لَا يَرَوْنَ فِيهَا)

أي: في الجنة

(شَمْسًا)

يضرهم حرها

(وَلَا زَمَهَرِيرًا)

أي: بردا شديدا، بل جميع أوقاتهم في ظل ظليل،
لا حر و لا برد، بحيث تلتذ به الأجساد، و لا تتألم من حر و لا برد.

(وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا)

أي: قربت ثمراتها من مريدها تقريبا ينالها، و هو قائم، أو قاعد، أو مضطجع.

*** {وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ} [الرَّحْمَنِ: 54]

وَ قَالَ تَعَالَى {قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ} [الْحَاقَّة: 23]

(وَيُطَافُ)

على أهل الجنة

أي: يدور عليهم الخدم و الولدان

(عَلَيْهِمْ بِأَنِيَّةٍ مِّنْ فِضَّةٍ)

أي: مادتها من فضة، و هي على صفاء القوارير، و هذا من أعجب الأشياء،
أن تكون الفضة الكثيفة من صفاء جوهرها و طيب معدنها على صفاء
القوارير.

(وَأَكْوَابُ كَانَتْ قَوَارِيرًا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ)

***وَأَكْوَابُ الشَّرَابِ وَ هِيَ الْكِزَانُ الَّتِي لَا عُرَى لَهَا وَ لَا خَرَاطِيمَ.
بَيَاضُ الْفِضَّةِ فِي صَفَاءِ الزُّجَاجِ،
وَالْقَوَارِيرُ لَا تَكُونُ إِلَّا مِنْ زُجَاجٍ.
فَهَذِهِ الْأَكْوَابُ هِيَ مِنْ فِضَّةٍ،
وَ هِيَ مَعَ هَذَا شَفَافَةٌ يُرَى مَا فِي بَاطِنِهَا مِنْ ظَاهِرِهَا،
وَ هَذَا مِمَّا لَا نَظِيرَ لَهُ فِي الدُّنْيَا.

(قَدَرُوهَا نَقْدِيرًا)

أي: قدروا الأواني المذكورة على قدر ربيهم

لا تزيد و لا تنقص،

لأنها لو زادت نقصت لذاتها، و لو نقصت لم تف بريهم .

و يحتمل أن المراد:

—قدرها أهل الجنة بنفوسهم بمقدار يوافق لذاتهم،

فأنتهم على ما قدروا في خواطرهم.

(وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا)

أي: في الجنة من كأس، و هو الإناء المملوء من خمر و رحيق،

(كَانَ مِنْ أَمْرِهَا)

أي: خلطها

(زَنْجَبِيلًا)

ليطيب طعمه و ريحه.

*** فَتَارَةً يُمَزَجُ لَهُمُ الشَّرَابُ بِالْكَافُورِ وَ هُوَ بَارِدٌ،

وَ تَارَةً بِالزَّجْبِيلِ وَ هُوَ حَارٌّ،

لِيَعْتَدِلَ الْأَمْرُ، وَ هَؤُلَاءِ يُمَزَجُ لَهُمْ مِنْ هَذَا تَارَةً وَ مِنْ هَذَا تَارَةً.

وَ أَمَّا الْمُقَرَّبُونَ فَإِنَّهُمْ يَشْرَبُونَ مِنْ كُلِّ مِنْهُمَا صِرْفًا،

(عَيْنًا فِيهَا)

أي: في الجنة،

(تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا)

سميت بذلك لسلاستها و لذتها و حسنها.

^ط (وَيَطُوفُ)

على أهل الجنة، في طعامهم و شرابهم و خدمتهم.

(عَلَيْهِمْ وَلَدَانٌ مُّخَلَّدُونَ)

أي: خلقوا من الجنة للبقاء، لا يتغيرون و لا يكبرون، و هم في غاية الحسن،

(إِذَا رَأَيْتَهُمْ)

منتشرين في خدمتهم

(حَسِبْنَاهُمْ)

من حسنهم

(لَوْ لَوْأَمْشُورًا)

و هذا من تمام لذة أهل الجنة، أن يكون خدامهم الولدان المخلدون،
الذين تسر رؤيتهم، و يدخلون على مساكنهم، آمنين من تبعثهم،
و يأتونهم بما يدعون و تطلبه نفوسهم،

(وَلِإِذَا رَأَيْتَهُمْ)

أي: هناك في الجنة، ورمقت ما هم فيه من النعيم

(رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمَلَكًا كَبِيرًا)

*** مَمْلَكَةً لِلَّهِ هُنَاكَ عَظِيمٌ 0 وَ سُلْطَانًا بَاهِرًا

○ فتجد الواحد منهم، عنده من القصور و المساكن و الغرف المزينة
المزخرفة،

ما لا يدركه الوصف، و لديه من البساتين الزاهرة، و الثمار الدانية، و الفواكه
اللذيذة، و الأنهار الجارية، و الرياض المعجبة، و الطيور المطربة المشجية
ما يأخذ بالقلوب، و يفرح النفوس.

○ و عنده من الزوجات، اللاتي هن في غاية الحسن و الإحسان، الجامعات
لجمال الظاهر و الباطن، الخيرات الحسان،

ما يملأ القلب سرورا، و لذة و حورا، و حوله من الولدان المخلدين،
و الخدم المؤيدين، ما به تحصل الراحة و الطمأنينة، و تتم لذة العيش،
و تكمل الغبطة.

ثم علاوة ذلك و أعظمه الفوز برؤية الرب الرحيم
و سماع خطابه، و لذة قربهِ، و الابتهاج برضاه، و الخلود الدائم،
و تزايد ما هم فيه من النعيم كل وقت و حين،
فسبحان الملك المالك، الحق المبين، الذي لا تنفذ خزائنه، و لا يقل خيره،
فكما لا نهاية لأوصافه فلا نهاية لبره و إحسانه.

*** صحيح البخاري

7511 - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
" إِنَّ آخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ،
وَ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنَ النَّارِ

رَجُلٌ يَخْرُجُ حَبَوًّا، فَيَقُولُ لَهُ رَبُّهُ:
ادْخُلِ الْجَنَّةَ،

فَيَقُولُ: رَبِّ الْجَنَّةِ مَلَأَى،
فَيَقُولُ لَهُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ،
فَكُلُّ ذَلِكَ يُعِيدُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ مَلَأَى
فَيَقُولُ: إِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا عَشَرَ مَرَّارٍ "

(عَلَيْهِمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٍ وَإِسْتَبْرَقٌ)

أي: قد جللتهم ثياب السندس و الإستبرق الأخضران،

اللذان هما أجل أنواع الحرير،

فالسندس: ما غلظ من الديباج

و الإستبرق: ما رق منه.

*الميسر: يعلوهم و يجمال أبدانهم ثياب بطائنهما من الحرير
الرقيق الأخضر، و ظاهرها من الحرير الغليظ،

(وَحُلُوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ)

أي: حلوا في أيديهم أساور الفضة، ذكورهم و إناثهم،

و هذا وعد وعدهم الله، و كان وعده مفعولا لأنه لا أصدق منه قيلا و لا
حديثا.

*** وَ هَذِهِ صِفَةُ الْأَبْرَارِ،

وَأَمَّا الْمُقَرَّبُونَ فَمَكَّمَا قَالَ:

{يُحَلَّلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ} [الْحَجَّ: 23]
و قوله:

(وَسَقَّيْنَاهُمْ رَيْبَهُمْ شَرَابًا طَهُورًا)

* الجزائري: هذا غير ما ذكر فيما تقدم هذا إكرام خاص
و هو أن الله تعالى هو الذي يسقيهم
و أن هذا الشراب بالغ مبلغا عظيما في الطهارة لوصفه بالطهور
أي: لا كدر فيه بوجه من الوجوه، مطهرا لما في بطونهم من كل أذى و قذى.

(إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً)

الجزاء الجزيل و العطاء الجميل على ما أسلفتموه من الأعمال،

(وَكَانَ سَعْيُكُمْ مُشْكُورًا)

أي: القليل منه، يجعل الله لكم به من النعيم المقيم ما لا يمكن حصره.
و قوله تعالى لما ذكر نعيم الجنة

*** {كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ} [الْحَاقَّة: 24]

وَقَهْوِيلِهِ: {وَنُودُوا أَنَّ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}
[الْأَعْرَاف: 43]

(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا)

فيه الوعد و الوعيد و بيان كل ما يحتاجه العباد،
و فيه الأمر بالقيام بأوامره و شرائعه أتم القيام، و السعي في تنفيذها،
و الصبر على ذلك. و لهذا قال:

(فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ مِنْهُمْ)

أي: اصبر:

1- لحكمه القدري، فلا تسخطه،

2- و لحكمه الديني، فامض عليه، و لا يعوقك عنه عائق.

(وَلَا تَطْغَ)

من المعاندين، الذين يريدون أن يصدوك

(ءِثْمًا)

أي: فاعلا إثمًا و معصية

(أَوْ كُفْرًا)

***الكافر في قلبه

فإن طاعة الكفار و الفجار و الفساق، لا بد أن تكون في المعاصي،
فلا يأمرهم إلا بما تهواه أنفسهم.

و لما كان الصبر يساعده القيام بعبادة الله ، و الإكثار من ذكره،
أمره الله بذلك، فقال:

(وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا)

أي: أول النهار و آخره

فدخل في ذلك، الصلوات المكتوبات و ما يتبعها من النوافل، و الذكر،
و التسبيح، و التهليل، و التكبير في هذه الأوقات.

*** كَقَوْلِهِ:

{وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا}

[الْإِسْرَاءِ: 79]

وَ هَوْلِهِ:

{يَا أَيُّهَا الْمَزْمُلُ فَمِ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ

الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا} [الْمَزْمَلِ: 1-4] .

وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذُرُونَ
وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا
﴿٢٨﴾ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾

من الرحيم سورة المرسلات - بسم الله الرح

﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ ﴿١﴾ فَأَلْصَقْنَ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَالنَّشْرِ تَشْرًا ﴿٣﴾ فَأَلْفَزْنَ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَأَلْمَقْنَ قِطْعًا
﴿٥﴾ عُدْرًا أَوْ نَذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تَوْعَدُونَ لَوْفِعٌ ﴿٧﴾ فَإِذَا التَّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ
﴿٩﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْنَتْ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوْمٍ أُحِلَّتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَا
أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمْ تَنْهَكَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُنَبِّئُهُمْ
الْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾

وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ
وَيَذُرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا
أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا
تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ
وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾

(وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ)

أي: أكثر له من السجود، و لا يكون ذلك إلا بالإكثار من الصلاة .

(وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا)

وقد تقدم تقييد هذا المطلق بقوله:

{يَا أَيُّهَا الْمَزْمِلُ 1 فَمِ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا} [المزمل: 1، 2]

(إِنَّ هَؤُلَاءِ)

أي: المكذبين لك أيها الرسول بعد ما بينت لهم الآيات، و رغبوا و رهبوا،
و مع ذلك، لم يفد فيهم ذلك شيئاً، بل لا يزالون

(يُحِبُّونَ)

يؤثرون،

(الْعَاجِلَةَ)

و يطمئنون إليها،

***الدنيا

(وَيَذَرُونَ)

أي: يتركون العمل و يهملون

(وَرَاءَهُمْ)

أي: أمامهم

(يَوْمًا نَقِيلًا)

و هو يوم القيامة، الذي مقداره خمسون ألف سنة مما تعدون، و قال تعالى:

{ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِيرٌ } [القمر: 8]

فكانهم ما خلقوا إلا للدنيا و الإقامة فيها.

ثم استدل عليهم و على بعثهم بدليل عقلي، و هو دليل الابتداء، فقال:

(نَحْنُ خَلَقْنَهُمْ)

أي: أوجدناهم من العدم،

(وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ)

أي: أحكمنا خلقتهم بالأعصاب، و العروق، و الأوتار، و القوى الظاهرة و الباطنة،

حتى تم الجسم و استكمل، و تمكن من كل ما يريد،

فالذي أوجدهم على هذه الحالة، قادر على أن يعيدهم بعد موتهم لجزائهم،

و الذي نقلهم في هذه الدار إلى هذه الأطوار، لا يليق به أن يتركهم سدى،

لا يؤمرون، و لا ينهون، و لا يثابون، و لا يعاقبون،

و لهذا قال: (وَلِذَا شِئْنَا بَدَلْنَا أَمْثَلَهُمْ بَدِيلًا)

أي: أنشأناكم للبعث نشأة أخرى، و أعدناكم بأعيانكم،

و هم بأنفسهم أمثالهم.

***كقوله {إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَئِيهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ

قَدِيرًا } [النساء: 133]

* { إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ 16 وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ }

[فاطر: 16، 17]

(إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ^ط)

أي: يتذكر بها المؤمن، فينتفع بما فيها من التخويف و الترغيب.

(فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا)

أي: طريقا موصلا إليه، فالله يبين الحق و الهدى،

ثم يخير الناس بين الاهتداء بها

أو النفور عنها، مع قيام الحجة عليهم ،

(وَمَا تَشَاءُونَ)

فإن مشيئة الله نافذة،

*** لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَهْدِيَ نَفْسَهُ، وَلَا يَدْخُلَ فِي الْإِيمَانِ وَلَا يُجْرَ لِنَفْسِهِ

نَفْعًا

(إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا)

***عَلِيمٌ مِّنْ يَّسْتَحِقُّ الْهَدَايَةَ فَيَسِّرَهَا لَهُ، وَ يَقَيِّضُ لَهُ أَسْبَابَهَا،

وَمَنْ يَّسْتَحِقُّ الْغَوَايَةَ فَيَصْرِفُهُ عَنِ الْهُدَى

(حَكِيمًا)

فله الحكمة في هداية المهتدي، و إضلال الضال.

(يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ)

فيختصه بعنايته، و يوفقه لأسباب السعادة و يهديه لطرقها.

(وَالظَّالِمِينَ)

الذين اختاروا الشقاء على الهدى

(أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا)

بظلمهم و عدوانهم .

تفسير سورة المرسلات

وهي مكية

***صحيح البخاري

1830 - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ:

بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَارٍ مِنِّي، إِذْ نَزَلَ عَلَيْهِ:

وَالْمُرْسَلَاتِ وَإِنَّهُ لَيَتْلُوهَا،

وَإِنِّي لَأَتْلُقَاهَا مِنْ فِيهِ،

وَإِنَّ فَاهُ لَرَطْبٌ بِهَا إِذْ وَثَبَتْ عَلَيْنَا حَيَّةٌ،

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَقْتُلُوهَا»،

فَابْتَدَرْنَاهَا، فَذَهَبَتْ،

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وُقِيَتْ شَرَّكُمْ كَمَا وُقِيْتُمْ شَرَّهَا» ()

صحيح البخاري 763 -

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ أُمَّ الْفَضْلِ سَمِعَتْهُ وَهُوَ يَقْرَأُ:
{وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا} [المرسلات: 1]

فَقَالَتْ: يَا بُنَيَّ، وَاللَّهِ لَقَدْ ذَكَّرْتَنِي بِقِرَاءَتِكَ «هَذِهِ السُّورَةُ،
إِنَّهَا لِأَخِرُ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَقْرَأُ بِهَا فِي الْمَغْرِبِ»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ① فَالْعَصْفَاءُ ② وَالنَّشْرِتِ نَشْرًا ③ فَالْفَرْقَتِ فَرْقًا ④
فَالْمَلَقِيَتِ ذِكْرًا ⑤ عُدْرًا أَوْ نُذْرًا ⑥ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَفِّعُ ⑦ فَإِذَا التَّجُومُ طُمِسَتْ ⑧
وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ⑨ وَإِذَا الْجِبَالُ سُفِفَتْ ⑩ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِنَتْ ⑪ لِأَيِّ يَوْمٍ أُخِّلَتْ ⑫
لِيَوْمِ الْفَصْلِ ⑬ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ⑭ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ⑮ أَلَمْ تُهْلِكِ
الْأَوَّلِينَ ⑯ ثُمَّ نَتَّبِعُهُمُ الْآخِرِينَ ⑰ كَذَلِكَ نَفْعِلُ بِالْمُجْرِمِينَ ⑱
وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ⑲

(وَالْمُرْسَلَاتِ)

أقسم تعالى على البعث والجزاء بالأعمال ، بالمرسلات عرفا،

(والمرسلات) أي سورة والمرسلات.

(لرطب بها) لم يجف ريقه من قراءتها.

(فابتدرونها) أسرعنا إلى أخذها وقتلها]

و هي الملائكة التي يرسلها الله تعالى بشئونه:

١ - القدريّة و تدبير العالم،

٢ - و بشئونه الشرعية

٣ - و وحيه إلى رسله.

و (عُرْفًا) حال من المرسلات

أي: أرسلت بالعرف و الحكمة و المصلحة، لا بالنكر و العبث.

(فَالْعَصْفَتِ عَصْفًا)

و هي أيضا :

١ - الملائكة التي يرسلها الله تعالى وصفها بالمبادرة لأمره،

و سرعة تنفيذ أوامره، كالريح العاصف،

2-أو: أن العاصفات، الرياح الشديدة، التي يسرع هبوبها.

(وَالنَّشْرَتِ نَشْرًا)

يَحْتَمَلُ أَنَّهَا

1-الملائكة ، تنشر ما دبرت على نشره،

2-أو أنها السحاب التي ينشر بها الله الأرض، فيحييها بعد موتها.

(فَالْفَرَقَتِ فَرَقًا)

***فَإِنَّهَا تَنْزِلُ بِأَمْرِ اللَّهِ عَلَى الرُّسُلِ،

تُفَرِّقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالْهُدَى وَالْغَيِّ، وَالْحَلَالَ وَالْحَرَامَ،
وَتُلْقِي إِلَى الرُّسُلِ وَحْيًا فِيهِ إِعْذَارٌ إِلَى الْخَلْقِ،
وإِنْذَارٌ لَهُمْ عِقَابَ اللَّهِ إِنْ خَالَفُوا أَمْرَهُ.

(فَالْمَلِئَتِ ذِكْرًا)

هي الملائكة تلقي أشرف الأوامر، و هو الذكر الذي يرحم الله به عباده،
و يذكرهم فيه منافعهم و مصالحهم، تلقيه إلى الرسل.

(عَذْرًا أَوْ نَذْرًا)

أي: إعذارا و إنذارا للناس، تنذر الناس ما أمامهم من المخاوف
و تقطع معذرتهم ، فلا يكون لهم حجة على الله.

(إِنَّمَا تُوعَدُونَ)

من البعث و الجزاء على الأعمال

(لَوْ قَعٌ)

أي: متحتم وقوعه، من غير شك و لا ارتياب.
فإذا وقع حصل من التغير للعالم و الأهوال الشديدة ما يزعج القلوب،
و تشتد له الكروب،

(فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ)

فتطمس النجوم أي: تتناثر و تزول عن أماكنها

*** ذهب ضوءها —————

كَقَوْلِهِ: {وَإِذَا الشُّجُومُ انْكَدَرَتْ} [التَّكْوِير: 2]
وَكَقَوْلِهِ: {وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ} [الْإِنْفِطَار: 2] .

(وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ)

***انْفَطَرَتْ وَ انْشَقَّتْ، وَ تَدَلَّتْ أَرْجَاؤُهَا، وَ وَهَتْ أَطْرَافُهَا.

(وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ)

وتنسف الجبال، فتكون كالهباء المنثور

و تكون هي و الأرض قاعا صفصفا،

لا ترى فيها عوجا و لا أمتا،

***كَقَوْلِهِ: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا}

لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا} [طه: 105 - 107]

وَقَالَ تَعَالَى:

{وَيَوْمَ نُسِِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا}

[الْكَهْف: 47]

(وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْنَتْ)

* جُمِعَتْ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ} [الْمَائِدَة: 109] .

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: {أَقْنَتْ} أَجَلَتْ.

و ذلك اليوم هو اليوم الذي أقنت فيه الرسل،

و أجلت للحكم بينها و بين أممها، و لهذا قال:

(لَا يَوْمَ يُجَالَتْ)

استفهام للتعظيم و التفخيم و التهويل .
ثم أجاب بقوله:

(لِيَوْمِ الْفَصْلِ)

أي: بين الخلائق، بعضهم لبعض، و حساب كل منهم منفردا،

(وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ)

ثم توعده المكذب بهذا اليوم فقال:

(وَلِيَوْمِذٍ الْمُكَذِّبِينَ)

أي: يا حسرتهم، و شدة عذابهم، و سوء منقلبهم، أخبرهم الله،
و أقسم لهم، فلم يصدقوه، فاستحقوا العقوبة البليغة.

(أَلَمْ تَهْلِكِ الْأَوَّلِينَ)

أي: أما أهلكنا المكذبين السابقين،

(ثُمَّ نَتَّبِعُهُمُ الْآخِرِينَ)

ثم نتبعهم بإهلاك من كذب من الآخرين

***ممن اشبههم لذلك قال:

(كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ)

و هذه سنته السابقة و اللاحقة في كل مجرم لا بد من عذابه ،

فلم لا تعتبرون بما ترون و تسمعون؟

(وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ)

بعدها شاهدوا من الآيات البينات، و العقوبات و المثالات.

أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَدِيرُونَ
 ﴿٢٣﴾ وَيَلَّيْلُ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ
 شِمَاجِدَ وَأَسْقَيْنَكُم مَّاءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيَلَّيْلُ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾ أَنْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ
 ﴿٢٩﴾ أَنْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَا ظِلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ الْهَبِّ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرِّ
 كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُ مِمْلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَلَّيْلُ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا
 يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْدِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيَلَّيْلُ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِنْ
 كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا ﴿٣٩﴾ وَيَلَّيْلُ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ الْمُنَاقِبَ فِي ظُلُلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوْكَهَ
 مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُّوْا وَأَشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيَلَّيْلُ
 يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُّوْا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ تُجْرَمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيَلَّيْلُ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا
 قِيلَ لَهُمْ أَرْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيَلَّيْلُ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾

فِي آيِ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾

أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿٢٢﴾
 فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَدِيرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيَلَّيْلُ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾

(أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ)

أي: أما خلقناكم أيها الآدميون

(مِنْ مَّاؤِ مِهِينٍ)

أي: في غاية الحقارة، خرج من بين الصلب و الترائب، حتى جعله الله
*** مسند أحمد ط الرسالة

17842 - عَنْ بُسْرِ بْنِ جَحَّاشٍ الْقُرَشِيِّ،

أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَزَقَ يَوْمًا فِي كَفِّهِ، فَوَضَعَ عَلَيْهَا أُصْبَعَهُ، ثُمَّ قَالَ:
" قَالَ اللَّهُ: ابْنُ آدَمَ أَنِّي تُعْجِزُنِي وَ قَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ،
حَتَّى إِذَا سَوَّيْتُكَ وَ عَدَلْتُكَ، مَشَيْتَ بَيْنَ بُرْدَيْنِ وَ لِلْأَرْضِ مِنْكَ وَئِيدٌ،
فَجَمَعْتَ وَ مَنَعْتَ، حَتَّى إِذَا بَلَغْتَ التَّرَاقِي،
قُلْتُ: أَتَصَدَّقُ، وَ أَنَّى أَوَانُ الصَّدَقَةِ "

(فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ)

و هو الرحم، به يستقر و ينمو .

(إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ) و وقت مقدر . .

*** من ستة أشهر الي تسعة أشهر

(فَقَدَرْنَا)

أي: قدرنا و دبرنا ذلك الجنين، في تلك الظلمات،

و نقلناه من النطفة إلى العلقة،

إلى المضغة، إلى أن جعله الله جسدا،

ثم نفخ فيه الروح، و منهم من يموت قبل ذلك.

(فَبِئْسَ الْقَادِرُونَ)

يعني بذلك نفسه المقدسة حيث كان قدرا تابعا للحكمة، موافقا للحمد .

(وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ)

بعدما بين الله لهم الآيات، و أراهم العبر و البينات.

أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رِوْشًى شَمِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَكُم مَّاءً

فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾

(أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ)

أي: أما امتنا عليكم و أنعمنا، بتسخير الأرض لمصالحكم، فجعلناها

(كِفَاتًا)

لكم.

*الميسر:تضم على ظهرها أحياء لا يحصون،
و في بطنها أمواتاً لا يحصرون،

(أَحْيَاءَ)

في الدور،

(وَأَمْوَاتًا)

في القبور، فكما أن الدور و القصور من نعم الله على عباده و منته،

فكذلك القبور، رحمة في حقهم، و ستر لهم، عن كون أجسادهم بادية للسباع و غيرها.

(وَجَعَلْنَا فِيهَا رُوسَى شَيمَخَاتٍ)

أي: جبالا ترسي الأرض، لئلا تميد بأهلها،
فثبتها الله بالجبال الراسيات الشامخات أي: الطوال العراض،

(وَأَسْقَيْنَكُم مَّاءً فُرَاتًا)

أي: عذبا زلالا قال تعالى:

{ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (68) أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ

(69) لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ } [الواقعة: 68 - 70]

(وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ)

مع ما أراهم الله من النعم التي انفرد الله بها، و اختصهم بها، فقابلوها
بالتكذيب.

أَنْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ أَنْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثُلَيْثٍ شُعْبٍ ﴿٣٠﴾ لَا ظِلِيلٍ وَلَا

يُعْنِي مِنَ اللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُ جِمَلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾

وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾

هذا من الويل الذي أعد للمجرمين للمكذبين، أن يقال لهم يوم القيامة:

(أَنْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ)

ثم فسر ذلك بقوله:

(أَنْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ)

أي: إلى ظل نار جهنم، التي تتمايز في خلاله ثلاث شعب
أي: قطع من النار أي: تتعاوره و تتناوبه و تجتمع به.

(لَا ظِلِيلٍ)

ذلك الظل أي: لا راحة فيه و لا طمأنينة،

(وَلَا يُغْنِي)

من مكث فيه

(مِنَ اللَّهَبِ)

بل اللهب قد أحاط به، يمنة و يسرة و من كل جانب، كما قال تعالى:

{ لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَا
عِبَادِ فَاتَّقُونِ } [الزمر: 16]

{ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نُجْزِي الظَّالِمِينَ }
[الأعراف: 41]

ثم ذكر عظم شر النار، الدال على عظمها و فظاعتها و سوء منظرها، فقال:

(إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ۖ كَأَنَّهُ جِجَلٌ صُفَرٌ)

و هي السود التي تضرب إلى لون فيه صفرة،

و هذا يدل على أن النار مظلمة،

لهيها و جمرها و شررها، و أنها سوداء، كريهة المرائى ، شديدة الحرارة،

نسأل الله العافية منها من الأعمال المقربة منها

* الميسر: إن جهنم تقذف من النار بشرر عظيم،

كل شرارة منه كالبناء المشيد في العظم والارتفاع.

كان شرر جهنم المتطاير منها إبل سود يميل لونها إلى الصفرة

**صحيح البخاري 4933 -

عن ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، {تَرْمِي بِشَرِّ كَالْقَصْرِ} [المرسلات: 32]،

قَالَ: «كُنَّا نَعْمِدُ إِلَى الْخَشَبَةِ ثَلَاثَةَ أَذْرُعَ،

أَوْ فَوْقَ ذَلِكَ فَزَفَعَهُ لِلشَّتَاءِ، فَنُسَمِّيهِ الْقَصَرَ،

(كَأَنَّهُ جِمَالَاتٌ صُفْرٌ) حِبَالُ السُّفْنِ تُجْمَعُ حَتَّى تَكُونَ كَأَوْسَاطِ الرِّجَالِ» ()

(وَبِلْ يَوْمِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ)

هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْنَدُونَ ﴿٣٦﴾ وَبِلْ يَوْمِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَذَا يَوْمٌ

الْفَصْلِ جَمْعُكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَبِلْ يَوْمِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾

(هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ)

(حبال السفن) تفسير

(جُمَالَات) بالحبال إذا ضمت الجيم وأما بكسرها فهي جمع جِمالة

وجِمالة جمع جمل وهو ذكر الإبل.

(صفر) في هيئتها ولونها جمع أصفر والعرب تسمي سود الإبل صفرا لشوب سوادها بصفرة.

أي: هذا اليوم العظيم الشديد على المكذبين،
لا ينطقون فيه من الخوف و الوجل الشديد،

(وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ)

أي: لا تقبل معذرتهم، و لو اعتذروا:

{ فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ } [الروم: 57]

(هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمْعُكُمْ وَالْأُولَيْنِ)

لفصل بينكم، و نحكم بين الخلائق،

(فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ)

تقدرون على الخروج من ملكي و تنجون به من عذابي،

*****{ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا } [هود: 57]**

صحيح مسلم -2577

يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّوْنِي وَ لَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي، فَتَنْفَعُونِي

(فَيَكِيدُونَ)

أي: ليس لكم قدرة ولا سلطان، كما قال تعالى:

{ يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ } [الرحمن: 33]

—ففي ذلك اليوم، تبطل حيل الظالمين، و يضمحل مكرهم و كيدهم،

و يستسلمون لعذاب الله، و يبين لهم كذبهم في تكذيبهم

(وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ)

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلِّ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَكَهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ

تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾

لما ذكر عقوبة المكذبين، ذكر ثواب المحسنين، فقال:

(إِنَّ الْمُتَّقِينَ)

أي: للتكذيب، المتصفين بالتصديق في أقوالهم و أفعالهم و أعمالهم،
و لا يكونون كذلك إلا بأدائهم الواجبات، و تركهم المحرمات.

(فِي ظِلِّ)

من كثرة الأشجار المتنوعة، الزاهية البهية.

(وَعُيُونٍ)

جارية من السلسيل، و الرحيق و غيرهما،

(وَفَوَكَهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ)

أي: من خيار الفواكه و طيبها، و يقال لهم:

(كُلُوا وَاشْرَبُوا)

من المآكل الشهية، و الأشرية اللذيذة

(هَنِيئًا)

أي: من غير منغص و لا مكدر،
و لا يتم هناؤه حتى يسلم الطعام و الشراب
من كل آفة و نقص،
و حتى يجزموا أنه غير منقطع و لا زائل،
(بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)

فأعمالكم هي السبب الموصل لكم إلى هذا النعيم المقيم،
و هكذا كل من أحسن في عبادة الله و أحسن إلى عباد الله، و لهذا قال:

(إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيَلَّيْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ)

و لو لم يكن لهم من هذا الويل إلا فوات هذا النعيم، لكفى به حرمانا و خسرانا

كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ تُجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيَلَّيْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ أَزْكُوا لَا

يَرْكَبُونَ ﴿٤٨﴾ وَيَلَّيْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾

(كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ تُجْرِمُونَ)

هذا تهديد و وعيد للمكذبين، أنهم و إن أكلوا في الدنيا و شربوا و تمتعوا
باللذات، و غفلوا عن القربات،

فإنهم مجرمون، يستحقون ما يستحقه المجرمون،

فستنقطع عنهم اللذات، و تبقى عليهم التبعات

***كقوله { نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ } [لقمان: 24]

(وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ)

و من إجرامهم أنهم إذا أمروا بالصلاة التي هي أشرف العبادات، و قيل لهم:

(وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ)

امتنعوا من ذلك.

فأي إجرام فوق هذا؟ و أي تكذيب يزيد على هذا؟

(وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ)

و من الويل عليهم أنهم تنسد عليهم أبواب التوفيق، و يحرمون كل خير،

فإنهم إذا كذبوا هذا القرآن الكريم،

الذي هو أعلى مراتب الصدق و اليقين على الإطلاق.

(فَإَيَّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ)

أبالباطل الذي هو كاسمه، لا يقوم عليه شبهة فضلا عن الدليل؟

أم بكلام كل مشرك كذاب أفاك مبين؟.

فليس بعد النور المبين إلا دياجي الظلمات، و لا بعد الصدق الذي قامت

الأدلة و البراهين على صدقه إلا الكذب الصراح و الإفك المبين

الذي لا يليق إلا بمن يناسبه.

فتبا لهم، ما أعماهم! و ويحا لهم، ما أخسرهم و أشقاهم!

نسأل الله العفو والعافية إنه جواد كريم.

***كقوله { فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ } [الجاثية: 6]